العلّامة الدكتور الشّيخ

عَبْدالهَادِي الفَضْلِي



هَكَذا قَرَأْتُهُم

شَخصِيّات عِلميّة وَأدبيّة راحِلَة

من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجري

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)

هكذا قرأتهم

شخصيات علمية وأدبية راحلة

من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجري

دار المرتضى
طباعة ـ نشر ـ توزيع
لبنان ـ بيروت
ص. ب.: ٢٥/١٥٥ الغبيري
هاتف: ٠١/٨٤٠٣٩٢
e-mail:mortada14@hotmail.com

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ
٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م

هكذا قرأتهم

شخصيات علمية وأدبية راحلة

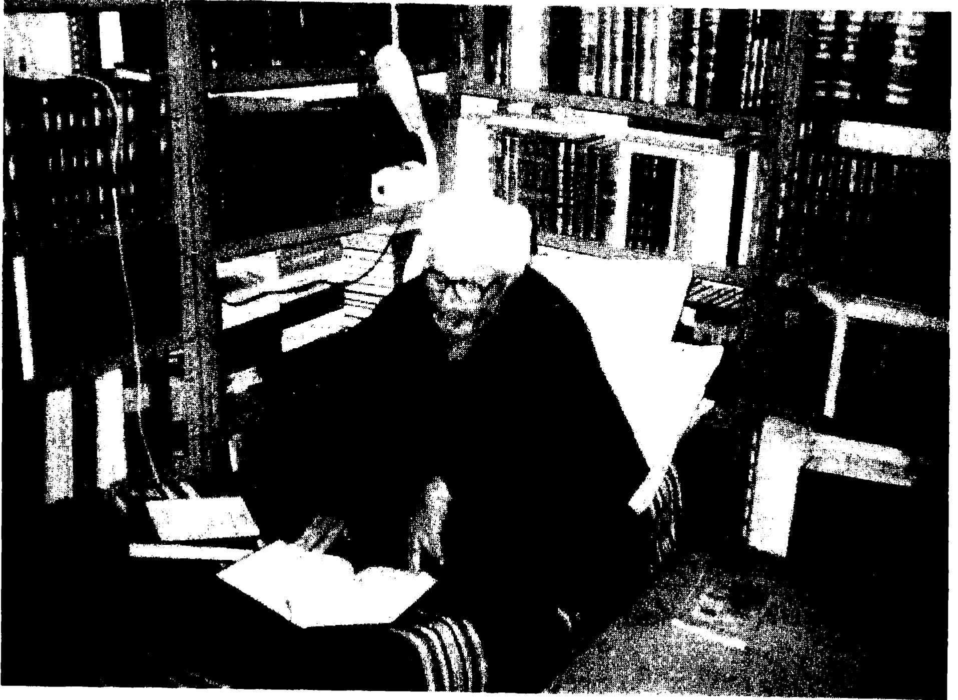
من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجري

العلامة الدكتور الشيخ
عبد الهادي الفضلي

دار المرتضى
بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم



هذا هو الفضلي تشهد فضله   حوزات شرع رادها ومعاهد
لا زال يتحفها بعلم وافر   يرقى به النائي ويسمو القاصد
ويخط للأجيال نهجاً طالما   جهدت لتعتمه رؤىً ومقاصد(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

هكذا قرأتهم، الكتاب/الكاتب

بين يدي القارىء الكريم، كتاب جديد لسماحة العلامة الكبير الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي - دام ظله الوارف -.

موضوع الكتاب:

من خلال عنوان الكتاب «هكذا قرأتهم» وشوارحه «شخصيات علمية وأدبية راحلة، من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجري، مقالات، دراسات» - يتبيّن الموضوع الذي يبحث فيه.

فهو كتاب يقرأ مبدعين راحلين، كان لهم حضورهم الفاعل في الساحة العلمية، أو الأدبيّة، أو فيهما معاً، دارساً تلك الشخصيّات العلمية/ الأدبيّة، في حقبة زمنيّة بين شطريها ألف سنة، تبدأ بالقرن الخامس الهجري، وتنتهي في القرن الخامس عشر الهجري الذي نحن فيه، موزعاً القراءة على بابين:

- الباب الأول للمقالات، والباب الثاني للدراسات. . .

ومقسّماً كل باب زمنيّاً إلى قسمين:

- القسم الأول «السابقون»:

ويحتوي شخصيّات ما قبل القرن الخامس عشر الهجري.

- القسم الثاني: «المعاصرون»:

ويحتوي شخصيات القرن الخامس عشر الهجري. وجاعلًا من تلك الشخصيات الابداعية - علماً وأدباً - منطلقهُ في القراءة التي تصف ولا تقف، تُفَسِّر وتُؤشر. . .، وتحلّل وتُعلّل، بحسب ما تحتمله القراءة بين مقالة ودراسة، قصيرة أو طويلة.

- يتجلى موضوع الكتاب - بصورة أكبر - للقارىء إذ يلقي نظرة خاطفة إلى هيكليّته العامة.

الهيكل العام للكتاب:

- **الباب الأول - المقالات**

- **القسم الأول «السابقون»:**

احتوى على شخصيّات ما قبل القرن الخامس عشر الهجري:

١ - الفقيه الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)

«مؤسس المدرسة الأصولية الإمامية»

٢ - الفقيه الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)

«شيخ الطائفة»

٣ - الشيخ أبو بحر الخطي (ت١٠٣٨هـ)

«شاعر مميز في عصر الانحطاط»

٤ - الفقيه الشيخ الدمستاني الكبير (ت١١١٨هـ)

«من شعراء مدرسة الطف في البحرين»

٥ - الشاعر الدمستاني الصغير (ت. . . بعد ١١٩٠هـ)

«راوية أبيه»

٦ - الفقيه السيد مهدي بحر العلوم (ت١٢١٢هـ)

«أُستاذ أَساتذة عصره»

٧ - الفقيه الشيخ جعفر الكبير (ت١٢٢٨هـ)

«كاشف الغطاء»

- **القسم الثاني «المعاصرون»:**

احتوى على شخصيات القرن الخامس عشر الهجري:

٨ - الفقيه السيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)

«دوره في التطوير الفقهي وتحديد المشكلة الاقتصادية».

٩ - الفقيه السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ)

«سيرة علمية، ومنهج رائد»

١٠ - الشيخ محمد باقر بوخمسين (ت١٤١٣هـ)

«من العلماء الأدباء في الأحساء».

١١ - الشاعر أحمد سلمان الكوفي (ت١٤٢٠هـ)

«من جيل النقلة في شعر النهضة القطيفي»

١٢ - الشيخ محمد مهدي شمس الدين (ت ١٣٢١هـ)

«من رواد حوزة النجف الأشرف في تطوير المنهج والاسلوب»

- الباب الثاني - الدراسات

وقد كان على قسمين أيضاً:

- القسم الأول «السابقون»

احتوى على شخصيّات ما قبل القرن الخامس عشر الهجري:

١٣ - أعلام الأحساء عبر العصور

«علماء أدباء، خطباء»

- القسم الثاني «المعاصرون»

احتوى على شخصيّات القرن الخامس عشر الهجري:

١٤ - الفقيه الشيخ الميرزا محسن الفضلي (ت١٤٠٩هـ)

«في ذكرى أبي».

١٥ - الفقيه الشيخ محمد أمين زين الدين (ت١٤١٩هـ)

«فقيه الأدباء وأديب الفقهاء».

سبب إعداد الكتاب:

تتشكّل مادة هذا الكتاب من عدة مقالات ودراسات كتبها شيخنا العلامة الفقيه الدكتور الفضلي حول شخصيات علمية وأدبية، على حقب زمنيّة متباعدة، قد تصل المسافة بين كتابة أقدمها وكتابة أحدثها إلى أربعين سنة؛ مما يعني أن شيخنا الأستاذ لم يكن في نيته أن يجمعها في كتاب واحد لدى كتابة كل مقالة، ودراسة على حدة.

بيد أن امكانية تجميع تلك المقالات والدراسات، . وتصنيفها وتبويبها، لتؤلّف كتاباً في نسيج ثقافي واحد، أعطت للعمل مشروعيته، وبات الإقدام على تنفيذه ضرورة ثقافية ملحة؛ لأنه اضافة تنتظرها المكتبة العربية والإسلامية، ولا سيّما أن لمادة الكتاب الذي بين أيدينا قيمتين ثقافيتين ترجعان إلى مكانة شخصيّاته المرموقة في الوسط العلمي، وفي الوسط الأدبي، وإلى مكانة قارئها في الوسطين المذكورين معاً.

لي أن أترك الحديث عن مكانة تلك الشخصيّات علمية وأدبيّة، إلى ما يقدمه كتاب

«هكذا قرأتهم» من قراءات ابداعية متميّزة تجعلنا في تماس مباشر مع جوانب من العطاءات العلمية والأدبيّة لتلك الشخصيّات المقروءة، وتُحلّق بنا إلى فضاءات عوالمها الفسيحة.

لي ذلك. . .

وعليّ ألّا أترك الحديث عن مكانة القارىء/ الكاتب، الفقيه/ الأديب، شيخنا العلامة الفضلي - دام فضله - لا من باب التعريف، فإنه غني عن ذلك، وإنما من باب العرفان بافضاله، والشكر له على اذنه لي بتجميع مادة هذا الكتاب، والتشرّف بتقديمه.

ولأن الحديث - هنا - يُرادُ له أن يكون عن مكانة مثقف شمولي، وعالم يصل بمنهجيّته الرائدة فيما يكتب ويحاضر إلى مستوى الفرادة، ويجمع بين الأصالة والحداثة، بعمق واستقلالية المفكّر، فاستحق - وبجدارة - أن يُعد آخر الموسوعيين الكبار في هذا العصر من جيل الفقهاء الأدباء؛ قصرتُه على اشارات إلى ما لهذه الشخصيّة الخصبة من أبعاد لا يمكن السباحة في فضاءاتها، والاقتراب من استيعابها إلا بدراسة مستقلة قد لا تكفيها كل صفحات هذا الكتاب.

وهو ما أتمنى أن أوفق إليه في دراسة متأنية مستقلة لسيرة هذا الفقيه الموسوعي، والعالم الربّاني، والتربوي الفريد.

أنْ أدرس شخصيته بكل أبعادها المشار إليها، دراسة تحليلية، علّني أفيه شيئاً يسيراً من حقوقه الخاصة عليّ، حق التربية، والتعليم، وصلة الرحم.

إضافة إلى حقه العام علينا جميعاً، باعتباره الفقيه المفكر، والعالم المربي، والرائد الإسلامي الكبير الذي أنار الدرب للأجيال.

وإذ اقتصر - هنا - على إشارات إلى شخصيته فإن قراءتي ستكون في سياق القراءة التي يقدمها في هذا الكتاب.

قراءة القراءة من الكتاب إلى الكاتب:

تكاد تكون قراءة أستاذنا الفضلي - دام فضله - في «هكذا قرأتهم» الموشور الذي يعكس ألوان الطيف الثقافي في شخصيته الموسوعية.

فهو إذْ يقرأ العلميّة في العلماء، والأدبيّة في الأدباء، والتكامليّة في العلماء/ الأدباء يتيح لنا أن نقرأ جوانب مما يمتلكه هو فيمن يقرأ، ويضيء فيهم من سمات. . .

فهو فقيه يقرأ الفقهاء، وأديب يقرأ الأدباء، وهو هما إذ يقرأهما، ولأنه كذلك، فإن الاطلالة على شخصيته من نافذة (كتابه) الذي يُطلُّ به هو على شخصيات عديدة، ومتنوعة، تفاعل معها ثقافياً، وقرأها - تعود مضاءة بجانب القراءة اللامع في شخصيّته الفذة؛ بحيث يغدو تلقّينا للجردة الببليوغرافية المكتنزة بابداعاته - ذا بُعدٍ أعمق في سياق تلك الإضاءة.

ببليوغرافيا موسوعية:

أَلّف الشيخ الفضلي في حقول معرفية شتى، ونالت كتاباته نصيبها من الشهرة والانتشار الواسع بحيث تجاوز بعضها الطبعة العشرين، وتُرجم بعضها إلى أكثر من لغة.

وتتميز أكثر مؤلفاته بافادة العلماء والطلبة على حد سواء، إذ كلٌ يرى فيها بغيته، وهي ميزة نادرة، خاصة في المؤلفات الأكثر تخصّصاً، مناهج ودراسات، ولعل لذلك يرجع النجاح الفائق لشيخنا الفضلي فيما كتب وألف.

إضافة إلى التأليف، قام سماحة الشيخ الدكتور بتحقيق عدد غير قليل من المخطوطات، وقام بالإشراف على الرسائل والأطاريح الجامعية، والكتابات الحوزوية، والثقافية المتنوعة، وقام أيضاً بتقويم وتقديم العديد من الكتب مشجعاً الحركة العلمية والأدبية، ودافعاً بعجلة التأليف والنشر في كل مكان يحل فيه.

وقد ساهم في انشاء دوريات علمية وأدبية، وبالإشراف على عديد منها، وبالكتابة فيها، وفي الصحف اليومية والاسبوعية محافظاً على أصالته، وعمقه، وموسوعيته التي عرف بها، حتى وهو يكتب المقال الصحفي القصير.

يمتلك العلامة الفضلي قدرة جمالية على انشاء النثر الفني، غير أنه، في أغلب ما كتب، نجده منصرفاً للنثر العلمي في مسحة أدبية، وذلك لطبيعة الموضوعات التي يكتب فيها، وتفرض عليه أن يلتزم أصولها.

وهو يمارس كتابة الشعر ممارسة المقل، قياساً بكثافة وثراء كتاباته النثرية.

سيطلع القارىء في هذا الكتاب على قصيدة واحدة له في رثاء والده الفقيه الشيخ الميرزا محسن الفضلي - أعلى الله مقامه -.

وفيما يلي، سرد للعلوم التي كتب فيها، ولأسماء بعض كتبه في المجال، لما لهذا السرد من دلالات تشير إلى جوانب من شخصية سماحة الشيخ الأستاذ حفظه الله تعالى.

حقل اللغة العربية، علومها وآدابها:

أ - النحو والصرف:

١ - أسماء الأفعال والأصوات (رسالة ماجستير) - مخطوط.

٢ - التذكرة في اللغة العربية. - مخطوط -.

٣ - دراسات في الإعراب.

٤ - دراسات في الفعل.

٥ - شرح ألفية ابن مالك - مخطوط -.

٦ - عشرة أبيات مشكلة في الإعراب - مخطوط -.

٧ - قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية (رسالة دكتوراه) - مخطوط -.

٨ - اللامات: دراسة نحوية في ضوء القراءات القرآنية.

٩ - مختصر الصرف.

١٠ - مختصر النحو.

- وحقّق ما يلي:

- اتحاف الأنس في العلمين واسم الجنس: لمحمد الأمير.

٢ - إعراب سورة الفاتحة: لعمر بن عثمان الجنزي.

٣ - البصروية في علم العربية: محمد بن عبد الرحمن البصروي.

٤ - معاني الحروف: للخليل بن أحمد الفراهيدي.

ب - البلاغة:

١ - تلخيص البلاغة.

٢ - تهذيب البلاغة.

جـ - العروض:

١ - تلخيص العروض.

٢ - في علم العروض: نقد واقتراح.

د - الأدب:

١ - أعراف النحو في الشعر العربي.

٢ - الأوليات - مخطوط.

٣ - المسؤولية الخلقية في فكر الدكتور محمد اقبال

٤ - المكتبة المتنقلة - مخطوط.

٥ - باقة شعر «مختارات» - مخطوط -.

٦ - خمسون لغزاً ولغزاً «من أدب النوادر» - مخطوط -.

٧ - شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي - مخطوط -.

٨ - شيء من الشعر (ديوان شعر) - مخطوط -.

٩ - عواطف ولاء (ديوان شعر) - مخطوط -.

١٠ - نحو أدب إسلامي.

حقل العلوم الدينية:

أ - علوم القرآن:

١ - القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف.

وحقق ما يلي:

١ - بداية الهداية: للشيخ عبد المحسن اللويمي.

٢ - درة القارىء: للرسعنيّ.

٣ - زلة القارىء: للنسفي.

٤ - الناسخ والمنسوخ: لابن العتائقي.

ب - الحديث الشريف:

١ - أصول علم الحديث.

جـ - الرجال:

١ - أصول علم الرجال.

د - الكلام والعقيدة:

١ - خلاصة علم الكلام.

٢ - في انتظار الإمام.

٣ - قراءة في كتاب التوحيد.

٤ - مذهب الإمامية من حيث النشأة والعقيدة.

هـ - الفقه:

١ - دروس في فقه الإمامية: (فقهي، استدلالي)، عدة مجلدات.

٢ - مبادىء علم الفقه. عدة مجلدات.

٣ - من معالم الحج والزيارة - مخطوط -.

٤ - التقليد.

٥ - الاجتهاد.

٦ - الغناء.

وحقق ما يلي:

١ - هداية الناسكين: للشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر).

و - أصول الفقه:

١ - الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية.
٢ - دروس في أصول فقه الإمامية
٣ - مبادىء أصول الفقه

وحقق ما يلي:

١ - طريق استنباط الأحكام: للمحقق الكركي.

ز - التربية:

١ - التربية الدينيّة.

ح - الثقافة والثقافة الإسلامية:

١ - الإسلام مبدأ.
٢ - ثورة الحسين عليه السلام من خلال نصوصها.
٣ - حضارتنا في ميدان الصراع.
٤ - دليل النجف الأشرف.
٥ - الدولة الإسلامية.
٦ - الدين في اللغة والقرآن.
٧ - قضايا وآراء.
٨ - لماذا اليأس.
٩ - مشكلة الفقر.
١٠ - مصطلحان أساسيان.
١١ - من البعثة إلى الدولة.

حقل العلوم العقلية:

أ - المنطق:

١ - خلاصة المنطق.
٢ - مذكرة المنطق.

ب - الفلسفة:

١ - المبدأ الأول في الفكر اليوناني قبل سقراط.

حقل المنهجية والتحقيق:

أ - مناهج البحث والتحقيق:

١ - أصول البحث.

٢ - أصول تحقيق التراث.

حقل الفهرسة وتاريخ العلوم:

أ - الفهرسة:

١ - فهرست الكتب النحوية المطبوعة.

٢ - مؤلفات الإحسائية - مخطوط -.

ب - تاريخ العلوم:

١ - تاريخ التشريع الإسلامي.

٢ - مراكز الدراسات النحويّة.

إضافة إلى كثير من المقالات والدراسات والمحاضرات المسجلة، والمنشورة في الدوريات المختصة، وفي الصحف والمجلات التي أرى استيفاء عنواناتها وتصنيفها خيراً من ذكر النزر اليسير منها كما هو وارد في أكثر من مصدر ترجم لشيخنا الفضلي.

وهو ما أطمح إليه في المستقبل، مكتفياً بما تقدم من محاولة تصنيف عطاءات استاذنا الموسوعية تحت حقول العلم والمعرفة التي تنتمي إليها.

وإذا كانت الغالبية العظمى من العنوانات التي مرّت خالية من إشارة (مخطوط) فإنه يعني أن أكثر انتاج استاذنا الفضلي من الكتب قد نشر، خلا القليل منها نسبياً، وما عدا الكثير من المقالات والدراسات التي تنتظر أن تجمع ما بين دفتي كتاب، في مثل هذ العمل.

بقي أن أشير إلى الشعر عند شيخنا الفضلي ابداعاً ونقداً...

شعره، ورأيه بالشعر:

مارس الدكتور الفضلي كتابة الشعر، ونقده، وبين دفتي هذا الكتاب سنقرأ الشيخ الفضلي وهو يقرأ الشعر في أكثر من موقع في «هكذا قرأتهم».

أما شعره هو فقد وضعت له مكاناً في الكتاب الذي أقوم باعداده تحت عنوان «فقهاء قالوا شعراً».

ولكي لا نترك الفضلي - هنا - دون الحديث عن شعره ورأيه فيه ونظرته إلى الشعر سأكتفي باقتباس شيء من (شيئه) يناسب المقام، وهو المقدمة النثرية لديوانه المخطوط «شيء من الشعر» يظهر فيها مفهومه للشعر، ويتحدث عن تجربته الشعرية في المجموعة بايجاز إذ يقول:

«الشعر تعبير فني يعتمد الوزن المموسق، تفعيلة أو بيتاً، وهو فيض الموهبة، والموهبة - كما هو معلوم - استعداد فطري لا يوجد عند كل إنسان، ومن هنا كان الشعراء قلة قليلة».

ثم يشير إلى التجربة باعتبارها الشلال الذي يتدفق عنه الشعر الذي يقول عنه:

«وهو معاناة لأحاسيس ومشاعر عاطفية، تفاعل فيها الشاعر مع شيء ما، وهو فوق كل هذه ايحاء، ومن طبيعة الايحاء أن يسمو عن أن يعرّف التعريف العلمي، فالشعر هو الشعر، وحسب، هذا ما افدته من تجربتي معه، وهي تجربة قصيرة وقليلة» وهو هنا يعني تجربته الشعرية في هذه المجموعة مضيفاً إلى تحديد مدى التجربة - في ديوانه المعني - توصيفاً لطبيعتها العفوية، راسماً لنا طبيعة علاقته مع لحظة الابداع التي لا يتقصدها بقدر ما هي التي تتقصّده وتترصّده في مكمن الانفعال والمعاناة، ليهبط عليه الشعر هبوط الوحي: «لم أعطه من نفسي، وإنما كنت آخذ منه، أنتظره عندما أعاني فيستنزل الخاطر، وينزل هو نزول الوحي، فتتلقاه الألفاظ لترسم للسامع أو القارىء الصورة التعبيريّة الفنيّة».

ثم يقفل خاتماً بقوله: «من هذا كان الذي اسميه (شيء من الشعر)...».

فالفقيه الفضلي إذن، ليس فقيهاً فقط يقرأ الفقهاء في «هكذا قرأتهم»، وليس أديباً فحسب، وإنما شاعر كغيره من كبار الفقهاء الشعراء الذين قدّمهم لنا، وقرأهم في هذا الكتاب.

فقلّما نجد في «هكذا قرأتهم» فقيهاً ليس له ديوان شعر، أو لم يجرب قولة الشعر، أو لم يكن ذواقة للشعر ومحباً للشعراء إن لم يكن منهم، مما يعني انسجام شيخنا الفضلي مع من قرأ لما فيه منهم، ولما فيهم منه.

انسجام مع الأديب أو الشاعر المحض لما يحمل في شعره من روح ايمانية مستنيرة بالفقه ومصادره.

وانسجام مع الفقيه المحض لما في فقهيته من ذائقة صافية تنهل من معين لم تكدّره الصناعة بفعل تفاعل الفقيه الذوقي مع النص بروح تملك الذوق الأدبي وإن لم يكن يقوى على ابداع نصوص في صميم الأدب والشعر.

وانسجام مع الفقيه الأديب، والأديب الفقيه، لما تصل إليه الفقاهة حين تعانق الأدب والشعر من سمو في الذوق وقدرة على استكناه مرادات النص.

وإذا كان الأدب بحسب تعريف القدماء هو (لأخذ من كل شيء بطرف)، فإن فقيهنا الفضلي إذْ أتى لنا (بشيئه) في الشعر، وبأشياء كثيرة في غيره؛ استطاع أن يتجاوز الأطراف والسطوح إلى الأعماق والأغوار، فأتى بالجديد في أصالة، وبالفريد في ريادة، في عديد من العلوم والمعارف التي كتب فيها.

وإذا كان له مع من كتب عنهم في «هكذا قرأتهم» من الفقهاء - الأدباء نصيب التجاور في أكثر الأحيان، فإن له في بقية الأحايين نصيب التجاوز.

من هنا تبدو قراءتنا لعنوانات كتبه في كشاف العلوم التي كتب فيها قراءة مضاءة بكشاف قراءته الذي أضاء لنا ابداعات شخصيات علمية وأدبية على مدى عشرة قرون.

إلى هذه الزاوية من شخصيّة شيخنا الفضلي - دام فضله - كنت أرنو حين نويت ألا أترك الحديث عنه عرفاناً لا تعريفاً في سياق كتابه الجديد «هكذا قرأتهم» الذي أوشك أن أتركك - عزيزي القارىء - معه بعد أن أسرد المصادر التي ترجمت لشيخنا الجليل لما لذلك من أهمية في المجال لمن أراد التوسع في قراءة العلامة الفضلي وهو يقرأ في «هكذا قرأتهم».

مصادر ترجمة العلامة الفضلي:

١ - أعلام هجر للسيد هاشم الشخص.

٢ - الفهرست المفيد في تراجم أعلام الخليج، أبو بكر عبد الله الشمري.

٣ - المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي.

٤ - الدكتور عبد الهادي الفضلي (عالم اللغة والنحو السعودي) (رسالة بكالوريوس) - عبد الاله صالح آل علي.

٥ - دليل الشخصيات السعودية Who's who in Saudi Arabia.

٦ - دليل أعضاء هيئة التدريس السعوديين بجامعات المملكة.

٧ - دليل الكاتب السعودي، اصدار الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون - الرياض.

٨ - دليل الكتاب والكاتبات، اصدار الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون - الرياض.

٩ - شعراء الرابطة الأدبية، الشيخ محمد الخليلي.

١٠ - علماء ومفكرون عشقتهم، علي المحمد علي.

١١ - فقهاء قالوا شعراً، حسن الخليفة.

١٢ - فهرست مؤلفات الدكتور عبد الهادي الفضلي، علي المحمد علي.

١٣ - قالوا في جدنا د. عبد الهادي الفضلي - غسان الفضلي ونائل السلطان.

١٤ - معجم رجال الفكر والأدب في النجف، الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني.

١٥ - معجم شعراء الحسين عليه السلام، الشيخ جعفر الهلالي.

١٦ - معجم المؤلفين العراقيين، كوركيس عواد.

١٧ - معجم الأدباء والكتاب (الموسوعة الثقافية الشاملة للمملكة العربية السعودية - الجزء الأول).

١٨ - معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية، اصدار الدائرة للاعلام المحدودة - الرياض.

١٩ - موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، أحمد سعيد بن سلم.

٢٠ - «كتب»:

وهو مصدر أخير من نوع آخر، يدخل إلى شخصيّة شيخنا الفضلي من الكتب التي دخل بها إلى قلوبنا. . . ،

أتركك - عزيزي القارىء - لتدخل إلى «هكذا قرأتهم» عبر «كتب» المصدر المختلف، فإنك حين تقرأ شخصيات هذا الكتاب؛ تقرأ قراءة أستاذنا الفضلي لها، وهل يستغني قارىء عن:

كُتُب

فاتحة:

حيثُ كنتُ معه في الربذةْ
في العراء، كان معنا أبو ذرْ
بنى له الشيخ قصيدة:

- قطعتُ إليكَ البيدَ يحدو بيَ الشوقُ
أيَـا ثـائـراً للهِ غـايـتُـهُ الـحـقُّ. . .

بنيتُ لها عتبة:

- نُفيتَ لَعَمْري كلُّ نفي إشارةٌ

إلى النصرِ كالغيثِ المشيرِ له البرقُ..

في الأنْفسِ/ في الآفاق

كانَ أبو ذَرْ

والبيوتُ في القصيدةْ

ونحن على العتبةْ

(١)

في النَّهج

قال عليٌّ:

لو كان الفقر رجلاً لقتلتُهْ

مشكلةُ الفقر أنّا نعرفُهُ جيّداً

ولا نعرف عليّاً

حسبَ ما قرأتُ

في مشكلةِ الفقر

(٢)

لم أَنتبهْ

منذ الصِّبا

على قراءة مختصر النحو

في زمن السِّنينْ

حيث الصدى ما زالْ:

أنحُ هذا النحو

يا دُؤليّ...

في جامع البصرةْ

وقعتْ عيني عليه

والفراهيدي له عين

كالدؤليّ الأوّل

وصاحب مختصر النحو
على علاقةٍ بالعين...
للعين في علم النحو سر
كما للنحو سرٌ في العين...

(٣)

متن:

قالوا:
إن مبادىءَ علم الفقه
رسالةٌ عمليّةٌ..
وجدتُهُ قراءةً عمليّة
بين كلِّ مليونِ كاتب
قارىءٌ واحد
ولكنْ لا يشعرون..!!

حاشية:

الذين يكتبون يصفُّونَ حجرْ
الذين يقرأون يتركون أَثَرْ..

(٤)

في انتظار الإمامْ
أكثر من طريقة
طريقتي الوحيدةْ
في انتظار الإمام..

(٥)

في مباحث الألفاظ
يعتقلون اللغةْ
في زنازين الفلسفةْ.
... الإنسانُ هو الأسلوب/ اللغةْ

كما قال بوفّونْ
والقرآنُ من قَبْلِهِ قال:
﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾
بِتفسيرِ مُغْنِيَةْ،
وتَباسُطِ الشيخِ مع لُغَتهِ العزيزةْ
في دروسٍ
في أصول فقهِ «العالميّة».
- لَفظَةُ المباحثِ بغيضَةٌ
خاصّةٌ مع الأَلفاظ
كالزنازين الأَعْجَمِيّةْ..

خاتمة:

لي أستاذٌ واحدْ
هو الفضلي
لكنّهُ أكثرُ من أستاذْ
لذا أنا
أَكثر من عالم...(**)

التلميذ

حسن الخليفة

١٧ شوال ١٤٢٢هـ

١/ ١/ ٢٠٠٢م

(*) من أدب التصوير؛ وهي موجودة في صورة متداولة للشيخ الفضلي، ومذكورة في كتاب «قالوا في جدنا».

(**) «كتب»، من كتاب تحته كنز لهما (مجموعة شعرية مشتركة)، دار الهادي ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م بيروت.

- الباب الأول

- المقالات

- القسم الأول

«السابقون»:

- شخصيات ما قبل القرن الخامس عشر الهجري

- القسم الثاني

«المعاصرون»:

- القرن الخامس عشر الهجري

- الباب الأول - المقالات
- القسم الأول «السابقون»
- شخصيات ما قبل القرن الخامس عشر الهجري

١ - الفقيه الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)

مؤسس المدرسة الأصولية الإمامية

تطور مدارس الفقه بين السنة والشيعة:

من الطبيعي أن لا يختلف علم الفقه الإسلامي عن سواه من العلوم الأخرى، فيتطور كما تطورت، وتتكون فيه مدارس كما تكونت فيها.

ولعل الفارق بينه وبين الكثير منها تعدد المدارس في كل من الطائفتين الشهيرتين: الشيعة، وأهل السنة والجماعة.

فقد كانت هاتان الطائفتان في بدء انبثاقهما في القرن الأول الهجري بمثابة مدرستين، ثم وبفعل عوامل مختلفة تحولتا إلى طائفتين، وكان لكل طائفة منهما مدارسها.

والفارق بين مدارس الطائفة منهما والأخرى أنها عند أهل السنة بدأت بمدرسة الرأي، وكان رائدها ورئيسها الخليفة عمر بن الخطاب، وبعد وفاته وتبريز ابنه عبد الله فقيهاً من فقهاء المسلمين المشار إليهم تركزت على يديه مدرسة الحديث، وسارت المدرستان جنباً إلى جنب، واتخذت مدرسة الرأي الكوفة مركزاً لها عن طريق عبد الله بن مسعود الذي كان يعد أبرز تلامذة عمر بن الخطاب، وأبرز من تبنى منهج وفكر مدرسة الرأي.

ومن أشهر أعلام هذه المدرسة في الكوفة ابن أبي ليلى، وابن شبرمة.

وأخذت طابعها الواضح، وراحت تضع بصماتها على الكثير من مراكز الدراسات الفقهية الإسلامية على يد إمام المذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي.

أما مدرسة الحديث فاتخذت من المدينة المنورة مركزاً لها، واشتهر من أعلامها الفقهاء السبعة:

١ - سعيد بن المسيب.

٢ - عروة بن الزبير.

٣ - أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي.

٤ - عبيد الله بن عبد الله.

٥ - خارجة بن زيد بن ثابت.

٦ - القاسم بن محمد بن أبي بكر.

٧ - سلمان بن يسار.

وقد قيل في منهجهم وتعداد أسمائهم:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر روايتهم عن العلم ليست خارجهْ
فقل: هم عبيدُ اللهِ، عروةُ، قاسمٌ سعيدٌ، أبو بكرٍ، سليمانُ، خارجهْ

وانتهت رئاسة هذه المدرسة إلى إمام المذهب مالك بن أنس، وعن طريقه انتشرت في البلدان الإسلامية.

وكما رأينا، منذ البدء، وعلى عهد الصحابة، كانت المدرستان معاً في زمن واحد، وسارتا تمونان الفقه السني في هدي منهجيهما بالفكر الفقهي الإسلامي من الحديث، أو منه ومن الرأي.

بينما كان التطور عند الشيعة، أو قل: في مذهب أهل البيت تطوراً طولياً أو امتدادياً، وكالتالي:

١ - فأول ما كان من مدارسه مدرسة النص التي تزعمها وروادها الإمام علي عليه السلام، وكانت تعد المقابل لمدرسة الرأي، حيث كان المصدر فيها الكتاب والسنة فقط، والاجتهاد الفقهي فيها محوره نصوصهما، ويتحرك في إطار فهمها لاستفادة الحكم.

في الوقت الذي كان مصدر مدرسة الرأي: الكتاب والسنة، مضافاً إليهما الرأي، وكان الاجتهاد الفقهي فيها يتحرك داخل إطار النصوص للقرآن والسنة وخارجَهُ في هدي ما يقدّره رأي المجتهد من المصلحة والمفسدة.

٢ - وفي عهود الأئمة أبناء علي عليه السلام حيث انتشر التشيع، وكثر عدد الشيعة، وتوزع الرواة عن الأئمة في مختلف البلدان الإسلامية، نشأ ما أسميته بمدرسة الفقهاء الرواة، تلكم المدرسة التي كان علماؤها من أمثال: زرارة بن أعين، وأبي حمزة الثمالي، وأبان بن

تغلب، ومحمد بن مسلم، ويونس بن عبد الرحمن، يجتهدون في فهم دلالة الحديث، وفي تطبيق الأحاديث التي هي بمثابة قواعد عامة على مواردها.

وقد أغنت هذه المدرسة الفكر الفقهي الشيعي بالحديث الفقهي، حيث خلفت أربعمائة أصل، وأكثر من هذا الكم من الكتب الأخرى.

٣ - وامتدت هذه المدرسة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وفي القرن الرابع الهجري تمثلت في ما أسميته بمدرسة الفقهاء المحدثين.

ويمكننا أن نطلق على فكرها الفقهي اسم الفقه المأثور، لأن أعلامها كانوا يفتون بالمأثور، أي يتخذون من عبارة ومتن الحديث فتوى يلقون بها إلى مقلديهم.

وكان زعيما هذه المدرسة في نهاية الغيبة الصغرى، وبداية الغيبة الكبرى المحدثين الصدوقين اللذين أصدقا وصدّقا المنهج المشار إليه في الرسالة المسماة بـ(الشرائع) للصدوق الأب علي بن الحسين بن بابويه القمي، وكتاب (من لا يحضره الفقيه) للصدوق الإبن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.

وتركزت هذه المدرسة في (قم)، وعرف أصحابها في الفقه الإمامي بلقب (القميين)، ونسبت إليهم فتاوى تفردوا بها.

٤ - وفي هذه الفترة، فترة الانتقال للإمامية من عهد الحضور إلى عهد الغيبة، كان بدء استقلال الفقهاء الإماميين بمهمة الزعامة للشيعة نيابة عن الإمام المهدي عليه السلام، وبوظيفة الافتاء دون أن يكون هناك لقاء بالإمام المهدي لأخذ الحكم الشرعي منه.

إن هذا الاستقلال فرض عليهم أخذ الأهبة الكافية والاستعداد الوافي للقيام الكامل بالمسؤولية المناطة بهم، فانتهى مركز قم العلمي إلى ما أشرت إليه من الفقه المأثور، وهو قد يقابل ما عرف عند أهل السنة بمدرس الحديث، وانبثق في مركز بغداد العلمي، وعلى يدي القديمين ابن أبي عقيل، وابن الجنيد، شيء منه استخدام الرأي، وربما كان للأجواء العلمية في بغداد آنذاك، حيث كانت الامتداد الطبيعي لمركز الكوفة العلمي، تأثير عليهما، بغية الإعداد لهذا الاستقلال الذي أشرت إليه، فجاء منهما في الفكر والمنهج ما يشبه الموجود في مدرسة الرأي عند أهل السنة، فقد عرف عن ابن الجنيد استخدامه القياس، ذلك الاستخدام الذي دفع غير واحد من علمائنا للافتاء بالمنع من الرجوع إلى مؤلفاته لما فيها من نتائج أملاها عليه قياسه، وإستناده إلى طريقة الرأي.

فأصبح في هذه الآونة القصيرة من الزمن عند الإمامية ما يماثل أو يقارب ما عند أهل السنة من وجود مدرستين: مدرسة الحديث ومدرسة الرأي، الأولى مركزها في قم، والثانية في بغداد.

٥ - ولعل من وفاء وسخاء المناسبة أن يزور الشيخ الصدوق بغداد في عصر الشيخ ابن الجنيد، ويقوم بالتدريس والتحديث، ويحضر حلقة درسه، وتحت منبره شيخنا المعظم المحتفى بذكراه الألفية الشيخ المفيد، فنصب مدرسة الفقهاء المحدثين في حوزته.

وفي الوقت نفسه كان الشيخ المفيد قد تتلمذ على يدي الشيخ ابن الجنيد، فهضم وتمثل منهج وفكر مدرسة القديمين.

تأسيس المفيد للمدرسة الأصولية الإمامية

لأن الشيخ المفيد كان حديد الذهن، شديد الذكاء، عقلاني التفكير، نزّاعاً - وبقوة - إلى أن يترسم فقهُ أهل البيت طريقَهُ في وضوح ونقاء، مزج بين المدرستين، واستخلص الزُبْدَ من مخيضهما، فخرج من بينهما بما أطلقت عليه اسم (المدرسة الأصولية)، حيث وضع - رضوان الله عليه - الأصول التي جمعت بين النقل والعقل، فأخذ من هذه وتلك، في ضوء ما استهداه من معطيات الشرع الحنيف.

وتمثل عمله لارساء قواعد المدرسة الأصولية بالتالي:

١ - تأليفه في أصول الفقه:

فقد ألّف في أصول الفقه الذي هو بمثابة المنهج العلمي للبحث الفقهي والاجتهاد الشرعي، ألّف كتابه المعروف بـ(التذكرة) والذي اختصره تلميذه الشيخ أبو الفتح الكراجكي، وأودعه كتابه الموسوم بـ(كنز الفوائد)، المطبوع أكثر من مرة، ثم نشر مستقلًا من قبل مركز الدراسات والبحوث العلمية العالية ببيروت سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

وهو - في حدود ما وقفت عليه في فهارس الكتب المطبوعة - أول كتاب في أصول الفقه يضم بين دفتيه جميع مباحث أصول الفقه المعروفة آنذاك، ولكن بشكل مختصر، فقد ذكر من المؤلفات في أصول الفقه قبل الشيخ المفيد أمثال كتاب (الألفاظ) لهشام بن الحكم، وهذا الكتاب فيما أخال أنه ليس في أصول الفقه لعدم وصول شيء من محتوياته يشير إلى هذا، ولأن عنوان (الألفاظ) من العناوين المستعملة قديماً في علم المنطق، وفي الفلسفة، ويراد به المصطلحات المنطقية أو الفلسفية، ولأن هشاماً عرف بتخصصه بالحكمة، فمن المظنون قوياً أنه في مصطلحات الحكمة.

يضاف إليه أن الشيعة في عهد هشام لم يكونوا بحاجة ماسة لأصول الفقه لوجود الأئمة بين ظهرانيهم، ويُسْرُ الرجوع إليهم، وكل الذي كانوا بحاجة إليه بعض القواعد العامة، وبخاصة ما يرتبط بتقييم الراوي وتعارض الروايتين، وأمثال هذه، فلا إخال أن هشاماً وهو

يعلم هذا يقوم بوضع شيء في الأصول، ودون أن يضمنه أحاديث عن الأئمة تعرب عن القواعد الأصولية، ولو أشير فيه إلى ذلك لنقل عنه لأهيمة الموضوع.

وذُكرتْ أيضاً كتب أخرى في بعض موضوعات من أصول الفقه أمثال كتب أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي من القرن الثالث الهجري، وهي:

- الخصوص والعموم.
- ابطال القياس.
- نقض اجتهاد الرأي.

وكتب الحسن بن موسى النوبختي، وهي:

- خبر الواحد والعمل به.
- الخصوص والعموم(١).

وهذا - كما ترى - يعني أن الشيخ المفيد أول من قام بتدوين كامل لعلم أصول الفقه.

ولمسؤوليته في تكوين المدرسة الأصولية التي تحمّلها أثر واضح في هذا.

٢ - تأليفه في المتن الفقهي:

فقد ألف فيه رسالته المسماة بـ(المقنعة)، وهي مجموعة فتاواه لمقلديه، ولم يلتزم فيها بمتون وعبارات ونصوص الأحاديث، وإنما كانت من تعبيره وبأسلوبه الخاص.

وهو يهدف بهذا إلى إنهاء ما التزمت به مدرسة الفقهاء المحدثين من الفقه المأثور أو الافتاء بالمأثور.

وهي أول رسالة - في حدود اطلاعي - تؤلف بهذه الطريقة التي لم تلتزم الافتاء بالمأثور.

٣ - تأليفه في نقد الحديث:

حيث ألف فيه كتاب المذكور اسمه في قائمة مؤلفاته، وهو (الكلام في فنون الخبر المختلف بغير أثر).

ومن عنوان الكتاب يفهم أنه يريد أن يُلمس أهلَ الحديث أن في المرويات مختلقات، فلا بد من تلمُّس الطريق إلى نقد الحديث، والتوقف عن التطرف في الافراط بالعمل به دونما تأكد من صدوره عن المعصوم.

(١) انظر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام - فصل أول من صنف في أصول الفقه.

وألف فيه أيضاً كتابه الآخر، والمذكور عنوانه في قائمة مؤلفاته أيضاً، وهو (مقابس الأنوار في الرد على أهل الأخبار).

وعنوانه صريح في تحديد موقفه من الأفراط في الأخذ بالحديث.

٤ - تأليفه في نقد اجتهاد الرأي والقياس:

فقد ذُكر في قائمة مؤلفاته الاسمان التاليان:

- كتاب النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي.
- مسألة القياس.

٥ - تدريسه الفقه وأصوله:

وكما رأينا أن المؤلفاتِ المذكورة أسماؤها في أعلاه كان لها الدور الكبير في التخفيف من ثقل مدرسة المحدثين، ومن ثقل مدرسة القديمين، لئلا يكون في البين منهجان وخطان متعارضان أو متوازيان.

وقد استطاعت أن تحقق أهدافها بتدعيمه لها من خلال تدريسه للفقه وأصوله.

٦ - تربيته لتلامذته على الالتزام بخط مدرسته:

ومن أبرز هؤلاء الذين أكّد وركّز على تربيتهم: الشريف المرتضى والشيخ الطوسي.

وقد رأينا أثر تربيته في كتابيهما الكبيرين في أصول الفقه (الذريعة) و(العدة)، فقد بُنيا على ما أسس أستاذهما المفيد في أصول الفقه تأليفاً وتدريساً.

وبهما - أعني الذريعة والعدة - تركّز أصول الفقه، وهيمن على الجو العلمي الشرعي، واستقطب حلقات الدرس الفقهي.

وصارا المصدرين الأساسيين اللذين رجع إليهما كل من ألّف في أصول الفقه من العلماء من تلامذة السيد والشيخ، ومن جاء بعدهم.

٧ - تكوين بغداد مركزاً علمياً للإمامية:

وبفعل جهود الشيخ المفيد، وعلاقته بالحكام من آل بويه استطاع أن يكوّن من بغداد مركزاً علمياً للفقه الإمامي استقطب وجلب الطلاب من كل بلاد المسلمين، وازدهر بما تفوق به على ما سواه من مراكز بالنتاج الفكري الجديد في الفقه وأصوله، والحديث ورجاله، والعقيدة ومقالاتها، وما إلى هذه.

٨ - فتح الفروع العلمية:

فقد ذكر تاريخياً أن الشيخ المفيد وتلامذته، وبخاصة الشريف المرتضى والشيخ الطوسي، عملوا على فتح فروع علمية لمركز بغداد.

ومن أهم هذه الفروع مركز حلب العلمي الذي أدار الحركة العلمية فيه؛ القاضيان ابن البراج والديلمي، وكان من أعلامه بنو زهرة، فقد أسهم هذا المركز اسهاماً ملحوظاً في تركيز المدرسة الأصولية[1].

٩ - توسيع نطاق المرجعية:

ولأجل أن يرسّخ الشيخ المفيد أُسُسَ مدرسته الأصولية عمل على توسيع مسؤوليات المرجعية بما يشمل الافتاء والتدريس وادارة شؤون التعليم الفقهي باقامة منشآته والصرف على طلابه ومختلف احتياجاته واحتياجاتهم، وتعيين الوكلاء في المناطق وايفاد المبلغين، ونصب القضاة في البلدان، وجباية الأحوال الشرعية، وتعهد شؤون الشيعة بخاصة والمسلمين بعامة في اطار التوجيه إلى الصالح، والدفاع عن حقوقهم أمام الحكام والموظفين من قبلهم.

وهو عامل مهم في نشر الفكرة وتوطيد المبدأ.

وبتأثير هذه الأعمال حقق الشيخ المفيد النجاح لمدرسته، واستطاع أن يجعلها الوريث السليم السوي لمدرسة المحدثين ومدرسة القديمين في الهيمنة على مراكزهما أيضاً.

١٠ - معالم مدرسته الأصولية:

وأهم وأبرز معالم مدرسة الشيخ المفيد الأصولية، هي:

١ - تربيع مصادر الفقه

فقد ذكر الشيخ المفيد في كتابه (أصول الفقه) منها:

- الكتاب.
- السنة.
- حديث الأئمة.

وأشار فيه إلى أهمية العقل، وإلى مصدريته ومصدرية الاجماع في كتب أخرى له - كما سيأتي.

---

(١) يرجع لمعرفة المزيد إلى كتابنا (تاريخ التشريع الإسلامي).

وذكر تلميذاه المرتضى والطوسي في (الذريعة) و(العدة):

- الكتاب.
- السنة.
- الاجماع.

واثار الشريف المرتضى إلى مصدرية العقل في أحد من رسائله[١].

٢ - توثيق السنة:

وذلك بلزوم دراسة السند، كما هو واضح في عدة الشيخ الطوسي في مبحث خبر الواحد.

٣ - استخدام القواعد الأصولية في دراسة دلالات الألفاظ لاستفادة الحكم الشرعي من نصوص القرآن والحديث، وفي بيان وظيفة المكلف عند الشك في الحكم.

ترى هذا مجسوعاً ومتفرقاً في مؤلفات المدرسة في تلكم الحقبة من الزمن.

٤ - اعتماد دراسة رجال الحديث

وتمثل هذا في مؤلفات الشيخ الطوسي: الاختيار والأبواب والفهرست، وفي كتاب معاصره في الزمن ومزامله في الدرس الشيخ أبي العباس النجاشي.

٥ - اعتماد طريقة الاستدلال الفقهي

وبدأ هذا في كتاب (المبسوط في فقه الإمامية) للشيخ الطوسي.

١١ - نصوص في تراثه:

وبعد هذا التعريف الموجز لعمل الشيخ المفيد في تأسيس المدرسة الأصولية، والتي عليها مدار الدرس والاجتهاد منذ عهده حتى الآن، من المفيد أن أذكر بعض النقول من كتبه التي تشير إلى شيء مما تقدم - وهو مما زودتني به مشكورة ومقدرة لجنة هذه الذكرى الألفية الكريمة - وهي:

١ - نص منقول من رسالته (جوابات المسائل السروية) من ص(٢٢٢) إلى ص(٢٢٤) ينقد فيه طريقة شيخه أبي جعفر الصدوق واتباعه من أصحاب الحديث، وطريقة شيخه ابن الجنيد، ثم يبين طريقته التي شرعها مستفيداً اياها من واقع الموروث الشرعي وخطوات التعامل معه، وهو:

---

(١) انظر: كتابنا (تاريخ التشريع الإسلامي) - عهد ابتداء الغيبة الكبرى.

«لا يجوز لأحد من الخلق أن يحكم على الحق، فما وقع فيه الاختلاف من معنى كتاب أو سنة أو مدلول دليل عقلي لا يعمل به إلّا بعد احاطة العلم بذلك، والتمكن من النظر المؤدي إلى المعرفة، فمتى كان مقصراً عن علم طريق ذلك فليرجع إلى من يعلمه، ولا يقول برأيه وظنه، فإن عوّل على ذلك فأصاب الاتفاق لم يكن مأجوراً، وإن أخطأ الحق فيه كان مأزوراً».

والذي رواه أبو جعفر - رحمه الله - فليس يجب العمل بجميعه إذا لم يكن ثابتاً من الطرق التي تعلق بها قول الأئمة عليهم السلام، إذ هي أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً، وروايتها عمن يجوز عليه السهو والغلط.

وإنما روى أبو جعفر - رحمه الله - ما سمع، ونقل ما حفظ، ولم يحسن العهدة في ذلك.

وأصحاب الحديث ينقلون الغث والسمين، ولا يقتصرون في النقل على المعلوم، وليسوا بأصحاب نظر وتفتيش، ولا فكر فيما يروونه وتميز، فاخبارهم مختلفة لا يتميز منها الصحيح من السقيم إلّا بنظر في الأصول، واعتماد على النظر الذي يوصل إلى العلم بصحة المنقول.

فأما كتب أبي علي بن الجنيد فقد حشاها بأحكام عمل فيها على الظن، واستعمل فيها مذهب المخالفين، والقياسَ الرَذِلَ، فخلط بين المنقول عن الأئمة عليهم السلام، وبين ما قاله برأيه، ولم يفرد أحد الصنفين من الآخر، ولو أفرد المنقول من الرأي لم يكن فيه حجة لأنه لم يعتمد في النقل المتواترَ من الأخبار، وإنما عوّل على الآحاد.

وإن كان في جملة ما نقل غيره من أصحاب الحديث ما هو معلوم (إلّا أنه لم) يتميز له ذلك، لعدولهم عن طريق النظر فيه، وتعويلهم على النقل خاصة، والسماع من الرجال، والتقليد دون النظر والاعتبار.

فهذا ما عندي في الذي تضمنته الكتب للشيخين المذكورين في الحلال والحرام من الأحكام.

وللشيعة أخبار في شرايع مجمع عليها من عصابة الحق، ومختلف فيها، للعاقل المتدبر أن يأخذ بالمجمع عليها، كما أمر به الإمام الصادق عليه السلام، ويقف في المختلف فيه ما لم يعلم حجة في أحد الشيئين منه، ويرده إلى من هو أعلم منه، ولا يقنع منه بالقياس فيه دون البيان على ذلك والبرهان، فإنه يسلم بذلك من الخطأ في الدين، والضلال إن شاء الله.

وقد أجبت عن كثير من الأخبار المختلفة في مسائل ورد عليّ بعضها من نيسابور، وبعضها من الموصل، وبعضها من فارس، وبعضها من ناحية تعرف بمازندران، وكل ذلك تتضمن مسائل مختلفة جاءت فيها الأخبار عن الصادقين عليهم السلام.

وأَودعت في كتاب (التمهيد) أجوبة عن مسائل مختلفة، جاءت فيها الأخبار عن الصادقين ﷺ، وافتيت بما يجب العمل عليه من ذلك بدلالة لا يطعن فيها، وجمعت معاني كثيرة من أقاويل الأئمة ﷺ، يظن كثير من الناس أن معانيها تتضاد، ويثبت اتفاقها في المعنى، وأزلت شبهات المستضعفين في اختلافها.

وذكرت مثل ذلك في كتاب (مصابيح النور في علامات أوائل الشهور).

وشرعت طرقاً يوصل فيها إلى معرفة الحق فيما وقع فيه الاختلاف بين أصحابنا من جهة الأخبار.

وأجبت عن المسائل التي كان ابن الجنيد جمعها وكتبها إلى أهل مصر، ولقبها بـ(المسائل المصرية)، وجعل للأخبار فيها أبواباً، وظن أنها مختلفة في معانيها، ونسب ذلك إلى قول الأئمة ﷺ فيها بالرأي، وأبطلت ما ظنه في ذلك وتخيله، وجمعت بين جميع معانيها حتى لم يحصل فيها اختلاف.. فمن ظفر بهذه الأجوبة، وبانصافٍ قرأها، وفكّر فيها فكراً شافياً، سهل عليه معرفة الحق في جميع ما يظن أنه مختلف، ويتقن ذلك مما يختص بالأخبار المروية عن أئمتنا ﷺ...».

٢ - نص منقول من رسالته (جوابات المسائل الصاغانية) ص١٠ يشير فيه إلى طريقته في الجمع بين النقل والعقل، وهو: «إنّا نقول في الشريعة ما يوجب اليقين منها والاحتياط للعبادات، نعوّل على الحكم في الأشياء بما يقتضيه الأصل إن كان يدل عليه دليل خطر أو إباحة من طريق السمع أو العقل».

٣ - نص منقول من كتاب (التذكرة) في أصول الفقه - وهو الأصل الذي اختصر من كتابه (أصول الفقه) المقدم ذكره - ص١٩٣ يحد ويحدد فيه الإجماع عند الإمامية، وهو:

«وليس في اجماع الأمة حجة من حيث كان اجماعاً، ولكن من حيث كان فيها الإمام المعصوم، فإذا ثبت أنها كلها على قول، فلا شبهة في أن ذلك القول قول المعصوم، إذ لو لم يكن كذلك كان الخبر عنها بأنها مجمعة باطلًا، فإنما تصح الحجة باجماعها لهذا الوجه».

٤ - نص منقول من رسالته وجوابات أهل الموصل (في العدد والرؤية) ص٢٥ - ٢٦ يوضح فيه المقصود من مصطلح (العامة) المذكور في الحديث المروي عن الإمام الصادق ﷺ في الترجيح بين الحديثين المتعارضين، وهو:

«والحديث المعروف قول أبي عبد الله ﷺ، قال: إذا أتاكم عنا حديثان مختلفان فخذوا بما وافق منهما القرآن، فإن لم تجدوا لهما شاهداً من القرآن فخذوا بالمجمع عليه، فإن المجمع عليه لا ريب فيه، فإن كان فيه اختلاف وتساوت الأحاديث فيه، فخذوا بأبعدهما من قول العامة.

والحديث في العدد يخالف القرآن فلا يقاس بحديث الرؤية الموافق للقرآن، وحديث الرؤية قد أجمعت الطائفة على العمل به فلا نسبة بينه حديث يذهب إليه الشذاذ، وهو موافق لمذهب أهل البدع من الشيعة والغلاة».

٥ - نص منقول من كتاب (أوائل المقالات) ص١٥٤ يشير فيه إلى وفاء النصوص المروية عن أهل البيت عليهم السلام بتزويد الفقيه بالأحكام لكل الوقائع، فلا يحتاج معها إلى الرأي والقياس وأمثالهما، وهو:

«أقول: إن الاجتهاد والقياس في الحوادث لا يسوغان للمجتهد ولا للقائس، وإن كل حادثة ترد فعليها نص من الصادقين عليهم السلام يحكم به فيها، ولا يتعدى إلى غيرها، بذلك جاءت الأخبار الصحيحة والآثار الواضحة عنهم عليهم السلام، وهذا مذهب الإمامية خاصة، ويخالف فيه جمهور المتكلمين وفقهاء الأمصار».

٦ - نص منقول من رسالته (جوابات المسائل السروية) ص٢٢٢ ينقد فيه مرويات الصدوق، يقول:

«والذي رواه أبو جعفر - رحمه الله - فليس يجب العمل بجميعه إذا لم يكن ثابتاً من الطرق التي تطلق بها قول الأئمة عليهم السلام، إذ هي أخبار آحاد، لا توجب علماً ولا عملاً».

رحم الله الشيخ المفيد رحمة المجاهدين الأبرار، وجزاه عن عمله هذا خير جزاء المحسنين الاطهار.

٢ - الفقيه الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)

شيخ الطائفة

١ - مولده، هجرته إلى بغداد، أساتذته:

ولد - رحمه الله تعالى - في طوس من مدن خراسان عام (٣٨٥هـ) هاجر إلى بغداد سنة (٤٠٨) بغية الدراسة، وكانت يومه من أهم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي لما تتمتع به من مركز سياسي كان العامل الأهم في تكوين وسعة الحياة العلمية والدراسية فيها، وبخاصة أيام حكم البويهيين الذين عاصرهم الطوسي مدة اقامته في بغداد، كما سنراه عند حديثنا عن المكتبة التي انشأها وزير بهاء الدولة البويهي.

ولازم (الشيخ المفيد) المرجع الأعلى للشيعة ومتكلمهم الأكبر آنذاك، يتّلمذ على يده، ويحضر مجلس درسه، حتى توفي سنة (٤١٣) فلازم تلميذه والقائم بمسؤولية

المرجعية والزعامة العلمية والدينية مقامه (السيد المرتضى علم الهدى) يحضر تحت كرسي درسه ويتّلمذ عليه، إلى أن توفي عام (٤٣٦).

٢ - مرجعيته:

فاستقل الشيخ الطوسي بمهمة الزعامة وبأعباء المرجعية العليا فكان له كرسي الدرس وهو إشارة الزعامة المطلقة حينذاك.

٣ - عوامل تكوين شخصيته العلمية:

ومن ملازمة وتلمذة الشيخ الطوسي على هذين العلمين (المفيد والمرتضى) نستطيع أن نتعرف على أنها العامل الأهم في تكوين وصياغة شخصيته العلمية، وفي اعطائه أو حصوله على منصب المرجعية العليا، ورتبة الزعامة العلمية المطلقة... يضاف إلى ذلك مواهبه التي اهلته ودفعته إلى تسنم هذا المقام.

وكان ينزل جانب الكرخ من بغداد إذ كانت منزل الشيعة وملتقى علمائهم ومثقفيهم، وفيها (المكتبة) التي انشأها أبو نصر (سابور بن ارد شير) وزير بهاء الدولة البويهي، والتي كانت من مهمات دور العلم يومذاك، يقول ياقوت الحموي: «لم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة».

وربما كانت - بالإضافة إلى كونها مرجعاً للتأليف والدراسة مدرسة مهمة لبث ونشر الفكرة الإسلامية المستمدة من منبعها الأصيل (مذهب أهل البيت عليهم السلام).

وبقي - رحمه الله تعالى - في بغداد حتى هجوم السلاجقة عليها بقيادة (طغرل بيك) عام (٤٤٧) حيث قاموا بحرق ونهب المنازل والمؤسسات في جانب الكرخ، وكان من بينها أن حرقت المكتبة - مارة الذكر - فافقدوا الأمة الإسلامية تراثاً ثقافياً ذا أهمية كبرى، كما حرقت مكتبته وكرسي تدريسه، ونهبت داره، وضيق الخناق عليه، وهذا مما دفعه إلى أن يهرب بأفكاره إلى (النجف) عام (٤٤٩هـ).

٤ - اعماله العلمية والتربوية، كتاباته الريادية في الفقه:

وربما كان اختياره النجف مهجراً لضمان حريته الفكرية، ولوجود نواة للحركة العلمية فيها - كما اشرت إليه فيما تقدم - ولأنها من العتبات المقدسة باحتوائها مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولأنه يستطيع أن يجعل منها مركزاً للحركة العلمية، ومنطلقاً لأفكاره وآرائه، فيستعيد بذلك مكانة الشيعة الثقافية والاجتماعية التي فقدوها في بغداد على أيدي السلاجقة، فكان أن تأسست جامعة النجف بفضل جهوده.

فقد كان - رحمه الله تعالى - انطلاقة الحياة العلمية فيها، في حركتها وروحانيتها، وفي اصالتها وعمقها، وفي بعدها وشمولها وكان الكلمة الأولى في اندفاعتها الرسالية، والحجر الأساس في مختلف بنياتها الثقافية والاجتماعية.

كان - بكلمة واحدة - الإمام المفكر، والقائد اليقظ في شؤونها.

وربما كانت هذه نتائج خبرته التي افادها من معاصرته لزعامة شيخه المفيد وزعامة سيده المرتضى - قدس سرهما - ومن تجارب زعامته في بغداد.

وقد تميز إلى جانب تزعمه حركة الدراسة في جامعة النجف وادارة شؤونها منذ بدء تأسيسها بأعمال ضمنت لها الاستمرار والتقدم وأهمها ما يلي:

١ - تطويره - فيما اعتقد - في مناهج وطرائق البحث والدراسة في العلوم المتعارف دراستها في الجامعة، وفي ابداع الآراء في مختلف مجالات الدراسة العالية، أمثال: التفسير والحديث والرجال والفقه وأصوله.

٢ - تربيته تلامذته تربية أهلتهم للمهمة التي كان يعدهم لها وهي القيام بمسؤولية استمرار الجامعة وتقدم الحركة الدراسية فيها ونلمس تطويره بوضوح في مؤلفاته في العلوم المذكورة:

أ - ففي التفسير: نستجلي النتيجة المذكورة في كتابه (التبيان في تفسير القرآن) فـ«هو أول تفسير جمع فيه مؤلفه أنواع علوم القرآن، وقد أشار إلى فهرس مطوياته في ديباجته ووصفه بقوله: (لم يعمل مثله) واعترف بذلك أمام المفسرين (أمين الإسلام الطبرسي) في مقدمة كتابه الجليل (مجمع البيان في تفسير القرآن) فقال: إنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق، ويلوح عليه رواء الصدق، وقد تضمن من المعاني الأسرار البديعة، واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا تنسيقها دون تحقيقها، وهو القدوة استضيء بأنواره، واطأ مواقع آثاره».

ب - وفي الحديث: في كتابيه (تهذيب الأحكام) و(الاستبصار) اللذين هما من الكتب الأربعة المعتبرة والمصادر الأولى للحديث عند الإمامية... ولعلنا نلمس تطويره أكثر وضوحاً في (الاستبصار) الذي ضمنه ما اختلف فيه من الأخبار، مع تعليقه عليها بالجمع والنوفيق بينهما حسبما يرتأيه مما ينطبق على قواعد وأصول الجمع بين الأخبار المختلف فيها.

جـ - وفي الرجال: في كتابه المعنون بـ(رجال الشيخ الطوسي) ونستوضح تطويره في هذا العلم - الذي يصنف فيه عادة الرجال إلى طبقات - في تفصيله بين من يروي عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وبين من لم يرو عنهم، بخلاف كتب الرجال التي سبقته فإنها لم

تصنف الرواة هذا التصنيف... وهو شيء له أهمية في مجال تقييم أسانيد الأخبار. بالإضافة إلى جوانب أخرى تذكر في مظانها من مقدمات كتب الرجال.

ونستوضحه - أيضاً - في كتابه المعروف بـ(الفهرست) أو (فهرست الشيخ) في «عقده لكل اسم مشترك أو مختلف باباً من أوله إلى آخره»... وهو شيء له أهميته أيضاً في معرفة وتقييم رواة الحديث.

د - وفي أصول الفقه: في كتابه (عدة الأصول) الذي ساهم فيه بمهمة تطوير أصول الفقه من دور اعتماد قواعده في استنباط الأحكام بشكلها الابتدائي الأخذ بالتكامل إلى دور البحث والتأليف الذي ابتدأ بشيخه (المفيد)... يقول السيد بحر العلوم في تقييم كتاب (عدة الأصول) مقارناً إياه بما سبقه من كتب: «وهو أحسن كتاب صنف في الأصول».

هـ - وفي الفقه: في كتابه (النهاية) الذي يعد من أجل كتب الفقه، نستجلي ذلك في اتخاذه محور البحث والتدريس والشرح حتى ألف (المحقق الحلي) كتابه (شرائع الإسلام) فحل محله - شأن ما نراه اليوم في الدراسة الفقهية في جامعة النجف بالنسبة إلى (العروة الوثقى) للسيد الطباطبائي اليزدي -.

وفي كتابه (الخلاف) نلاحظ ذلك في ذكره المسائل الخلافية بين المذاهب الإسلامية، وبيانه قيمة الرأي في المسألة في ضوء ما يتوصل إليه من نقد الأدلة نقداً علمياً.

وربما كان (الخلاف) أول كتاب خلافي عند الإمامية.

وفي كتابه (المبسوط) نرى ذلك في سعته وشموله لأبواب الفقه، وفي أصالة وعمق استدلاله...

وهو أهم كتاب يمثل التطور الذي وصل إليه الفقه زمن الشيخ الطوسي في تنقيحه «من حيث الموضوعات والمسائل، فإن كل مسألة تذكر فيها الفتوى أولًا ثم يعقبها دليلها، ففي ذلك العصر كانوا لا يكتفون بذكر ما ورد في الأخبار من الكليات، بل ذكروا تفرعاتها ومصاديقها المتكثرة التي تستفاد من تلك الأدلة فصار الفقه جامعاً لجميع المسائل مع ادلتها منقحة نسبياً بينما لم تكن هذه الطريقة معهودة قبل ذلك»... يقول في مقدمته: «فإني لا أزال اسمع بمعاشر مخالفينا من المتفقهين والمنتمين إلى علم الفروع يستحقرون فيه أصحابنا الإمامية ويستهزئون... إلى أن قال: وهذا جهل منهم بمذهبنا، وقلة تأمل لاصولنا ولو نظروا في أخبارنا وفقهنا لعلموا أن جل ما ذكروه من المسائل موجود في أخبارنا، منصوص عليه تلويحاً من أئمتنا... ثم قال في آخر كلامه: فعدلت إلى عمل كتاب يشتمل على عدد يجمع كتب الفقه فصلها الفقهاء وهو نحو من ثلاثين أو ثمانين كتاباً، اذكر كل كتاب منه على غاية ما يمكن تلخيصه من الألفاظ».

٥ - قوة فكره وهيمنته حتى عهد ابن ادريس:

ونلمس أثر تربيته في تلامذته، فيما تمتع به من عناية تربوية فهو عندما يحاضر لا يكتفي بإلقاء الموضوع أو عرضه فقط، وإنما كان يهيىء من تلامذته مشاركين يجاولونه ميدان التفكير والتحقيق مما جعله يفرض احترامه - بصفته عالماً - فرضاً، وبخاصة في مجالات الفقه والحديث، الذي اضفى عليه هالة من التقديس لمنهجه الفقهي ولطريقته في الحديث والرجال ولآرائه من قبل تلامذته تقديساً بلغ حد عدم الجرأة على مخالفة طريقته وآرائه فـ«قد قيل: إن كتبه المعروفة في الفقه والحديث لعظم مكانتها خدرت العقول وسدت عليها منافذ التفكير في نقدها قرابة قرن». . . وقيل أنهم لقبوا بـ(المقلدين) نظراً لالتزامهم منهج الشيخ الطوسي وعدم خروجهم على آرائه».

واستمر هذا الجمود في الذهنية الفقهية بعد الشيخ الطوسي والذي كاد أن ينهي إلى غلق باب الاجتهاد عند الإمامية حتى أيام (الشيخ محمد بن إدريس الحلي) صاحب كتاب (السرائر) الذي التفت إلى ذلك فشن حملة من النقد العنيف على منهج وطريقة الشيخ الطوسي، فكانت أيامه فاتحة عهد جديد في الفقه الإمامي وبداية دور تميز «بالبحث الاستدلالي حول المسائل الفقهية».

يقول الشيخ ابن إدريس - بعد نقده جمود الذهنية الفقهية في تلكم الفترة، عارضاً منهجه الفقهي - في مقدمة كتابه (السرائر) «فاعتقادي فيه (أي في السرائر) أنه أجود ما صنف في فنه، واسبقه لايفاء سنه، واذهبه في طريق البحث والدليل والنظر، لا الرواية الضعيفة والخبر، فإني تحريت فيه التحقيق، وتنكبت ذلك عن طريق، فإن الحق لا يعدو أربع طرق: أما كتاب الله سبحانه، أو سنة رسوله ﷺ المتواترة المتيقن عليها، أو الاجماع أو دليل العقل، فإذا فقد الثلاثة فالمعتمد في المسألة الشرعية عند المحققين الباحثين عن أخذ الشريعة التمسك بدليل العقل، فإنها مبتغاه وموكولة إليه».

وربما يفاد من عبارته هذه: أنه أول من أوضح مكانة العقل في مجال التشريع، ونادى إلى اعتباره مصدراً من مصادر التشريع، وبيّن مرتبته في تسلسل المصادر الأربعة، حيث يأتي دور الرجوع إليه عند فقدان الأدلة الثلاثة الأخرى «فكان له الفضل في فتح أبواب التطور للفقه الإسلامي حيث دعا إلى التمسك بالادلة العقلية، بينما كان الاعتماد في الاعصار السابقة (قبله) على النص».

خلف الشيخ الطوسي مؤلفات كثيرة، عرفنا فيما تقدم مدى تطويره وأثره فيها في المنهج والفكرة.

يضاف إليه: ظاهرة أخرى قد «لا توجد فيما عداها من مؤلفات السلف (وهي كونها)

المنبع الأول والمصدر الوحيد لمعظم مؤلفي القرون الوسطى، حيث استقوا منها مادتهم وكونوا كتبهم، (وكونها) حوت خلاصة الكتب المذهبية القديمة وأصول الأصحاب».

وربما كان توفر مؤلفاته على هذه الميزة بسبب ظروفه الخاصة التي هيأت له المراجع الأصيلة والوافية لمختلف العلوم التي ألّف ودوّن فيها، فقد كانت مكتبة استاذه (علم الهدى) في متناوله، وهي من أهم خزائن الكتب في بغداد آنذاك حيث كانت تضم (ثمانين ألف) كتاب، وكانت مكتبة (سابور) - المتقدمة الذكر - في متناوله أيضاً، ورأينا أنها «كانت تحتضن الكتب القديمة الصحيحة التي هي بخطوط مؤلفيها أو بلاغاتهم».

يضاف إليه: مركزه في الزعامة الذي يوفر - عادة - لامثاله الامكانيات الكافية للحصول على وسائل التأليف والتدوين المتطلبة.

٦ - وأهم مؤلفاته:

١ - الأبواب، ويسمى (رجال شيخ الطائفة) وهو المعروف بـ(رجال الشيخ).

٢ - اختيار الرجال... مهذب رجال الكشي.

٣ - الاستبصار فيما اختلف من الأخبار.

٤ - الأمالي (ويسمى المجالس)... في الحديث.

٥ - التبيان في تفسير القرآن.

٦ - تلخيص الشافي... في الإمامة.

٧ - تهذيب الأحكام... في الحديث.

٨ - الخلاف... في الفقه.

٩ - العدة... في أصول الفقه.

١٠ - الغيبة... في غيبة الإمام المنتظر عليه السلام.

١١ - الفهرست... في الرجال.

١٢ - المبسوط... في فقه الإمامية.

١٣ - مصباح المتهجد... في الأدعية والأعمال.

١٤ - المفصح... في الإمامة.

١٥ - النهاية... في الفقه.

وقد طبع قسم منها عدة طبعات في إيران والعراق والهند.

أما مشايخه - غير المفيد والمرتضى - وتلامذته فكثيرون، يرجع في التعرف عليهم إلى من ارخ لهم من باحثي سيرته المقدسة.

توفي - طاب ثراه - في النجف الأشرف يوم (٢٢) من شهر محرم الحرام عام (٤٦٠)، ودفن في داره حسب وصيته ثم حولت مسجداً وفق وصيته أيضاً.

ولا يزال المسجد يعرف باسمه الشريف، وهو يضم مرقده المطهر.

٣ - الشيخ الشاعر أبو بحر الخطي (ت ١٠٢٨هـ)

شاعر مميز في عصر الانحطاط

١ - وصف لعصر الخطي:

عاش الشاعر أبو البحر الخطي أواخر القرن العاشر وأوائل الحادي عشر الهجريين، متنقلًا بين القطيف والبحرين وبلاد فارس، وقد منيت هذه الحقبة من الزمن في البلدان المذكورة بشيء ملموس من الركود الأدبي.

ويرجع هذا إلى ما أصاب العراق والبلدان العربية على ساحل هذا الخليج الأخضر من اضطرابات سياسية نتيجة السجال الحربي وتبادل النفوذ الأداري بين العثمانيين والصفويين، ومن كان يتحرك في فلكها من قبائل وأسر وشخصيات سياسية واجتماعية.

يقول الشيخ اليعقوبي في كتابه (البابليات): «انتابت العراق في هذا القرن (يعني القرن العاشر الهجري) من أعالي الشمال إلى أقاصي الجنوب نكبات ومحن واضطرابات وفتن أثارتها العصبيات القومية والنعرات الطائفية، وظلت البلاد أكثر من مائة عام لا تستقر على حال من القلق، حروب وغارات وذحول وثارات، تحت استعمال الفرس مرة وارهاق الاتراك أخرى، وذلك منذ هجوم الشاه إسماعيل الصفوي ملك إيران سنة ٩١٤هـ على بغداد واستيلاء أولاده وأحفاده بعده كالشاه طهماسب والشاه عباس والشاه صفي، وحروبهم مع التركمان أولًا وملوك آل عثمان ثانياً منذ عهد السلطان سليمان القانوني إلى دخول السلطان مراد إلى بغداد عام ١٠٤٨هـ.

كل ذلك وأبناء الرافدين تقاسي ما لا يستغرقه الوصف من القتل والتمثيل والانتقام والتنكيل، وما إلى ذلك من ردم المدارس والمعاهد وتخريب المعابد والمشاهد، وخاصة في دار السلام بغداد.

ومما لا ريب فيه أن تلك الحوادث المؤلمة أدت إلى القضاء على روح النهضة العلمية وشلّ يد الحركة الأدبية، فتضاءلت أصوات العلماء، وخمدت قرائح الأدباء، فلا تكاد تسمع يومئذٍ للعربية وآدابها صوتاً.

وإذا كان هناك آحاد من القوم يستحقون الذكر فقد طوى متأخرو المؤرخين عنهم كشحاً، وضربوا على اسمائهم حجاباً كثيفاً من الاهمال والخمول فعميت على الناس أخبارهم وانطمست آثارهم، حتى انبرى إمام أئمة الأدب وأشهر أعلامه في القرن الحادي عشر العلامة الأديب الشهير السيد علي خان المدني المتوفى سنة ١١١٩هـ فعرفنا في كتابه (سلافة العصر) بأسماء بضعة رجال نبغوا في الحلة والنجف كانوا قد نشأوا في أخريات القرن العاشر، وعاشوا في أواسط الحادي عشر (عصر المؤلف) ثم اقتضى أثره معاصره ومادحه الشيخ محمد علي بشارة النجفي فترجم في كتابه الذي سمّاه (نشوة السلافة) لجماعة آخرين من الحلة والنجف وكربلاء ممن لم يصل إلى صاحب السلافة شيء من أحوالهم، ولولاهما لما عرفنا عن أولئك النفر شيئاً».

وكما ألمحت، ما أصاب العراق أصاب هذا الساحل الشرقي من الجزيرة العربية، يقول الأستاذ المسلم في كتابه (القطيف) ص ٢٢٦-: «لقد قلنا: إن القطيف كانت في مقدمة المقاومين للاحتلال البرتغالي باعتباره امتداداً للحروب الصليبية، فقاوموه أشد المقاومة، وكانوا يرون الخلاص في الانضواء تحت ظل الحكم العثماني باعتباره القوة الإسلامية الكبرى التي تقاوم الغزو الصليبي، ولكن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن، فحين استولى الأتراك أرهقوا المواطنين بالضرائب الباهظة، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار وارتكبوا أعمالًا تعسفية فادحة ضد الأهالي، والأنكى من ذلك أنهم أثاروا النعرة الطائفية، لا سيما حين تحالف البرتغاليون مع غريمتهم الدولة الصفوية التي ما زالت الحرب سجالًا بينهما، فتردت الأوضاع من سيء إلى أسوأ، وأدت إلى نشوب ثورات أهلية، استمرت طيلة عهدهم، وإلى نزوح بعض من الشخصيات المهمة مع عوائلهم إلى الخارج، وكان من جملتهم الشاعر جعفر الخطي الذي انتظم في بعثة سياسية إلى البحرين وإيران للاستنجاد بالدولة الصفوية، وقد عَزَتِ السلطات العثمانية تلك الاضطرابات إلى تغلغل النفوذ البرتغالي وإلى عملاء الدولة الصفوية، حتى أنها عمدت إلى إغلاق طرق الحج عبر موانىء الأحساء والعراق».

ويقول أيضاً معرّفاً بشاعرنا أبي البحر - ص ٣٦٨-: «هو أبو البحر الشيخ جعفر بن محمد بن حسن بن ناصر بن عبد الإمام الخطي، ويرجع نسبه إلى بني عبد القيس، ولد بالتوبي إحدى قرى القطيف، وتلقى تعليمه وبرزت شخصيته كشاعر كبير يشار إليه بالبنان، وصارت له مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية والسياسية في عصره، وكان من جملة من غادروا القطيف من الشخصيات تبرماً من الأوضاع التي سادت في العهد التركي».

ذكرتُ هذا لأصوب النظرة على موضوع العبقرية في شخصية الشاعر الخطي.

٢ - الخطي بين شعراء عصره:

إنها تتمثل عبقريته في ما تميّز به بين اقرانه من شعراء عصره الذي عرف بعصر الدول المتتابعة، حيث لم تأسره الظواهر الغنية لشعر هذا العصر، والتي من أبرزها الجمود على المقدمة الطللية التي التزمها عمود الشعر العربي منذ العصر الجاهلي مروراً بصدر الإسلام فالأموي ثم العباسي، وأخيراً عصر الدول المتتابعة، فقد حاول شاعرنا التمرد عليها مقتفياً بذلك أثر أبي نؤاس الشاعر العباسي الذي قام بالمحاولة قبله إلّا أنه لم يفلح، وكما لم يفلح أبو نؤاس لم ينجح هو أيضاً، فقد بقيت ظاهرة الوقوف على الأطلال حتى عصر النهضة الأدبية الحديثة، حيث استطاع الشعر الحديث تجاوزها.

وهذا يدلنا على وجود نزعة التجديد عند الشاعر أبي البحر.

ولعله لهذه الروح التي يحملها اقتدر أن يمثل النموذج الأعلى لشعر هذه المرحلة في تاريخ الشعر العربي - وعلى الأقل في شعر بلدان هذا الساحل -.

وتمثل هذا التجديد عنده في الاسلوب والفكرة.

فقد تميز اسلوبه بصفاء الديباجة ويسر العبارة وانسياب الألفاظ في اطار عفوية رابطت بينها ترابطاً جعله النمط السهل الممتنع.

كما تميّز بوضوح الفكرة وفي جوٍّ تخالها من الميسور، وهي بعيدة المنال.

من هنا وبهذا برزت عبقريته الشعرية.

وربما كان هذا هو سر خلود هذا الشاعر وسر شهرته التي لم يمتلكها شاعر آخر من معاصريه من شعراء القطيف والبحرين.

٤ - الفقيه الشيخ الدمستاني الكبير (ت١١١٨هـ)

من شعراء مدرسة الطف في البحرين

١ - الأدب البحراني في محيطه العربي:

إن الأدب البحراني كان ولا يزال يماشي أحدث التطورات الأدبية، في كل عصر من عصور أدبنا العربي الزاهرة، تمشياً يتناسب ومستوياته الاجتماعية والسياسية، . . . ففي كل عصر، وفي كل جيل، من عصورنا واجيالنا الأدبية، لانعدم أدباء أو أديباً على الأقل، يباري الحركات الأدبية في بلادنا، ولعل الأديب البحراني المعاصر (إبراهيم العريض) أفضل مثال يعرض نموذجاً في نثره وشعره، لتدعيم ما ذهبت إليه. . . وما يدرينا لعل في البحرين - الآن - إخواناً للعريض يشاركونه في تطلعه ومسايرته الأدب الجديد.

٢ - البحرين أيام الدمستاني

البحرين، تاريخ التسمية:

في حدود ما قرأته من معاجم اللغة والتاريخ - وهو قليل - رأيت أن اسم البحرين يطلق على وحدتين جغرافيتين تختلفان سعة وضيقاً وهما:

١ - المنطقة الواقعة بين البصرة وساحل عمان... وهي الوحدة الجغرافية الواسعة.

ويحددها (وليمسن) بما يقرب من التحديد المذكور، يقول: «وفي فترة من فترات التاريخ كان اسم البحرين يشير إلى منطقة واسعة تشمل الساحل الغربي من الجزيرة العربية المحددة بشبه جزيرة قطر عند الجنوب الشرقي، وحدود البصرة في الشمال الغربي، أي في المنطقة التي تعرف اليوم «بأم قصر» وكانت عاصمة هذه المنطقة الواسعة هي «واحة حسا» ومن ثم عرفت باسم «الهجر» وما نعرفه الآن باسم البحرين كان في ذلك الوقت يسمى «وائل»[(١) (٢)].

٢ - المنطقة الواقعة بين ساحلي قطر والأحساء (البحرين المعاصرة) وهي الوحدة الجغرافية الضيقة.

فحاولت جهدي أن أقف على تاريخ تسمية كل من هاتين الوحدتين الجغرافيتين بالبحرين، وعلى العوامل التي نشأ عنها هذا التغير في سعة الوحدة الجغرافية وضيقها، لأتعرف على ما تشمله كلمة البحرين من المساحة جغرافياً وسياسياً، فاكون مع الدمستاني في اجوائه الاجتماعية والثقافية العامة التي عاصرها وعاشها، ولعلي اتعرف إذا اسعفني التاريخ بالوقائع الكافية على مدى تأثر الدمستاني بتلكم الأجواء وعلى مدى تأثيره فيها.

حاولت جهدي لتلكم الغاية فلم أوفق، لقلة وايجاز المراجع في الموضوع بين يدي.

والشيء الذي استطعت أن اتوصل إليه هو: أن الدمستاني عاش أجواء البحرين المعاصرة، وسنقف على مدى تفاعله معها اجتماعياً وثقافياً فيما يأتي... وأن الدمستاني هاجر إلى القطيف، ولست ادري أكانت هجرته إليها لأنها قريبة من البحرين، ولأن فيها من

---

(١) فيما أخاله: أن البحرين - آنذاك - كانت تسمى ب(جزيرة اوال) لا (وائل)، باسم صنم كان فيها لبني وائل، لأن المعاجم العربية - في حدود ما رجعت إليه - لم تذكر أن البحرين سميت يوماً ما باسم (وائل)، والذي تذكره أنها كانت تسمى باوال، وفيها جزيرة كبيرة تسمى ب(اوال).

(٢) جولة في الخليج العربي، (بغداد: مطبعة دار منشورات البصري ١٩٦٢)، ترجمة سليم طه التكريتي ص١٨ و١٩.

يتجاوب معه من أهليها وعلمائها عقائدياً ونفسياً لأنه شيعي والقطيف شيعية، أم لأنها جزء من الوحدة الجغرافية الكبيرة للبحرين؟؟.. لأن المصادر التي بين يدي تهمل هذه النقطة أيضاً، وسيأتي الرأي الذي حاولت استنتاجه في تبيان العوامل التي دعت الدمستاني إلى اختيار القطيف مهجراً له.

وهذه الظاهرة (عدم التأريخ للكلمة) - فيما اخاله وفي حدود ما وقفت عليه - من أبرز الظواهر في لغتنا وتاريخنا، فقلما شاهدت معجماً لغوياً يؤرخ للكلمة، وقلما عثرت على مدونة تاريخية تتبع الكلمة في نشأتها وتطوراتها، وما أحوج الباحث عن موضوع خاص إلى من يوقفه على ذلك، لأن الكلمة - في واقعها - كائن حي يتأثر بالعوامل الطبيعية وغيرها، فيمر بمراحل وادوار تطورية تسلبه هذا المعنى أو ذاك، وتحمله هذا المعنى أو ذاك.

ولعلي واجد في موسوعاتنا ذلك متى عدت إلى دراسة الموضوع مرة ثانية.

البحرين في العهد الصفوي:

كانت البحرين أيام الدمستاني خاضعة لحكم (الصفويين) ملوك إيران سياسياً، يحكمها حاكم عام يمثل حكومتهم الإيرانية[١].

وكانت مزرعاً يحفل بالتمر أكثر من غيره.

ومرفأ للسفن التي تقطع الخليج العربي، قالعة من البصرة وعائدة إليها.

ومغاصاً يستخرج منه اللؤلؤ الطبيعي.

ومصاداً يصطاد فيه السمك والحيوان البحري ذو النفع.

ومتجراً للمواد الاستهلاكية، وغير الاستهلاكية، وبخاصة اللؤلؤ فقد كانت من أهم أسواقه.

كانت تعتمد في اقتصادياتها على هذه المجموعة من المجالات الاقتصادية.

وكانت مدرسة تحتضن الثقافة الإسلامية والعربية القديمة. كالفقه وأصوله والفلسفة والكلام والمنطق والنحو والبلاغة والصرف وما شاكلها وتتبنى المناهج الدراسية القديمة أيضاً.

كانت تسير في حياتها الثقافية ضمن الاطر الإسلامية والعربية.

وكانت مغزى وموضعاً للنهب والغارات بدافع من الاستغلال الاقتصادي، كما في

(١) يقرأ: وليمسن ص٢٤ و٢٥.

غارات الأعراب والبداة، أو بدافع من العداء الطائفي، كما في غزوات الخوارج وأمثالهم... كما سنلمسه في أسباب هجرة الدمستاني إلى القطيف.

وإلى هنا اظنني أعطيت الصورة المصغرة عن البحرين أيام مترجمنا الدمستاني... وإلا فعذري قلة وايجاز المصادر التي بين يدي.

٣ - عودة إلى عصر الدمستاني:

الجانب الذي أحاول أن أُأرخ له من الحياة الاجتماعية العامة في البحرين التي عاصرها الدمستاني، هو الجانب الثقافي، لأن مترجمنا كان يعيش في القمة من هذا الجانب، ولأن أهم خصائص شخصيته هو العنصر الثقافي في جانبيه العلمي والأدبي - كما سيتضح ذلك عند دراسة شخصيته -.

في عقيدتي: أن الفترة التي تمثل عصر الدمستاني في ثقافته علمية وأدبية، هي الممتدة من أوائل القرن الثاني عشر الهجري حتى عصر النهضة الثقافية في هذا القرن... فقد تميزت بخصائص ثقافية، جعلتها تحدد مرحلة ذات طابع خاص من مراحل تطور الثقافة الإسلامية، والآداب العربية بصورة خاصة... وسأحاول عرض بعض معالمها الرئيسة عند الحديث عن (أدب الدمستاني)، وتميزت بنشاط الحركة العلمية الإسلامية، في كثرة الطلبة والعلماء أمثال: آل عصفور، وآل الماحوزي، وآل البلادي، وآل المقابي، وغيرهم... وفي وفرة النتاج الثقافي، فنادراً أن تقرأ سيرة عالم أو أديب عاصر تلكم الحركة، ولا تقرأ أن له مؤلفاً أو مؤلفين أو أكثر، فمثلًا: نقرأ في الفلسفة أمثال: (اثبات اللذة العقلية) للشيخ عبد الله السماهيجي، و(اثبات الجزء الذي لا يتجزأ) للشيخ أحمد بن صالح آل عصفور[(١)]، و(الشافي في الحكمة النظرية) للشيخ سليمان الماحوزي، ورسالة ابن أبي شافيز في علم المنطق التي (اختار فيها مذهب الفارابي في تحقيق عقد الوضع في المحصورات) واختار فيها أيضاً أن الممكنة تنتج في صغرى الشكل الأول، وله فيها مذاهب نادرة[(٢)]... وفي الفقه والحديث أمثال: (الحدائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة) للشيخ يوسف آل عصفور، و(الحقائق الفاخرة في تتميم الحدائق الناضرة) للشيخ حسين آل عصفور[(٣)]... ونقرأ آخر أمثالها في علم الرجال والتفسير، وفي مختلف المسائل العلمية، والفنون الأدبية، والنوادر.

---

(١) يقرأ: عبد الرسول الجشي، الحركة الأدبية في الخليج العربي، تصدير كتاب (الأدب في الخليج العربي للعبيد) مكتبة النشاط الثقافي ١٣٧٧، ص١٨.

(٢) يراجع الشيخ علي البلادي البحراني، أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين (النجف الأشرف: مطبعة النعمان ١٣٨٠) في تراجم المذكورين أعلاه.

(٣) المصدر نفسه.

ونادراً أن تقرأ سيرة عالم أو أديب عاصر تلكم الحركة، ولا تقرأ أن له رواة وتلامذة. . . وكثيراً ما نقرأ المشاريع الثقافية والدينية يقوم بها علماء أو أدباء، أو عالم واحد أو أديب واحد، . . . ومما يعكس ذلك ويصور لنا بعض جوانب ذلك العصر الوقائع التالية:

١ - يقول الشيخ البلادي: (ذكر العالم الجليل الرباني الشيخ علي ابن العلامة المحدث الشيخ محمد شارح كتاب (الوسائل) المقابي البحراني. . . في بعض مصنفاته والظاهر أنه هو الترجيحة أي تراجيح الأدلة وهو كتاب حسن كبير، وكان يبحث مع بعض معاصريه في مسألة وينسبه فيها إلى قلة الانصاف، قال - رحمه الله تعالى، نقلًا لكلامه بالمعنى -: قد كان العلماء السابقون من بلادنا البحرين في غاية الانصاف والتقوى والاعراض عن الدنيا، وقد اتفق أن فاتحة أقيمت لبعض أشخاص البحرين، في مسجدها المسمى بالمشهد ذي المنارتين، فاتفق فيها حضور ثلاثمائة أو يزيدون من العلماء الأفاضل في وقت من الأوقات فأتى رجل يسأل عن مسألة مهمة في دينه، فقصد المشار إليه من بينهم فسأله عنها، فأحاله على الذي عن يمينه، فسأله، فأحاله على الذي إلى جانبه، وهكذا لم يزل يحيل كل واحد على الآخر، حتى أتى على آخر ذلك الصف، ثم احالوه على الأول - أي المسؤول أولًا - فأحاله على الذي كان على يساره، فسأله، فأحاله على الذي بجانبه، وهكذا حتى أتى على آخرهم، فأحالوه على الأول، فرجع إليه، وأجابه عن مسألته، انتهى)[١].

والشيخ المقابي من علماء عصر الدمستاني، فقد فرغ من قراءة (تهذيب الأحكام في معرفة الحلال والحرام - لشيخ الطائفة الطوسي) على يد الفقيه الشيخ يوسف آل عصفور البحراني قبيل الظهر ثاني عشر شهر الحج الحرام سنة (١١٦٠)، كما يذكر ذلك الفقيه آل عصفور في اجازته له[٢].

٢ - ويقول الشيخ البلادي أيضاً في ترجمة (الشيخ داود الجزيري) - من علماء البحرين -: (وقد كتب كتباً كثيراً بيده الشريفة، ووقفها مع كتب كثيرة بخطه وخط غيره تقرب من أربعمائة كتاب، في المدرسة التي في بيته بالجزيرة. . . والمدرسة التي ذكرها[٣] له هي الآن، ويسميها أهل تلك الجزيرة (كربلاء) لأنه قتل فيها في بعض الوقائع التي صدرت على البحرين أربعون أو سبعون عالماً ومتعلماً)[٤].

(١) البلادي: ص٥٠، ٥١.
(٢) يراجع البلادي: ص١٩١.
(٣) هكذا في الأصل.
(٤) ص١٨٦.

٣ - مدرسة أسسها الشيخ داود ابن أبي شافين البحراني المعاصر للسيد حسين الغريفي، المتوفى عام (١١٠١).

ونحن إذا فهمنا أن هؤلاء العلماء يألفون جماعة القمة، ندرك سعة الجو الثقافي بالمقدار الذي نستطيع أن نظنه ممن يألفون السفوح والقاعدة، من المثقفين الآخرين، ولعلنا نستطيع أن نستكشف سعة وثقل الجو الثقافي - الآنف الذكر - ومدى تأثيره في الجو الاجتماعي العام، حينما نقرأ التقليد الديني الاجتماعي الذي ينقله الشيخ البلادي يقول: (حدثني بعض الصالحين الثقات من أهل البحرين، عن سلفهم الأقدمين: أنه كان في الزمن القديم في البحرين، أن الرجل من أهل السوق التجار يكون عنده العبد المملوك، فيراه ليلة من الليالي ربما غفل عن صلاة الليل، لنوم أو غفلة، فيصبح ويأمر الدلال أن يبيعه فيقول له جيرانه من أهل السوق: لم تبيع مولاك ولم تر منه إلا الصلاح والطاعة؟!. . . فيقول لهم مولاه: أنه البارحة لم يصل صلاة الليل وأخاف أن تكون له عادة، فربما يقتدي به بعض العيال فلا يصلي صلاة الليل، . . . فإذا سمعوا ذلك منه صار عندهم عيباً، فيأمرون بإخراجه من البحرين، وبيعه في غيره من البلدان. . . انتهى)[١].

ومن شعراء البحرين في هذه الفترة:

مترجمنا الدمستاني، وابنه الشيخ أحمد الدمستاني، والشيخ سليمان الماحوزي، والشيخ لطف الله البحراني، والشيخ سليمان آل عصفور. . . وغيرهم.

٤ - سيرة الدمستاني

بلدته:

بلدته الأصل: قرية (عالي حويص)، من قرى البحرين، وفيها قبر أبيه (الشيخ محمد)، إلى جانب المسجد المحاذي لـ(عين حويص)[٢].

وبلدة استيطانه: قرية «دمستان» - بالدال المهملة المكسورة أولًا ثم الميم المفتوحة، ثم السين الساكنة، ثم التاء، بعدها الألف والنون أخيراً - وهي قرية صغيرة من قرى البحرين، وإليها نسبته[٣] وجل أهلها فقراء، وأرضها زراعية، تسقى بالدلاء[٤].

---

(١) ص٥٢.

(٢) يقرأ: عبد الله بن أحمد، هامش أنوار البدرين: ص٢١٧.

(٣-٤) يراجع: البلادي ص٢١٧ و٢١٩.

نسبه:

هناك بعض الاختلاف في تعداد آبائه، في ذكر وحذف بعضهم، فيما لدي من تاريخه، ولعل هذا الاختلاف ناشيء من اختصار مؤرخ وتطويل آخر في التاريخ لنسبه، . . . وتمشياً مع منهجي في البحث سأعرض سلسلة آبائه من دون أن أحاول التوفيق بينها لأحافظ على الاختصار الذي التزمته. . . وهي:

أ - في أنوار البدرين: حسن بن محمد بن خلف بن ضيف[١].

ب - في أعيان الشيعة: حسن بن محمد بن علي بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الله بن حسن بن صدقة[٢].

جـ - في الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة: حسن بن محمد، . . . ثم ينقل عن (تتميم الأمل)[٣]؛ أنه ذكره بعنوان (الشيخ محمد حسن). . . وينقل عن «بعض اجازات الكلباسي: ذكر نسبه هكذا: الشيخ حسن بن علي بن خلف بن إبراهيم بن ضيف». . . وينقل عن اجازة ولد المترجم له (الشيخ أحمد) للشيخ أحمد الأحسائي «نسبه هكذا: . . . حسن بن محمد بن علي بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الله»[٤].

ولادته:

لم تؤرخ المراجع التي بين يدي لولادته، لا بذكر سنة مولده، ولا بما يدل عليها أمثال ذكر مدة عمره، أو حادثة معينة مؤرخ لها.

دراسته:

لم تؤرخ المصادر التي لدي لدراسة الدمستاني، وكل الذي ذكرته: إشارة إلى من يروي عنهم، وإلى من يروي عنه - كما سيأتي في دراسة شخصيته -.

والذي اخاله: أن دراسته لا تختلف في نمطها عن نمط الدراسة المعاصرة له، وهي الدراسة الدينية التقليدية المعروفة، والتي لا تزال تسير على مناهجها وأساليبها الدراسات الدينية المعاصرة في أمثال: النجف الأشرف، وقم، والمدينة المنورة.

---

(١) ص: ٢١٧.

(٢) الأمين العاملي: (دمشق: مطبعة الاتقان، ١٣٦٥) الطبعة الأولى، ج٢٣ ص١٦٦.

(٣) للشيخ عبد النبي القزويني.

(٤) آغا بزرك: (النجف: مخطوطة المؤلف) ص٥٣.

معيشته:

كان الدمستاني يملك أرضاً في قرية سكناه (دمستان)، فيها بعض الزرع، وبعض النخيل، يعمل فيها بيده، معتمداً على ثمرها ونتاجها في حياته المعيشية، . . . يقول في أنوار البدرين: «ولقد كان - يعني الدمستاني - مع ما هو فيه من الفضل والعلم يعمل بيده ويشتغل لمعيشته وعياله، . . . حدثني شيخنا العلامة الثقة المقدس الصالح الشيخ أحمد ابن المرحوم الشيخ صالح (قدس الله سره): أنه وردت في زمانه مسائل من علماء أصفهان إلى البحرين ليجيب عنها علماؤها، ووصلت إلى حاكم البحرين من جهة العجم - يعني إيران -، فأرسل رجالًا من عنده إلى علمائها ليجيبوا عنها، ومن جملتهم الفاضل المذكور صاحب الترجمة (قدس الله روحه)، فلما وصل رجال الحاكم إلى قريته دمستان، وهي قرية صغيرة، وأهلها فقراء، وأكثر أرضها تسقى بالدلاء، سألوا من رأوه عن الشيخ المزبور، فأتى بهم إلى رجل عليه خلقان من الثياب، يستقي دالية بالدلاء، وفيها بعض الزرع والنخيل، وعنده صبية تروس عليه، وقال لهم: هذا الشيخ الذي تسألون عنه، فلما أخبرهم بذلك ظنوا أنه يهزأ بهم لما رأوا ما هو فيه، فضربوه وآذوه، فسمع الشيخ بما هناك، ورأى هيئة الحكام، فأتى إليهم، وسألهم عن ذلك، فأخبروه بمقصدهم، وأن هذا يهزأ بنا بارشادنا إليك، فقال لهم: صدق، أنه لم يهزأ بكم، فما الذي تريدون؟ . . . فقالوا: نريد الشيخ المجتهد الشيخ حسن الذي في هذه القرية. . . فقال: وماذا تريدون منه؟ . . . فقالوا له: أرسلنا إليه الحاكم بمسائل واردة عليه من أصفهان ليجيب عليها. . . فقال لهم: أنا طلبتكم، فأتوني أياها، فتبين لهم أن هذا هو الشيخ والذي أخبرهم صادق، فسلموا عليه، وقبلوا يديه، وجلسوا معه في تلك الدالية، واعطوه المسائل فرآها، وأمر تلك الصبية أن تأتي إليه بدواة وقلم، وكتب الجواب بحضرتهم من غير مراجعة، وأعطاهم اياه، فتعجبوا من ذلك عجباً شديداً لما يعهدونه من زيادة التشخص، وظهور الأبهة عند علمائهم، وهذا بهذه الحالة»[(١)].

في هذه القصة نفهم الدمستاني الإنسان الزاهد الذي لا يحاول أن يثرى - أو يعيش على الأقل - على حساب الغير، وإنما ينوء بكله بذاته ويتعيش بعمل يده، وبعرق جبينه، شأنه شأن الإنسان الحر، أو صاحب الفكرة السامية التي تدفعه إلى المحافظة على قدسيتها، وعلى كرامته، وإلى بثها ونشرها، ولو بامثال هذه التضحيات بنعيم الحياة المرفهة الهانئة، أو شأنه شأن العالم الذي يؤمن بأن العلم في الجوع والدعة في الخشونة، والعزة في الاستغناء عما في أيدي الناس.

---

(١) ص٢١٩.

وهي ظاهرة قلما نفقدها في علمائنا الأسبقين، وبخاصة المسلمين العرب منهم، ولعل القصة تلمح إلى ذلك في أخرياتها، في المقارنة بين مظهر الدمستاني في بساطة حياته المعيشية وخشونتها، وبين علماء الفرس في مظاهر الأبهة والتبريز.

وفي عقيدتي: أن ملازمة أمثال هؤلاء العلماء لأمثال هذه الظاهرة إنما هو لادراكهم أن الحاجة إلى الغير، وبخاصة في اللوازم المعيشية تستلزم شيئاً - قد يكثر وقد يقل - من المجاملة وانعدام الصراحة، وبديهي أن الصراحة هي الوسيلة الرئيسة في اظهار كلمة الحق، وابراز قولة الصدق، اللتين هما أساس دعوتنا الإسلامية.

وما دمت ملتزماً الايجاز في بحثي هذا، سأترك محاولة التوسع في دراسة هذه الظاهرة، في عواملها، وفي نتائجها، وملابساتها الأخرى وفي الإشارة إلى نقاط أخر عرضتها هذه القصة، إلى عودتي إلى الحديث عن الموضوع ثانية.

هيئته:

كانت هيئة الفقير الذي يعمل بيده، ويتعيش بعرق جبينه، ويحصل على الكفاف من قوته اليومي.

ولعلنا نلمس هذا من سكناه قرية (دمستان)، حيث مر بنا أنها قرية فقيرة صغيرة، ومن القصة المتقدمة، التي تعرض لنا حياة الدمستاني في وضعية لا تختلف عن وضعية ساكن القرية الفقير، يسقي الدالية بيده، ويفلح الزرع والنخل بنفسه، تساعده في عمله هذا، صبية تشاركه شظف الحياة الفقيرة، - وظني الكبير أنها ابنته - ويرتدي الخلقان من الثياب.

وفيما اخاله: أن تاريخنا لو كان من الاستيعاب والشمول في تصوير حياة الدمستاني المعيشية مستوفياً لها، لرأيناه لا يختلف فيما يعرضه من تصوير لجوانب حياته الأُخَر، في المزرعة، وفي البيت، وفي أنحاء مجتمع قريته كلها، عن هذا الشيء القليل الذي عرضه، ولشاهدنا الدمستاني في هذه المجالات على الهيئة التي شاهده عليها رجال الحاكم الموفدين لأخذ جواب أسئلة أصفهان.

هجرته إلى القطيف:

كانت البحرين إلى ما قبل الاحتلال البريطاني كثيراً ما تغزي من قبل الخوارج، وكثيراً ما يغار عليها من قبل الأعراب والبداة... وكانت تلكم الغزوات والغارات - في الأغلب - سبباً لهجرة العلماء منها إلى العراق وإيران والقطيف وغيرها.

وبسبب إحدى الحوادث التي وقعت على البحرين هاجر الدمستاني إلى القطيف، كما يستظهر الشيخ البلادي(١).

وفيما أخاله: أن الواقعة التي كانت عامل هجرته إلى القطيف هي حادثة غزو الخوارج واستيلائهم على البحرين سنة ١١٣١هـ فقد كانت سبب هجرة جملة من أعيان البحرين إلى القطيف، وذلك في ضحوة اليوم العشرين من شهر صفر من السنة المذكورة(٢).

وفي عقيدتي: أن اختيار الدمستاني وأمثاله من المهاجرين بلدة (القطيف) مهجراً لهم، إنما هو لما بينهم وبين أهالي القطيف من روابط عقائدية مذهبية، فقد كان أهالي القطيف شيعة يلتقون واياهم في العقيدة والمذهب، ولما بين البحرين والقطيف من قرب المسافة، ويسر وسائل النقل.

والمصادر التي بين يدي تغفل الاستعراض لسيرة الدمستاني في القطيف، فهي لا تذكر أكثر من هجرته إلى القطيف، الأمر الذي يجعل سيرة المترجم له حلقات تاريخية مبعثرة وغير متسلسلة، لفقدان حلقات أخر، كان من المفروض على التاريخ ذكرها منتظمة في سلسلة واحدة تعرض سيرته من البداية إلى النهاية.

في بوشهر:

يقول الشيخ آغا بزرك: «الشيخ حسن بن محمد الدمستاني من قرى البحرين، نزيل بوشهر، كما صرح به في تتميم الأمل بعنوان الشيخ محمد حسن الدمستاني تشرفت بخدمته في يزد»(٣).

من هذا الذي ينقله الشيخ آغا بزرك عن (تتميم الأمل) للشيخ القزويني نفيد: أن الدمستاني كان قد زار إيران وتجول في بعض بلادها - على الأقل - حيث قد تشرف بخدمته الشيخ القزويني في (يزد)، ونزل في (بوشهر) كما يصرح به القزويني أيضاً، وربما يقربه ما نعرفه من العلاقة بين أهالي البحرين وأهالي بلاد فارس من سواحل الخليج، وبخاصة بلدة (بوشهر)، فقد كانت منزلاً لعلماء من البحرين وغيرها.

وفاته ومدفنه:

يقول الشيخ البلادي: «توفي - قدس الله سره - في بلدة القطيف يوم الأربعاء يوم

(١) ص٢٢٠.
(٢) يقرأ البلادي: ١٦٤.
(٣) الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة: ص٥٣.

الثالث والعشرين من شهر ربيع سنة ١٢٨١هـ إحدى وثمانين ومائتين بعد الألف من الهجرة صلى الله على مهاجرها وآله ودفن في المقبرة المعروفة الحباكة»[١].

ويقول الشيخ آغا بزرك: «ذكر السيد محمد صادق بحر العلوم في الشذور الذهبية: أنه توفي الشيخ حسن الدمستاني في (١١٨١) ودفن بالحباكة من القطيف»[٢].

والفرق بين التاريخ الذي يذكره البلادي والتاريخ الذي ينقله آغا بزرك عن بحر العلوم قرن كامل، الأمر الذي يلزمنا بتخطئة أحد التاريخين وبالتماس الشواهد من الوقائع التاريخية التي تدعم صحة تصويب التاريخ الآخر. الذي توصلت إليه - في حدود مراجعاتي حول الموضوع -:

إن التاريخ الصحيح هو (١١٨١هـ)، ومن الشواهد التي تدعمه ما يلي:

١ - تاريخ جمع ديوانه - أعني الدمستاني - من قبل ابنه (الشيخ أحمد)، الذي يكتبه في آخره بعد ذكر اسمه ونسبه وهو: في أواخر ذي الحجة الحرام سنة (١١٩٠)، والذي دعا فيه - أعني التاريخ المذكور - لوالده بـ(قدس سره) مما يدل على سبق وفاته على التاريخ المذكور[٣].

٢ - تاريخ فراغ الدمستاني من تأليف كتابه (انتخاب الجيد) وهو: في ثامن جمادى الأولى سنة (١١٧٣هـ)، فمن البعيد جداً أن يمتد به العمر إلى ما بعد التاريخ المذكور مدة (١٠٨) سنوات.

٣ - تاريخ القزويني لكتابه (تتميم الأمل) وهو: في سنة (١١٩١)، فقد ترجم الدمستاني فيه، وترحم عليه، مما يدل على سبق وفاته على التاريخ المذكور[٤].

٤ - رواية الدمستاني عن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي البلادي البحراني المتوفى عام (١١٤٨) في شيراز كما يؤرخ له الشيخ البلادي في أنوار البدرين[٥]، فمن البعيد غاية البعد أن يروي الدمستاني عنه وبين وفاتيهما مدة (١٣٣) عاماً.

٥ - تاريخ كتابة منتخب علي بن إبراهيم البوري (وهي هذه المجموعة) في ٢٦ ربيع الثاني عام (١٢٠٠) مع ذكره فيه وقوله في أكثر من موضع: (وله أيضاً تجاوز الله عنه) مما يشير إلى وفاته قبل هذا التاريخ.

(١) ص٢٢٠.
(٢) الكواكب المنتشرة: ص٥٣.
(٣) يقرأ: آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة (النجف: مطبعة الغري ١٣٥٦) ج٢ ص٣٥٨.
(٤) يراجع: آغا بزرك، الكواكب المنتشرة ص٥٣.
(٥) ص١٦٩.

٥ - شخصيته العلمية

أقوال العلماء فيه:

ستنتظم دراستي جوانب من شخصية الدمستاني الثقافية في ناحيتها العلمية والأدبية، أعرضها بشيء من الايجاز، بعد نقل وعرض بعض أقوال المؤرخين والعلماء فيه، التي ربما سلطت بعض الأضواء على شخصيته، . . . ولتكون مفتتح الحديث عنها. . . منها:

١ - قال الشيخ القزويني: «من أهل التحقيق والتدقيق»[١].

٢ - وقال الشيخ البلادي: «العالم الرباني، والفاضل الصمداني الكامل العلامة، المحقق الفهامة، التقي النقي، الأديب المصقع»[٢] وقال: «وكان هذا الشيخ (قدس الله روحه وطيب ريحه ونور ضريحه) من العلماء الأعيان، ذوي الاتقان والإيمان، وخلص أهل الولاء والإيمان، زاهداً، عابداً، تقياً، ورعاً، شاعراً بليغاً، إن نظم أتى بالعجب العجاب، وأن نثر أتىٰ بما يسحر عقول أولي الألباب قلما يوجد مثله في هذه الأعصار في العلم، والتقوى، والبلاغة، والاخلاص في محبة الآل الاطهار - سلام الله عليهم آناء الليل وأطراف النهار -، ومن وقف على مصنفاته وأشعاره، وظاهر كلامه وأسراره، وفهم مراده عرف حقيقة مقداره، وعلو مجده وفخاره»[٣].

٣ - وقال السيد العاملي: «كان عالماً فاضلاً، فقيهاً، محدثاً، رجالياً، محققاً مدققاً، ماهراً في علمي الحديث والرجال، أديباً شاعراً»[٤].

علمه:

تبرز شخصية الدمستاني العلمية في مجالات العقيدة، والفقه، والرجال، والحديث.

وسأتحدث عن هذه الجوانب بشيء من الاختصار، وفي اطار معرفتي عنها:

في العقيدة:

للدمستاني بحوث كثيرة مستقلة في العقيدة (أصول الدين)، دونها في مؤلفات خاصة، ذكرها مؤرخوه، وهي:

---

(١) يقرأ: آغا بزرك، الكواكب المنتشرة: ص٥٣، نقلاً عن (تتميم الأمل).
(٢) ص٢١٧.
(٣) م.ن.
(٤) أعيان الشيعة: ج٢٣ ص١٦٦.

١ - رسالة في التوحيد.

٢ - أرجوزة في التوحيد

٣ - منظومة في أصول الدين.

٤ - منظومة في نفي الجبر والتفويض.

٥ - أرجوزة في اثبات الإمامة والوصية.

وسيأتي الحديث عنها في (مؤلفاته):

أما منهجه في هذه البحوث: أكان على طريقة الفلاسفة، أم على طريقة المتكلمين أم على طريقة أخرى؟

أما مدى قيمة بحوثه هذه علمياً ومنهجياً... فلم أوفق إلى الوصول إلى النتيجة المطلوبة في هذا المجال لعدم وقوفي على المؤلفات المذكورة، ولعدم وقوفي على تقييم أو نقد علمي لها...

وظني: أنها بحوث قيمة، من نمط بحوث عصر مؤلفها ومدرسته، استنتاجاً من المركز الثقافي الذي كان يشغله الدمستاني بين أقرانه وزملائه من معاصريه، ومن قيمة شخصيته العلمية، التي قيمها مؤرخوه من العلماء.

في الفقه:

كان الدمستاني فقيهاً مجتهداً، يلتزم منهج الاخباريين في طريقة فتواه.

لم يكن بين يدي من مؤلفاته أو كتاباته أو رسائله في الفقه، وفق المنهج الاستدلالي، التي يفيد منها الباحث - عادة - مدى فقاهة المترجم له فيعطي رأيه فيه على ضوء دراسته لها... ولم يكن لدي صور من اجازات اساتذته له - فيما إذا كانت - التي هي بمثابة الشهادة للمجاز إليه ببلوغه درجة الاجتهاد والفقاهة وكلما أعرفه في هذا المجال: أنه مجاز في الرواية - كما سيأتي -، أما أن اجازته في الرواية تتضمن الشهادة باجتهاده فما لا أعرف عنه شيئاً لعدم وقوفي على صورة الاجازة.

والذي افدت منه فقاهة الدمستاني واجتهاده هو ما يأتي:

١ - أقوال العلماء فيه - والتي نقدم بعضها - ونصهم على فقاهته.

٢ - تصديه للافتاء مع اتفاق مؤرخيه وعارفيه على ورعه وتقواه مما يكشف: أن تصديه للافتاء كان عن احرازه اجتهاده وفقاهته.

٣ - ونلمسه من محتوى القصة المتقدمة في موضوع (معيشته)، حيث صرح فيها

الموفدون من قبل حاكم اصفهان باجتهاده، وحيث أرسلوا إليه من قبل حاكم البحرين على اعتبار أن الأسئلة التي كانت معهم استفتاءات شرعية.

٤ - عدُّهُ ذا مذهب في الفقه، يكشف: أن الدمستاني وصل إليه نتيجة الاجتهاد، كما المح إليه الشيخ البلادي في ترجمة (الشيخ على الجد حفصي البحراني) عند ذكره فتواه بطهارة الماء القليل، وعدم انفعاله بملاقاة النجاسة... قال: «وله - يعني الجد حفصي - رسالة في طهارة الماء القليل بملاقاة النجاسة، كما ذهب إليه ابن أبي عقيل وجنح إليه جماعة من متأخري المتأخرين، كشيخنا البهائي والكاشاني والشيخ سلمان الماحوزي البحراني والفاضل الشيخ حسن الدمستاني وغيرهم»[1].

٥ - رسالته في استحباب الجهر بالتسبيح في الأخيرتين، وسيأتي البيان عنها في (مؤلفاته).

ومنه نفهم أن الدمستاني كان عالماً في علوم العربية أمثال: متن اللغة، والصرف، والنحو، والبلاغة، وفي علم المنطق، وفي أصول الفقه بالمقدار الذي تعد فيه المذكورات مقدمات ووسائل لاستنباط الأحكام الشرعية من ادلتها واستقائها من مصادرها.

في علم الرجال:

يقول الأمين العاملي (كان - يعني الدمستاني -... رجالياً... ماهراً في علمي الحديث والرجال)[2].

وربما أفاد العاملي هذا - وكذلك مؤرخو الدمستاني الآخرون - من كتاب الدمستاني في علم الرجال، المعنون بـ(انتخاب الجيد من تنبيهات السيد)، وهو ملخص كتاب (تنبيهات الأديب في رجال التهذيب) - أي تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي - تأليف العلامة السيد هاشم التوبلي البحراني، فقد كان - كما يظهر من تعريفهم له - كتاباً قيماً من ناحية علمية...

---

(١) ص٢٢٦. وقد وقفت على نسخة مخطوطة من الرسالة المشار إليها يقول فيها مؤلفها علي بن عبد الله بن يحيى البحراني: (قد ظهر لي بعد التتبع التام لأخبار أئمتنا عليهم السلام وبعد قطع النظر عمن قال والنظر إلى ما قيل: طهارة الماء القليل، كما هو مختار ابن أبي عقيل وكذلك المحدث الكاشاني والعلامة الشيخ سليمان البحراني والفاضل الشيخ حسن الدمستاني...الخ) راجع ص١ (بقلم أحمد بن صالح بن طعان البحراني سنة ١٢٧٢).

(٢) ص١٦٦.

وفيما يبدو لي أن قيمته العلمية إنما كانت لتضمنه (فوائد جليلة وتنبيهات جميلة في علم الرجال لم توجد في غيره)(١).

في علم الحديث:

يقول الأمين العاملي: (كان - يعني الدمستاني - ... محدثاً... ماهراً في علمي الحديث والرجال)(٢).

روايته:

الذي وقفت عليه أن الدمستاني كان يروي عن ثلاثة، هم:

١ - الشيخ محمد الفاراني البحراني(٣).

٢ - الشيخ عبد الله ابن الشيخ أحمد البلادي البحراني(٤).

٣ - الشيخ حسين بن محمد بن جعفر الماحوزي البحراني(٥). والأخيران يرويان كلاهما عن سليمان ابن الشيخ عبد الله الماحوزي البحراني(٦).

والطرق التي يروي عنها الشيخ سليمان الماحوزي، يسلسلها مع الترجمة لرواتها الشيخ يوسف آل عصفور البحراني في كتابه (لؤلؤة البحرين في الاجازة لقرتي العين)، وهو يشترك في الدمستاني في الرواية عن الأخيرين.

ومنها:

١ - الماحوزي... عن الشيخ سليمان بن علي بن سليمان بن راشد بن أبي ظبية، عن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن علي المقناعي الأصيبعي، ... وعن الشيخ علي بن سليمان بن درويش بن حاتم البحراي القدمي الملقب بـ(زين الدين)، عن بهاء الملة والحق والدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي، عن والده عز الدين الحسين ابن الشيخ عبد الصمد بن محمد الحارثي الهمداني الجبعي، عن جملة من المشايخ، منهم - وهو أعظمهم وأشهرهم -: زين الدين علي بن أحمد (الشهيد الثاني).

---

(١) يقرأ: البلادي: ص٢١٨.

(٢) ص١٦٦.

(٣) عبد الله بن أحمد، هامش أنوار البدرين ص٢٢٠.

(٤) البلادي: ص٢٢٠.

(٥) آغا بزرك، الكواكب المنتشرة، ص٥٣.

(٦) المصدر نفسه.

٢ - الماحوزي. . . عن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن يوسف المقابي، عن جملة من المشايخ، منهم: والده الشيخ محمد بن يوسف، عن الشيخ علي بن سليمان القدمي البحراني، . . . ومنهم: السيد محمد مؤمن الحسيني الاسترابادي، عن السيد نور الدين علي بن السيد علي بن أبي الحسن، عن أخويه: أخيه لأبيه شمس الدين السيد محمد، وأخيه لأمه جمال الدين أبي منصور الشيخ حسن ابن شيخنا الشيهد الثاني.

٣ - الماحوزي. . . عن الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود البحراني الماحوزي عن محمد باقر المجلسي.

٤ - الماحوزي. . . عن السيد هاشم التوبلي، عن جملة، منهم: السيد عبد العظيم ابن السيد عباس الاسترابادي، . . . ومنهم: الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي[1].

وطرق العلماء الذين وقفت السلسلة عندهم أمثال: الشيهد الثاني والمجلسي، والشيخ طريح النجفي، معروفة لدى أرباب الحديث والرجال، وعند أصحاب الاجازات، ومدونة في رسائلهم وموسوعاتهم وبخاصة المتأخرين منهم.

وللتعرف على تراجم وسير وأحوال هؤلاء الرواة المذكورين، وعلى قيمة كل راو منهم من حيث الوثاقة وعدمها، يرجع إلى كتب التراجم والرجال والاجازات الإمامية، وبخاصة المدونات المتأخرة، أمثال: لؤلؤة البحرين، وأنوار البدرين، وأعيان الشيعة، وطبقات أعلام الشيعة.

ويروي عن الدمستاني: ولده الشيخ أحمد الدمستاني، كما في اجازته للشيخ عبد المحسن اللويمي، والشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائيين[2].

مؤلفاته:

كنت أود تأخير البحث عن مؤلفاته وآثاره العلمية والأدبية إلى آخر الرسالة، لأنها نتاج شخصيته، غير أن عدم وقوفي واطلاعي على شيء منها، واعتمادي على تعريف مؤرخيها لها جعلني ابحثها بعد التعريف بالجانب العلمي لشخصيته لأنها - عدا كتاب الأسفار - ترتبط بالناحية العلمية ارتباطاً يكاد أن يكون كلياً فيما يبدو لي. . .

وفي ضوئه: فما أعرضه في بحثي - هنا - هو تعريف وتقييم مؤرخيها لها.

---

(١) يراجع: آل عصفور، لؤلؤة البحرين (الهند: ملك الكتاب).

(٢) يقرأ: البلادي ص٢٢٠.

وهي:

١ - (انتخاب الجيد من تنبيهات السيد): وهو منتخب ملخص كتاب (تنبيه الأريب في ايضاح رجال التهذيب) - أي تهذيب الأحكام في معرفة الحلال والحرام للشيخ الطوسي - تأليف السيد هاشم التوبلي البحراني المتوفى عام (١١٠٧هـ).

أوله: «الحمد لله الذي وطد قباب الشرع الشريف بالكتاب المبين والسنة الزاهرة».

فرغ منه في ثامن جمادى الأولى سنة (١١٧٣هـ).

وهو كتاب فريد في بابه من أحسن ما كتب فيه... وفيه فوائد جليلة، وتنبيهات جميلة في علم الرجال لا توجد في غيره[1].

٢ - (تحفة الباحثين في أصول الدين)، وفي الذريعة: (التحفة) ولعله سماها (تحفة الباحث): وهي أرجوزة نظمها لابنه الشيخ أحمد، ورتبها على خمسة مباحث، كل مبحث في أصل من أصول الدين الخمسة وأولها:

حمداً لواجب الوجود الأحد   القادر العدل الحكيم الصمد

إلى:

وبعد فالراجي لعفو ذي المنن   فتى أبي الفضل محمد الحسن

إلى:

فهاكها تحفة كل باحث   في خمسة من غرر المباحث

وهي منظومة جليلة في غاية البلاغة والبراعة[2].

٣ - منظومة في نفي الجبر والتفويض[3].

٤ - ارجوزة في اثبات الإمامة والوصية[4].

٥ - ارجوزة في التوحيد: تزيد على مئة بيت، وهي غير تحفة الباحثين المتقدمة[5].

---

(١) يراجع: الأمين العاملي ص١٦٨، وآغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة (النجف: مطبعة الغري ١٣٥٦) ج٢ ص٣٥٨ رقم ١٤٤٥.

(٢) يقرأ: العاملي ص١٦٨، وآغا برزك، الذريعة، رقم ١٤٣٨ والبلادي ص٢١٨ وهي المذكورة أول هذه المجموعة.

(٣) العاملي: ص١٦٨، آغا بزرك رقم ٢٣٤١ و٢٢٦١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) العاملي: ص١٦٨.

٦ - رسالة في استحباب الجهر بالتسبيح في الأخيرتين، وفي أنوار البدرين: رسالة في الجهر والاخفات ولا سيما في الأخيرتين، مفيدة جيدة[(١)].

٧ - رسالة في التوحيد[(٢)]... وربما كانت رسالته في الأصول التي ذكرها الشيخ البلادي بقوله: «وله رسالة في الأصول في غاية البلاغة والأحكام»[(٣)].

٨ - (أوراد الأبرار في مآتم الكرار)، ويسمى في البحرين وبلدان سواحل الخليج العربي بـ(الاسفار) لاشتماله على أسفار حسب ترتيب المؤلف له - كما سيأتي -.

أوله: «الحمد لله الذي جعل تلاوة مصائب الشهداء أوراد الأبرار».

مرتب على خمسة أوراد، وكل ورد على ثلاثة أسفار، وبعد كل سفر قصيدة من شعره.

ألفه ليقرأ منه خبر وفاة الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام -، وقد جعل الورد الأول لما يقرأ في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان وهي ليلة الفوز بالشهادة، والثاني في يومها، والثالث في ليلة العشرين والرابع في يومها، والخامس في ليلة الحادي والعشرين وهي ليلة الوفاة لكنه لم يمهله الأجل لاتمامه، فبرز من قلمه إلى آخر السفر الأول من الورد الرابع، فتممه معاصره الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم آل عصفور البحراني فالحق به السفرين الثاني والثالث من الورد الرابع، وتمام الأسفار الثلاثة للورد الخامس[(٤)].

وهو كتاب جيد عديم النظير[(٥)].

أدبه:

الواقع أن دراستي عن أدب الدمستاني غير شاملة ولا معمقة، فلا استطيع في ضوئها نقده وتقييمه ووضع الدمستاني الأديب في مركزه الأدبي بين أبناء جيله الأدباء.

ومحاولتي في هذا المجال تستند إلى الاستنتاج، وبخاصة في التعريف بنثره، لعدم قراءتي شيئاً منه، حيث لم أقف على شيء من مؤلفاته. وأما في الشعر: فالذي لدي منه نماذج قليلة لعدم عثوري على ديوانه، أخال أنها تمثل النمط العالي من شعره،... فالرأي

---

(١) م.ن.
(٢) م.ن.
(٣) ص٢١٨.
(٤) يقرأ: آغا بزرك، الذريعة.
(٥) البلادي: ص٢١٨.

الذي اعطيه لهذه النماذج نقداً وتقييماً لا استطيع تعميمه لجميع شعره، إذ ربما كان في شعره الذي لم اقرأه ما هو أعلى في قيمته الأدبية، وربما كان الأمر معكوساً... إلا أن الذي استطيع أن أقوله - هنا - مطمئناً كل الاطمئنان إلى ما استنتجته من رأي[1] هو أن أدب الدمستاني من نمط المستويات العالية في مضمونه وشكله... وأن نثره - بصورة خاصة - يرتفع بلاغة وأسلوباً إلى المستوى العالي في النثر العلمي، والنثر الأدبي، المتعارف لدى العلماء الأدباء من معاصريه،... وأن روعة نثره أدبياً تتجلى في كتابه (أوراد الأبرار في مآتم الكرار) بسبب مفعول عاطفة التقديس لأهل البيت عليهم السلام، وعاطفة الأسى لفجائعهم، اللتين تملآن نفسيات الشيعة، واللتين يعيشون اطارهما النفسي والانفعالي.

هذا كل ما أقوى أن أقوله في نثره.

شعره:

أما شعره... فالذي يذكره مؤرخوه: هو أن كل شعره كان في أهل البيت عليهم السلام كما سيأتي في الحديث عن ديوانه وفي ضوئه نستطيع أن نعده في شعراء الطف.

وفيما يبدو لي - من النماذج المعروضة بين يدي -: أن شعر الدمستاني من نمط شعر مدرسة الطف في تلكم الفترة، حيث كانت منتشرة بين النجف وكربلاء والحلة وعاملة، والأهواز، والبحرين، والقطيف، والأحساء، لما بين هذه المدن من روابط عقائدية وفكرية وتفاعل في المجالين العلمي والأدبي؛ والتي من اقطابها: السيد حيدر الحلي، والحاج هاشم الكعبي.

وفي عقيدتي: أن المركز الذي تتفرع منه، وتلتقي عنده خطوط هذه المدرسة هو (النجف الأشرف)، فإنه بالإضافة إلى كونه معهداً علمياً، هو بيئة شعرية، تفتح المجال، وتبعث المناسبة، وتفرض الموسم، فتهيء الجو الشعري، وتعد العوامل الكافية لانشاء الشعر، ولخلق الشاعر.

وربما كان العامل الأهم - هنا - هو طبيعة فاجعة الطف، ومدى تأثيرها النفسي في آثارة عاطفة الولاء لأهل البيت عليهم السلام عند الشيعة، نتيجة عمق شعورهم بمأساتها، وبعد احساسهم بوقع آلامها، وبخاصة في مواسم ذكراها، ومجالات تعظيم شعائرها.

فهو - أعني شعر الدمستاني - لا يختلف في مميزاته وخصائصه الأدبية عن طابع ولون خصائص ومميزات شعر تلكم المدرسة، كما سنلمسه في الدراسة الآتية لقصيدته اللامية المشهورة، لدى متتبعي وهواة شعر الطف.

---

(١) وبخاصة بعد وقوفي على جملة من قصائده في هذه المجموعة التي بين يدي القارىء الكريم.

اطلالة تحليلية:

١ - قصيدته اللامية التي مطلعها:

من يلهه المرديان المال والأمل ... لم يدر ما المنجيان العلم والعمل

جو القصيدة:

تبدأ القصيدة بالدعوة إلى الزهر في الدنيا والتعنيف بالعصاة واللاهين، وإلى الأخذ بهدي العقل، واقتفاء سيرة أولياء الله في الزهد والعبادة، ثم تخلص إلى وقعة الطف عن طريق ذكر نوع من سيرة أولياء الله وهو أنهم لا يبكون إلا على قتلى الطف.

فالقصيدة في هذا الجو، تسير وفق المنهج التقليدي المتبع في شعر تلكم المدرسة: البدء بموضوع ما، ثم التخلص إلى موضوع المناسبة.

أسلوبها الأدبي:

مشبعة بالوجوه البلاغية، والمحسنات البديعية، التي تدرس ويتعرف عليها في أمثال: كتب السكاكي والتفتازاني.

فأسلوبها - اذن - الأسلوب البلاغي التقليدي، ونلمسه في أمثال الوجوه التالية:

١ - التقسيم، والتقسيم والجمع - وهما نوعان من أنواع المحسنات المعنوية البديعية -، ونقرؤهما في الأبيات الآتية:

إن ينطقوا ذكروا، أو يصمتوا فكروا ... أو يغضبوا غفروا، أو يقطعوا وصلوا
أو يوزنوا رجحوا، أو يظلموا صفحوا ... أو يسألوا سمحوا، أو يحكموا عدلوا
سد إذا اتسقوا، أسد إذا افترقوا ... شهب إذا اخترقوا الأبطال واقتتلوا

٢ - السجع: ونقرؤه في الأبيات التالية:

فالعقل معتصم، والوهم متهم ... والعمر منصرم، والدهر مرتحل
يدعون ربهم، في فك عنقهم ... من رق ذنبهم، والدمع منهمل
خمص البطون طوى، ذبل الشفاه ظماً ... عمش العيون بكاً، ما عبها الكحل
ذاقوا الحتوف، باكناف الطفوف ... على رغم الأنوف، ولم تبرد لهم غلل
والشمر مشتغل، في ذبحه عجل ... والسبط منجدل، يدعو ويبتهل

٣ - التشطير: ونقرؤه في البيتين التاليين:

والطعن مختلف فيه ومؤتلف ... والنحر منعطف والعمر منبتل

والجسم مضطرب بالنجع مختضب والقلب ملتهب ما بله بلل

٤ - المبالغة في المدح: ونقرؤها في ابيت الآتي:

نحف الجسوم فلا يدري إذا ركعوا قسي نبل هم أم ركع نبل؟

٥ - التضمين: ونقرؤه في الأبيات الآتية، حيث ضمنها محتويات من خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين،ومن خطبة أخرى... وهي: «أجسادهم نحيفة... أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لاجزاء القرآن... يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم... وأما النهار... ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول قد خولطوا، ولقد خالطهم أمر عظيم؛ لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير...»[1] ... «مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء»[2].

ألا ترى أولياء الله قد هجرت طيب الكرى في الدياجي منهم المقل
يدعون ربهم في فك عنقهم من رق ذنبهم والدمع منهمل
نحف الجسوم فلا يدري إذا ركعوا قسي نبل هم أم ركع نبل
خمص البطون طوى ذبل الشفاه ظما عمش العيون بكا ما عبها الكحل
يقال: مرضى (وما بالقوم من مرض) أو خولطوا خبلًا حاشاهم الخبل

٦ - التخلص: ونقرؤه في البيت التالي:

ولا يسيل لهم دمع على بشر إلا على معشر في كربلا نزلوا

الشعر التصويري:

ونقرأ في هذه القصيدة نوعاً من الشعر يصور جانباً من المعركة ولعل الدمستاني من أوائل من نظمه من شعراء الطف، إن لم يكن أولهم... اقرأ:

لهفي لزينب تسعى نحوه ولها قلب تزايد فيه الوجد والوجل
فمذ رأته سليباً والشمال على معنى شمائله من نسجها شمل
هوت مقبلة منه المحاسن والحـ سين عنها بكرب الموت مشتغل
تدافع الشر عنه باليمين وبالشـ ـمال تستر وجهاً شأنه الخجل

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٨.
(٢) الخطبة رقم ١١٧.

تقول: يا شمر لا تعجل عليه ففي ذبح ابن فاطمة لا يحمد العجل
أليس ذا ابن علي والبتول ومن بجده ختمت في الأمة الرسل
أبى الشقي لها إلا الخلاف وهل يجدي عتاباً لأهل الكفر أو عذل
ومر يحتز رأساً طال ما رسو ل الله مرتشفاً من نحره قبل

ونقرأ هذا اللون والمحتوى من الشعر التصويري في قصيدة حسينية للحاج هاشم الكعبي، . . . وربما كان قد جارى أو اقتفى فيها أثر قصيدة الدمستاني المذكورة، مما يجعلنا نعد الدمستاني من أساتذة مدرسة الشعر التصويري في شعر الطف. . . يقول الكعبي:

وجاءت لشمر زينب ابنة فاطم تعنفه عن فعله وتعذل
تدافعه بالكف طوراً وتارة إليه بِطه جدها تتوسل
أيا شمر مهما كنت في الناس جاهلًا فمثل حسين لست يا شمر تجهل
أيا شمر: هذا حجة الله في الورى أعد نظراً يا شمر إن كنت تعقل
أيا شمر: لا تعجل على ابن محمد فذو وتر في مثله ليس يعجل
ومر يحز النحر غير مراقب من الله لا يخشى ولا يتوجل

وقد حاول بعضهم أن يعد هذا اللون من النظم الحسيني شعراً تمثيلياً، وأن يعتبر الشاعر الكعبي أول من قاله:

والذي انتهيت إليه في دراستي عن (ثورة الحسين في الشعر العربي)[1] أن الشعر التمثيلي لم يدخل شعر الطف إلا بعد دخوله الشعر العربي العام في العصر الحديث عن طريق أحمد شوقي وعزيز اباظة وخالد الشواف وغيرهم.

وأن هذا اللون من النظم لا نستطيع أن نعده أكثر من شعر تصويري للمعركة أو بجانب منها، وهو ليس بالجديد إلا في الشعر الحسيني، وذلك لأنه يمتد مع بدايات الشعر العربي في الجاهلية فقد قرأنا مثله في شعر امرىء القيس وغيره.

وقد خمس هذه القصدة ابنه الشيخ أحمد الدمستاني وتجد الأصل والتخميس في هذه المجموعة أيضاً.

٢ - قصيدته المربعة:

وهي من قصائده المشهورة عند قارئي وهواة شعر الطف أيضاً. . .

---

(١) راجع العدد الثالث من مجلة (النجف) - كلية الفقه - السنة الثانية.

يتألف كل مقطع منها من أربعة أبيات، ينتهي كل بيت من أبياتها الثلاثة الأولى بقافية، وينتهي البيت الرابع بقافية القصيدة اقرأ مطلعها:

احرم الحجاج عن لذاتهم بعض الشهور   وأنا المحرم عن لذاته كل الدهور
كيف لا احرم دأباً ناحراً هدي السرور   وأنا في مشعر الحزن على رزء الحسين(1)

والذي اخاله - في حدود قراءتي لشعر الطف -: أن الدمستاني أول من نظم هذا النوع من الشعر، وقد جاراه جملة من الشعراء فيه منهم: الشيخ حسن البلادي البحراني بقصيدته التي مطلعها:

أحرم الحجاج أياماً ببعض الأشهر   وأنا المحرم لو عمرت كل الادهر
حيث أن الوقت عاشورا بكل الأعصر   وكذا كل مكان كربلاء ذبح الحسين(2)

ومنهم: الشيخ سليمان البحراني الملقب بالتاجر بقصيدته التي مطلعها:

حجة الله إمام الثقلين   جرد السيف لثارات الحسين
رزء آبائك ادمى المقلتين   واسال العينين فوق الوجنتين

وبقصيدته الأخرى التي مطلعها:

سل الطف عن ركب به حف موكب   من الملأ الأعلى ينوح ويندب
متى سيرت فيه لكوفان زينب   وبالرغم هل طِيْفت بمصرع قتلاها

وقصيدة الدمستاني المشار إليها، تتضمن نظم مقتل سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ولعلها أول ملحمة شعرية نظمت في واقعة الطف وبهذا الاسلوب الخاص.

ديوانه:

جمع شعره ابنه (الشيخ أحمد)، في مجلد مشتمل على (١٠٩) صفحات في كل صفحة (١٥) سطراً، كتبه بخطه.

أوله:

هو السعد وافى مقبلًا أي اقبال   بوصل حبيب كان يؤثر بلبالي

وكل قصائده في مديح ورثاء المعصومين من أهل البيت عليهم السلام.

وألحق ابنه شعره ذاته في آخر ديوان أبيه...

---

(١) - (٢) ملاحظة: هذه الملحمة تكتب على الشكل الرباعي.

انتهى من تدوينه في أواخر ذي الحجة عام (١١٩٠هـ)[1] ولا يزال ديوانه مخطوطاً حتى الآن.

ولا أدري: أن ما ضمته هذه المجموعة من شعره هو كله أو أن في ديوانه زيادة عليها لأني لم أقف على ديوانه.

وختاماً:

هذه صفحات مطوية من الأدب المنسي، حاولت أن أُعرف بها... وفيما أظنه أني وفقت إلى حد، فأديت بعض مسؤوليتي تجاه أدبنا في هذا المجال.

وربما عدت إلى دراسة الموضوع ثانية اجلوها أكثر إن اسعفتني المصادر، وساعدني التوفيق.

٥ - الشاعر الدمستاني الصغير (ت... بعد ١١٩٠هـ)

«راوية أبيه»

مصادر ترجمته:

أحمد ابن الشيخ حسن الدمستاني، يروي عن والده قراءة واجازة ويروي عنه إجازة الشيخ أحمد بن زين الدين والشيخ عبد المحسن اللويمي الاحسائيان، له ديوان شعر - كما تقدم - توفي بعد عام ١١٩٠هـ وهو تاريخ كتابته لديوان أبيه.

أشار إلى خاطف من حياته في (أنوار البدرين) عند ترجمته لوالده.

٣ - حسن بن راشد المخزومي الحلي توفي حوالي عام ٨٠٠هـ راجع (البابليات لليعقوبي: ١/ ١٠٠).

٤ - الشيخ علي بن الحسين الشفهيني الحلي، توفي في حدود الربع الأول من القرن الثامن الهجري، له ديوان شعر كبير، اشتهرت منه قصيدته (المجنسة)، التي شرحها الشهيد الأول الفقيه الإمامي الشهير. ترجم له الأمين في أعيان الشيعة واليعقوبي في البابليات.

٥ - الشيخ صالح بن عبد الوهاب المعروف بابن العرندس من علماء القرن التاسع الهجري، من مؤلفاته (كشف اللآلي). ترجم له في الأعيان والبابليات والطليعة.

٦ - الشيخ جعفر بن محمد الخطي، توفي في ١٠٢٨هـ له ديوان شعر مطبوع، وله الاجازة من الشيخ بهاء الدين العاملي. ترجم له في سلافة العصر وأنوار البدرين وغيرهما.

---

(١) آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة (تهران: چابخانه مجلس ١٣٧٣، ١٣٧٤) الطبعة الأولى: ج٩ ق١ ص٣٢٩.

٧ - الشيخ رجب البرسي من علماء القرن التاسع الهجري، له مشارق الأنوار والألفين ورسائل في التوحيد. ترجم له في الأعيان والبابليات وغيرهما.

٨ - السيد ماجد ابن السيد هاشم بن العريض الصادقي البحراني تلمذ عليه الفيض الكاشاني صاحب الوافي وآخرون من علماء البحرين الأعلام، من مؤلفاته الرسالة اليوسفية ورسالة في مقدمة الواجب، وحواشي على المعالم وخلاصة الرجال والشرائع واثني عشرية البهائي وغيرها توفي في ١٠٢٨هـ بشيراز. ترجم له في لؤلؤة البحرين وأنوار البدرين وسلافة العصر.

٩ - الشيخ علي بن محمد بن حبيب التاروتي القطيفي من العلماء الشعراء وله شعر كثير في أهل البيت عليهم السلام، ورد له ذكر في كشكول البحراني. ترجم له في أنوار البدرين.

٦ - الفقيه السيد محمد مهدي بحر العلوم الكبير (ت ١٢١٢هـ)

أُستاذ أساتذة عصره

١ - مولده، نشأته، شخصيته العلمية، مرجعيته، عصره:

هو محمد مهدي بن مرتضى الطباطبائي المعروف بـ(بحر العلوم) ولد - قدس سره - في كربلاء عام (١١٥٥).

وتتلمذ فيها على والده، وعلى الشيخ يوسف البحراني.

ثم هاجر إلى النجف الأشرف عام (١١٦٩) وتتلمذ فيها على جماعة من اعلام علمائها، أمثال: الشيخ مهدي الفتوني العاملي والشيخ محمد تقي الدورقي.

ثم رجع إلى كربلاء، وتتلمذ فيها على فقيه عصره الآقا محمد باقر الشهير بـ(الوحيد البهبهاني).

ثم عاد إلى النجف الأشرف ثانية، وشغل فيها منصب الزعامة العامة، وخاصة بعد وفاة استاذه البهبهاني، وكان له كرسي التدريس المطلق متفرداً به وحده إكباراً واحتراماً لشخصيته العلمية العالية من قبل اعلام معاصريه.

وقد عدت أيامه من أسخى الأيام عطاءاً واوفرها انتاجاً واكثرها انطلاقاً، وذلك لما كان يتمتع به من شخصية كبيرة جمعت جوانب السمو من مختلف اطرافها: علماً وأدباً وحكمة وزعامة ولما ضم عصره من أبطال العلم والأدب الذين شاركوه في تلك النهضة الفكرية التي اعادت لجامعة النجف مركزها العلمي ومكانتها المنظورة، يقول السيد الأمين: «ولما عاد إلى النجف كان قد اجتهد في الفروع والأصول، وبرع في المعقول والمنقول، مع مشاركة

جيدة في الأدب وسائر الفنون، فرأس فيها، واذعن له جميع معاصريه في ذلك، وصارت الرحلة إليه من سائر الاقطار، وجدد دولتي العلوم والآداب، واحيا مآثر الإسلام والأصحاب، وخرّج جماعة من مشاهير العلماء والأدباء، واثمرت سائر الفنون على عهده مما يقل نظيره إلا في الأدوار، مضافاً إلى ما اتفق على عهده من سخاء هذا العصر لكثير من الأفاضل والأماثل من معاصريه، اعانوا في هذه النهضة، فكان والي العراق إذ ذاك سليمان باشا الشهير، وأمير العرب حمد آل حمود شيخ خزاعة المشهور بدهائه ومواهبه العظيمة، ومن علمائه: الفتوني العاملي، والدورقي، والبهبهاني، والشيخ يوسف البحراني، والشيخ جعفر والسيد جواد العاملي، والشيخ حسين نجف، ومن شعرائه وأدبائه: آل الفحام، وآل الأزري، وآل النحوي، والشيخ على زيني والسيد محمد زيني، وآل الأعسم، والشيخ مسلم بن عقيل، وغيرهم كثير... وقد لاحظ هو مزايا عصره هذا فكان يفتخر بذلك، ويرى أنه غرة شاذة في جبين العصور».

وفي عام (١١٨٦) زار مشهد الرضا عليه السلام في خراسان، والتقى هناك بالحكيم المتأله السيد ميرزا محمد مهدي الأصفهاني المستشهد سنة (١٢١٧) ودرس عليه الحكمة. واستاذه الأصفهاني المذكور هو الذي لقبه بـ(بحر العلوم).

ثم عاد إلى النجف الأشرف سنة (١١٩٣).

وفي العام ذاته سافر إلى مكة المكرمة لاداء مناسك الحج، ومكث فيها مدة من الزمن، قام خلالها بتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، وبتعيين مواقيت الاحرام، وتحديد المشاعر الحرم.

ثم عاد إلى النجف الأشرف عام (١١٩٥).

٢ - أعماله وآثاره العلمية:

ومما قام به من آثار أيضاً:

١ - تعلية أرض مسجد الكوفة، وبناء الغرف الموجودة فيه الآن للمعتكفين والمتعبدين، ووضع المزولة الماثلة في وسط المسجد لمعرفة وقت الظهرين، وبناء المحاريب والمقامات القائمة الآن في المسجد الشريف.

٢ - بناء مقام الإمام المنتظر عليه السلام في مسجد سهيل بالسهلة.

٣ - تعيين قبر النبيين هود وصالح عليهما السلام في مقبرة وادي السلام.

وقد خلف سيدنا بحر العلوم - قدس سره - وفرة من المؤلفات منها:

١ - المصابيح في الفقه... وهو من أمهات مراجع الفقه المعتبرة.

٢ - الفوائد الرجالية. . . وهو من أهم كتب الرجال الإمامية ضمنه تحقيقاته العلمية في هذا الفن بما لم يسبق عليه.

٣ - الفوائد في الأصول.

٤ - الدرة النجفية. . . ارجوزة في الفقه، تعد من مهمات الكتب الفقهية المعتبرة، وقد شرحت وحوشيت من قبل عدة من الأعلام.

٥ - مشكاة الهداية. . . وهو منثور الدرة.

٦ - تحفة الكرام في تاريخ مكة وبيت الله الحرام.

٧ - الدرة البهية في نظم رؤوس المسائل الأصولية.

٨ - ديوان شعر.

وغيرها كثير مما أشار إليه مترجموه من المؤرخين والرجاليين وجل من عد من أعلام علماء وادباء عصره كانوا من تلامذته توفي - قدس سره - في النجف سنة (١٢١٢) ودفن في مقبرته المعروفة باسمه.

٧ - الفقيه الشيخ جعفر الكبير (ت ١٢٢٨هـ)

كاشف الغطاء

١ - مولده، دراسته، مرجعيته:

هو جعفر بن خضر الجناجي النجفي

ولد - قدس سره - في النجف الأشرف سنة (١١٥٦).

وتتلمذ في النجف على والده والشيخ محمد تقي الدورقي والسيد صادق الفحام والشيخ محمد مهدي الفتوني والسيد محمد مهدي بحر العلوم. . . وفي كربلاء على الوحيد البهبهاني.

وكان - قدس سره - قد تمتع بمرجعية دينية عليا شاملة وسعت التقليد والفتيا ورعاية شؤون المسلمين الاجتماعية والسياسية فقد حصل على تقدير ورجاء كبيرين من قبل حكام العراق آنذاك من سلاطين آل عثمان، واذن للشاه (فتحعلي) حاكم إيران أن يتصرف في القضايا السياسية العامة التي هي من أعمال الرئاسة الإسلامية العليا، وقد ضمن الإجازة المشار إليها كتابه (كشف الغطاء) في موضوع الجهاد، المبحث الثاني عشر في بيان ما يحتاج إلى رئيس مطاع وعسكر واشياع واتباع وما لا يحتاج إلى ذلك. . . وصورتها كما يلي:

«ولما كان الاستئذان من المجتهدين أوفق بالاحتياط واقرب إلى رضى رب العالمين، وأقرب إلى الرقية، والتذلل والخضوع لرب البرية، فقد أذنت - إن كنت من أهل الاجتهاد، ومن القابلين للنيابة عن سادات العباد - للسلطان ابن السلطان، والخاقان ابن الخاقان، المحروس بعين عناية الملك المنان، فتحعلى شاه - ادام الله ظلاله على رؤوس الأنام - في أخذ ما يتوقف عليه تدبير العساكر والجنود، ورد أهل الكفر والطغيان والجحود، من خراج أرض مفتوحة بغلبة الإسلام، وما يجري مجراها - كما سيجيء - وزكاة متعلقة بالنقدين أو الشعير والحنطة من الطعام، أو التمر والزبيب والأنواع الثلاثة من الأنعام، فإن ضاقت عن الوفاء ولم يكن عنده ما يدفع به هؤلاء الاشقياء جاز له التعرض لأهل الحدود بالأخذ من أموالهم إذا توقف عليه الدفع عن أعراضهم ودمائهم، فإن لم يف، أخذ من البعيد بقدر ما يدفع به العدو المريد.

ويجب على من اتصف بالإسلام، وعزم على طاعة النبي والإمام عليه السلام أن يمتثلوا أمر السلطان، ولا يخالفوه في جهاد أعداء الرحمن، ويتبعوا أمر من نصبه عليهم، وجعله دافعاً عما يصل من البلاء إليهم، ومن خالفه في ذلك، فقد خالف الله واستحق الغضب من الله.

والفرق بين وجوب طاعة خليفة النبي عليه السلام، ووجوب طاعة السلطان الذاب عن المسلمين والإسلام: إن وجوب طاعة الخليفة بمقتضى الذات، لا باعتبار الاغراض والجهات، وطاعة السلطان إنما وجبت بالعرض، لتوقف تحصيل الغرض، فوجوب طاعة السلطان، كوجوب تهيئة الأسلحة وجمع الأعوان، من باب وجوب المقدمات الموقوف عليها الاتيان بالواجبات.

وينبغي لسلطاننا - خلد الله ملكه -:

١ - أن يوصي محل الاعتماد ومن جعله منصوباً لدفع الفساد بتقوى الله وطاعته، والقيام على قدم في عبادته.

٢ - وأن يقسم بالسوية، ويعدل في الرعية، ويساوي بين المسلمين من غير فرق بين القريب والغريب، والعدو والصديق، والخادم وغيره، والتابع وغيره، ويكون لهم كالأب الرؤوف، والأخ العطوف.

٣ - وأن يعتمد على الله ويرجع الأمور إليه، ولا يكون له تعويل إلا عليه، وألا يخالف قول المنوب عنه في كل أمر يطلبه تبعاً لطلب الله فيه، ولا يسند النصر إلى نفسه، ويقول: ذلك من سيفي ورمحي وحربي وضربي، بل يقول: ذلك من خالقي وبارئي ومدبري ومصوري وربي.

٤ - وأن لا يتخذ بطانة إلا من كان ذا ديانة وأمانة.

٥ - وأن لا يودع شيئاً من الأسرار، إلا عند من يخاف بطش الملك الجبار، فإن من لا يخاف الله لا يؤمن إذا غاب، وفي الحضور من الخوف يحافظ على الآداب، وكيف يرجى ممن لا يشكر نعمة أصل الوجود، بطاعة الملك المعبود، أن يشكر النعم الصورية، مع أن مرجعها إلى رب البرية.

٦ - وأن يقيم شعائر الإسلام.

٧ - ويجعل مؤذنين وأئمة جماعة في عسكر الإسلام، وينصب واعظاً عارفاً بالفارسية والتركية، يبين لهم نقص الدنيا الدنية، ويرغبهم في طلب الفوز بالسعادة الأبدية، ويسهل عليهم أمر حلول المنية، ببيان أن الموت لا بد منه، ولا مفر عنه، وأن موت الشهادة، فيه السعادة، وأن الميت شهيداً حي عند ربه، معفو عن إثمة وذنبه، ويأمرهم بالصلاة والصيام، والمحافظة على الطاعة والانقياد للملك العلام، وعلى أوقات الصلاة والاجتماع إلى الإمام ويضع معلمين يعلمونهم قراءة الصلاة والشكيات والسهويات وسائر العبادات ويعلمهم المحللات والمحرمات حتى يدخلوا في حزب الله».

٣ - مواقفه:

وقاد - قدس سره - حركة الدفاع ضد غزو أهل نجد للنجف. فجعل - قدس سره - من داره مقر تدريب عسكري للمجاهدين من العلماء والطلبة الدينيين وغيرهم، وجلب الأسلحة والمعدات المختلفة، وعيَّن بنفسه مواقع القتال، وقام بجميع ما تطلبه موقف الدفاع لصدهم حتى ردهم.

وشارك في اخماد (فتنة الزكرت والشمرت) - وهي حرب عشائرية داخلية قامت بين طائفتي الزكرت والشمرت النجفيتين - وذلك في بداية نشوبها وسنة وفاته قدس سره.

والذي افاده الشيخ الكبير - قدس سره - في أمثال هذه المواقف السياسية والاجتماعية التي وقفها أنه هيأ للمرجعية الدينية - بالإضافة إلى مرجعية التقليد والفتيا - المجال لرعاية شؤون المسلمين والدفاع عن حقوقهم والوقوف أمام انحرافات الحكام وتعدياتهم.

٤ - طلابه:

تخرج على مدرسته جملة من أعلام الفقهاء منهم: انجاله الثلاثة وهم: الشيخ موسى والشيخ علي والشيخ حسن، واصهاره الثلاثة وهم: الشيخ أسد الله التستري، والشيخ محمد تقي الأصفهاني صاحب حاشية المعالم، والسيد صدر الدين العاملي، وآخرون منهم: السيد محمد جواد العاملي، والشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، والسيد محمد باقر

صاحب الأنوار، والحاج محمد إبراهيم الكرباسي، والسيد محسن الأعرجي، والشيخ قاسم محيى الدين، والملا زين العابدين السلماسي، والشيخ عبد الحسين الأعسم، والسيد باقر القزويني، والشيخ حسين نجف.

٥ - فقاهته:

وقد عرف الشيخ الكبير - قدس سره - باصالة فقاهته وعمقها، وباحاطته الواسعة بالفروع الفقهية حتى عد كتابه (كشف الغطاء) من المدونات الفقهية التي أسهمت في تجديد الفقه وتطويره.

٦ - مؤلفاته:

خلف - قدس سره - جملة من المؤلفات منها:

١ - كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء.. يعد من أجل المدونات الفقهية في كثرة الفروع والاحاطة بها.

٢ - شرح قواعد العلامة... تضمن البحث المعمق والمركز لجملة من القواعد الفقهية بما لم يسبق إليه.

٣ - العقائد الجعفرية... في أصول الدين.

٤ - غاية المأمول في علم الأصول.

٥ - منهج الرشاد لمن أراد السداد...

٦ - كتاب فقهي كبير في الطهارة تضمن جمع أقوال الفقهاء والأحاديث حول مسائل الطهارة.

وغيرها من المؤلفات التي ذكرها وارخ لها مترجموه من رجاليين ومؤرخين.

توفي قدس سره في النجف سنة (١٢٢٨) ودفن في مقبرته المعروفة باسم أسرته.

الباب الأول - المقالات
القسم الثاني «المعاصرون»:
شخصيات القرن الخامس عشر الهجري

٨ - الفقيه السيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)

دوره في التطوير الفقهي وتحديد المشكلة الاقتصادية

١ - علم الفقه الإسلامي تاريخاً وتطوراً:

في نهايات القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الهجريين حيث أخذ الفكر الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة الشريفة يتحول على أيدي المفكرين المسلمين من أئمة أهل البيت عليهم السلام وأعلام الصحابة ورجالات التابعين إلى علوم مقنّنة، لها أصولها وقواعدها وتفريعاتها المتعددة والمختلفة.

كان في طليعة هذه العلوم علم الفقه، ذلك العلم الذي تناول بالدرس الأحكام الشرعية الفرعية التي تقوم بوظيفة تنظيم علاقات الإنسان مع خالقه تعالى، ومع الإنسان الآخر، وجميع ما يتفاعل معه مما هو موجود في هذا الكون الرحيب.

فتوجه العلماء المسلمون يدرسونه ويدرّسونه، ويؤلفون فيه الرسائل والكتب المفردة ومن ثم الموسوعات صغيرة وكبيرة.

وبدأ التدوين العلمي للفقه الإسلامي عند أهل السنة في نهايات القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الهجريين متأثراً بعاملين هما:

١ - انقراض آخر جيل من أجيال علماء الصحابة، فقد توفي آخر عالم من علماء الصحابة وهو جابر بن عبد الله الانصاري سنة ٧٨هـ، وقد كانت له في أواخر أيامه حلقة تدريس في المسجد النبوي الشريف.

روى له البخاري ومسلم وغيرهما، وبلغت مروياته عن النبي صلى الله عليه وآله ١٥٤٠ حديثاً.

وله مسند، وهو مما رواه عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، وتوجد مخطوطته في خزانة الرباط برقم ٢٢١ كتاني.

٢ - نشاط الحركة الفكرية بعد تولي عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة ٩٩هـ.

وكان العامل الأول - وهو انقراض أجيال علماء الصحابة - الحافز القوي للخليفة عمر بن عبد العزيز أن ينشّط الحركة العلمية ويتوسع بها.

وهنا جاء دور العلماء المسلمين من تلامذة التابعين وتابعي التابعين في الاكثار من حلقات الدرس الفقهي في المساجد الكبرى في العالم الإسلامي: المسجد الحرام والمسجد النبوي وجامعي البصرة والكوفة.

وكذلك في تأليف، ومنه التأليف الفقهي السني والشيعي.

٢ - التأليف في الفقه السني:

مر التأليف الفقهي عند علماء أهل السنة بمرحلتين، هما:

١ - مرحلة التأليف في الفقه الاستدلالي.

وشملت النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وتمثل التأليف فيها بالكتب التالية:

- كتاب المبسوط لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي الحنفي المتوفى سنة ١٨٢هـ.

- كتاب المبسوط لمحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ.

- كتاب المدونة في فقه الإمام مالك بن أنس لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي المتوفى سنة ١٩١هـ برواية الفقيه المالكي سحنون بن سعيد التنوخي.

- كتاب الأم للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ.

٢ - مرحلة تأليف المختصرات الفقهية، وهي متون علمية تضم فتاوى الفقهاء مجردة من الدليل.

وغطت هذه المرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين والنصف الأول من القرن الخامس، وتمثل تأليفها بالكتب التالية:

- المختصر في فروع الشافعية، لأبي حفص حرملة بن يحيى المتوفى سنة ٢٤٣هـ.

- مختصر المذني في فروع الشافعية أيضاً، لإسماعيل بن يحيى المذني الشافعي المتوفى سنة ٢٦٤هـ.

- مختصر الطَحَاوي في فروع الحنفية لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي الحنفي المتوفى سنة ٣٢١هـ.

- مختصر الخرقي في فروع الحنبلية لأبي القاسم عمر بن حسين الخرقي الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٣٣٤هـ.

- مختصر الكرخي في فروع الحنفية لأبي الحسين عبد الله بن الحسين الكرخي المتوفى سنة ٣٤٠هـ.

- مختصر القدوري في فروع الحنفية لأبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي الحنفي المتوفى سنة ٤٢٨هـ.

- وفي القرن الثامن الهجري ألّف الشيخ خليل بن إسحاق الجندي الفقيه المالكي مختصره في فروع المالكية المعروف بمختصر خليل، وقد شرحه كثيرون وترجم إلى الفرنسية.

وكانت هذه الكتب استدلاليةً ومتوناً تحتوي أحكام العبادات، وأحكام المعاملات بطابعها الفقهي العام.

وفي هذه الحقبة الزمنية للتأليف الفقهي عند أهل السنة الممتدة من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الخامس الهجري ألفت كتب مفردة في الفقه الخاص، منها اقتصادية الطابع، ومنها إدارية الطابع، أمثال:

- كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي الحنفي المتوفى سنة ١٨٢هـ.

- كتاب الأحوال لأبي عبيد القاسم بن سلّام المتوفى سنة ٢٢٤هـ. وكلاهما في الفقه الاقتصادي.

- كتاب الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠هـ.

- كتاب الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين بن الغراء الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨هـ.

٣ - التأليف في الفقه الشيعي الإمامي:

وأما بداية التأليف الفقهي عند الشيعة الإمامية فكانت في بدايات عهد الغيبة الكبرى، ذلكم العهد الذي بدأ سنة ٣٢٩هـ، وهي سنة وفاة أبي الحسن علي بن محمد السَمرِي آخر النواب الخاصين للإمام المهدي عليه السلام، حيث انقطع الالتقاء من قبل الشيعة بالأئمة، فكان الحافز لهم إلى ذلك.

وقارن تأليفُهم في الفقه الاستدلالي تأليفهم للمختصرات الفقهية.

ومن أبرز وأشهر مؤلفاتهم في الفقه العام حتى وفاة الشيخ الطوسي سنة ٤٦٠هـ.

*** المختصرات:**

- كتاب الشرائع المعروف برسالة علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٢٩هـ.

- مختصر الأحمدي لأبي علي محمد بن أحمد بن الجنيد الاسكافي البغدادي المتوفى سنة ٣٨١هـ.

- كتابا المقنع والهداية لأبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الملقب بالصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ.

- كتاب المقنعة لأبي عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم والملقب بالمفيد المتوفى سنة ٤١٣هـ.

- كتاب جمل العلم والعمل لأبي القاسم علي بن الحسين الموسوي المشتهر بالشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ.

- كتاب الكافي لأبي الصلاح تقي الدين بن عبد الله الحلبي المتوفى سنة ٤٤٧هـ.

- كتاب النهاية لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي الشهير بشيخ الطائفة المتوفى سنة ٤٦٠هـ.

*** الكتب الاستدلالية:**

- كتاب تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة لابن الجنيد الاسكافي المتوفى سنة ٣٨١هـ.

- كتاب من لا يحضره الفقيه لأبي جعفر الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ.

- كتابا (تهذيب الأحكام) و(المبسوط) لأبي جعفر الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ.

وقد تأثر التأليف الفقهي عند الإمامية بالتأليف الفقهي عند أهل السنة من حيث التبويب وطريقة العرض، فاقتصروا فيه استدلالياً ومختصرات على الفقه العام أيضاً.

وفي القرن العاشر الهجري ألّف أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي الكركي المعروف بالمحقق الثاني المتوفى سنة ٩٤٠هـ، في الفقه الاقتصادي حيث مسّت الحاجة لدى الإمامية لذلك بسبب اختيار المحقق الثاني من قبل الدولة الصفوية - وهي دولة شيعية - مرشداً عاماً لها.

ألّف: الرسالة الخراجية والرسالة المواتية في تقسيم الأراضي.

وفي القرن الرابع عشر الهجري عندما قامت الحركة السياسية المعروفة بحركة المشروطة والمستبدة في إيران بقيادة علماء الدين، والتي تعني الدعوة إلى اعلان الحياة الدستورية من قبل الدولة القاجارية التي كانت تحكم إيران آنذاك، وامتدت الحركة إلى

النجف الأشرف المركز الديني للمرجعية الشيعية الإمامية في العالم، واشترك فيها كل من المرجعين الشيخ محمد كاظم الخراساني المتوفى سنة ١٣٢٩هـ داعياً لاعلان الحياة الدستورية، والسيد محمد كاظم اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٧هـ معارضاً الدعوة الدستورية.

في هذه الفترة ألّف الشيخ الميرزا محمد حسين النائيني المتوفى سنة ١٣٥٥هـ، وهو من أبرز تلامذة الشيخ الخراساني داعية الحياة الدستورية رسالته الموسومة بـ(تنبيه الأمة وتنزيه الملة) في الفقه السياسي، وضعها باللغة الفارسية وترجمت للغة العربية.

٤ - مساهمة الشهيد الصدر:

بعد انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨م العسكري في العراق الذي انتهى به الحكم الملكي وحل محله الحكم الجمهوري، والذي أزال الحواجز لانطلاق الشيوعيين وسيطرتهم على الساحة العراقية الثقافية بفكرهم الاشتراكي وخاصة في مجال الاقتصاد، وفيه ما يتعارض مع العقيدة والتشريع الإسلاميين، ألّف الفقيه الشهيد السيد محمد باقر الصدر المتوفى سنة ١٤٠٠هـ كتابه الشهير (اقتصادنا) للوقوف أمام الهجوم الاشتراكي، ولوضع النظرية الاقتصادية الإسلامية بين يدي المفكرين المسلمين بغية أن لا يتأثروا بالاقتصاد الاشتراكي، وليكونوا في منطلق العودة إلى بناء الحضارة الإسلامية والعيش في ظلها متمتعين بعدالة الإسلام بعيداً عن مشكلات الاشتراكية والرأسمالية.

٥ - عوامل ابداعه في الفقه الاقتصادي:

وقبل تبيان النظرية الاقتصادية للإمام الصدر من خلال كتابه المذكور، من المفيد أَن أُشير إلى العوامل التي ساعدت الشهيد الصدر على ابداعاته العلمية في هذا الكتاب، وخروجه من دائرة التأليف الفقهي العام في التأليف في الفقه الاقتصادي، وهي:

١ - اجتهاده المميَّز:

وأعني بذلك أن الإمام الصدر كان فقيهاً مجتهداً على مستوى النظريّة والتطبيق.

مستوى النظرية الذي يعني أنه كان يمتلك وسائل الاجتهاد ويتمتع بالقدرة على الاستنباط.

ومستوى التطبيق الذي يعني انفتاحه على الحياة المعاصرة، ومحاولة تعرّفه لكل ما يجري فيها من أحداث وتطورات علمية، وغير علمية.

وتوصل إلى هذه النظرة المميَّزة من خلال إيمانه، وعن معرفة واقعية للفقه الإسلامي بأنه النظام الإسلامي للحياة، الحياة بكل أبعادها وجميع شؤونها.

فليس هو الفقه المدوّن في المتون الفقهية، وأنما هو أوسع من هذا وأبعد، بما يشمل الاجتماع والاقتصاد والسياسة والخ.

٢ - موسوعيته الثقافية:

فقد لاحظتُ - عن قرب - حياته الثقافية فرأيته قارئاً مدمنَ قراءة، قرأ الكثير من الكتب القديمة والكثير من الكتب الجديدة وتابع الدوريات التي صدرت والتي تصدر، منوعاً في قراءاته لمختلف حقول المعرفة التي ترتبط - مباشراً وغير مباشر - بتخصصه كفقيه مجتهد.

فقرأ الاشتراكية الماركسية في فكرها العقيدي والتنظيمي وتعرّف ايديولوجيتها السياسية العلمية والعملية.

وقرأ الرأسمالية مذهباً اقتصادياً وخطاً سياسياً يهدف إلى الهيمنة على كل مصادر الثروة في العالم.

وقرأ العلوم الحديثة، وبخاصة العلوم الإنسانية، تلك التي ساعدت من خلال دراساتها وما تبديه من مرئيات وتقدمه من مقترحات وتضعه من خطط لتوسيع ونشر الايديولوجية السياسية الغربية، بما مكّن لها السيطرة على مصادر ومعابر الثروات الطبيعية في العالم الثالث.

٣ - نظرته للحياة:

ونتيجةَ ما وُفق إليه من ثروة ثقافية منحته الموسوعية التي أشرت إليها توسعت نظرته للحياة المعاصرة لتشملها بكل أبعادها وشؤونها.

ومن هنا كان الفقيه بمستوى التطبيق.

٤ - فهمه لواقع الفقه الإسلامي:

بما له من شمولية لتنظيم كل شؤون حياة الإنسان فردياً واجتماعياً.

ذلك الفهم الذي استمده من مقارنة التشريع الإسلامي بالتشريعات القانونية الحديثة التي غطت كل الجوانب الاجتماعية للإنسان، اجتماعية بمعناها الخاص واقتصادية وسياسية وإدارية وعسكرية والخ.

والذي هداه إلى أن في الفقه الإسلامي القدرة على هذه الشمولية، ومتميزاً بالجانبين العبادي والأخلاقي.

وهذا ما أعانه أن يوازن بين النظرية والتطبيق في ما أعطاه من فكر فقهي.

وقد عبّر عن هذا في مقدمة كتابه (اقتصادنا) حيث نص على (أن الإسلام عقيدة ونظام كامل للحياة ومنهج خاص في التربية والتفكير).

٥ - متابعته لافرازات الصراع الفكري العالمي:

ذلك الصراع المتمثل اقتصادياً بالخلافات الفكرية بين الاشتراكية والرأسمالية والتي تركت آثارها وانعكاساتها على الساحة العالمية تأزماً نفسياً، وتطلعاً لنظام اقتصادي آخر ينقذ إنسان العصر من ضغوط هذا الصراع ونتائجه المريرة في أخطارها.

كل هذه العوامل التي تمثلت عناصر في تركيب شخصية الشهيد الصدر بصفته مفكراً إسلامياً وفقيهاً مجتهداً دفعته لأن يعمل على استخلاص النظرية الاقتصادية الإسلامية من واقع الفقه الإسلامي، ثم يقارن بينها وبين النظرية الرأسمالية والنظرية الاشتراكية ليضعها في مركزها الفكري ومن ثم العملي لاقامة النظام الاقتصادي الإسلامي على أساس منها.

٦ - ابداع النظرية الإسلامية الاقتصادية:

يلخص النظرية الإسلامية الاقتصادية: في أن المذهب الاقتصادي الإسلامي يقوم على ثلاثة مبادىء أساسية تتكامل فيما بينها لتؤلف النظرية الاقتصادية الإسلامية، وهي:

الأول: مبدأ الملكية المزدوجة التي تتألف من:

- الملكية الخاصة أو الملكية الفردية.
- الملكية العامة أو ملكية الأمة.
- ملكية الدولة.

هذه الملكيات الثلاث تؤلف مجتمعةً مبدأ الملكية في الاقتصاد الإسلامي.

الثاني: مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود.

والحرية - هنا - تعني السماح للأفراد بممارسة العمل الاقتصادي، ولكن في حدود القيم المعنوية والأخلاقية التي يؤمن بها الإسلام.

وتحدد هذه الحرية من جانبين هما:

أ - التحديد الذاتي الذي ينبع من أعماق النفس، ويستمد قوته ورصيده من المحتوى الروحي والفكري للشخصية الإسلامية.

ويتأتى هذا عن طريق التربية الخاصة.

ب - التحديد الموضوعي الذي يعبّر عن قوة خارج الذات والنفس تقوم بضبط وتحديد السلوك الاجتماعي.

وتلك القوة هي القانون في تشريعاته الخاصة كمنع الربا والاحتكار والتلاعب بالأسواق، وفي تشريعاته العامة بما يعطيه لولي الأمر، أو الدولة من صلاحية التدخل في ضبط حركة المال من خلال التوازن بين المصالح المشتركة للأفراد والأمة والدولة.

الثالث: مبدأ العدالة الاجتماعية:

ويتمثل هذا المبدأ في نظام توزيع الثروة المالية الذي يقوم على مبدئين، هما:

أ - مبدأ التكافل العام.

ب - مبدأ التوازن الاجتماعي.

ثم لا بد من أن تلتزم النظرية الاقتصادية الإسلامية أو قل: المذهب الاقتصادي الإسلامي، التحركَ في عالم الواقع وفي هدي الأخلاقيات الإسلامية.

هذه هي خلاصة النظرية الاقتصادية الإسلامية التي استخلصها الشهيد الصدر من واقع وطبيعة الفقه الإسلامي.

أما تفعيلاتها وتفريعاتها وأدلتها الشرعية ومقارناتها مع الاشتراكية والرأسمالية فذلك ما اشتمل عليه كتابه القيم (اقتصادنا).

والذي نفيده عملياً وفي مجال تطبيق الإسلام في واقعنا كمسلمين هو اقامة النظام الاقتصادي الإسلامي بمواده الشرعية المقننة على أساس من هذه النظرية، وذلك بأن تكون هذه النظرية المنطلق الشرعي، والمقصد الشرعي في وضع النظام الاقتصادي الإسلامي.

هذه هي النظرية الاقتصادية الإسلامية في مفهومها الشرعى ومجمل أبعادها وسماتها.

٧ - تحديد المشكلة الاقتصادية:

أما المشكلة الاقتصادية في رأي أستاذنا الإمام الصدر فتتمثل في بعدين يعيشان حياة المسلمين الراهنة، هما:

١ - سوء توزيع الثروة الموجودة في الوطن الإسلامي.

٢ - اهمال المسلمين لاستثمار الموارد المالية في الطبيعة.

بين يدينا الآن كشف بالثروة المعدنية المتوفرة في البلدان الإسلامية (عدا النفط) قام باعداده بعض الباحثين المعاصرين باللغة الفارسية وترجم للغة العربية.

٨ - كشف بالثروة المعدنية المتوفرة في البلدان الإسلامية

- عدا النفط -

تشاد	ذهب، ماس، يورانيوم.
مصر	صخور بناء، ذهب، حديد، ألمنيوم، نحاس، ياقوت، كبريت.
غابون	ماس، ذهب، نحاس، يورانيوم.
غامبيا	ذهب، ماس، ملح، نحاس.
غينيا	المنيوم، فحم حجري، ذهب.
الجزائر	حديد، رصاص، منغنيز، يورانيوم، فحم حجري، زئبق، نحاس.
غينيابيساو	ذهب، فضه، ماس، المنيوم، فوسفات.
ليبيا	بوتاسيوم، كبريت.
مالي	ذهب، ماس بكميات قليلة.
موريتانيا	حديد، نحاس، فحم حجري.
المغرب	رصاص، فحم حجري، فوسفات، منغنيز، نحاس.
لبنان	خديد، حجر المرمر.
باكستان	فحم حجري، زئبق، الكرومات، منغنيز.
قطر	كبريت، ملح.
العربية السعودية	ذهب، فضة، حديد.
تركيا	فحم حجري، نحاس، كروم، بوتاسيوم، حديد، فضة، كبريت، صخور، منغنيز.
ماليزيا	صخور، رصاص.
إيران	حديد، فحم حجري، نحاس، كرومات، رصاص، منغنيز، فضة، ذهب، كبريت، أحجار كريمة، تراب أحمر.
النيجر	ذهب، حديد، فحم حجري، ماس.
نيجريا	فحم حجري.
السنغال	ذهب، فضة، فوسفات، المنيوم، ماس وبكميات قليلة.

الصومال	فحم حجري، نحاس
بنين	ماس، ذهب.
السودان	نحاس، ذهب، حديد، ملح.
تنزانيا	ماس، ذهب، فحم حجري.
تونس	حديد، رصاص، منغنيز، فوسفات.
اوغندا	نحاس، كوبالت، حديد، فحم حجري.
فولتا العليا	ذهب، ماس، حديد، فحم حجري.
أفغانستان	نحاس، رصاص، حديد، فضة، كرومات.
البحرين	التراب الأحمر.
اندونسيا	فحم حجري، صخور، نيكل، منغنيز، ملح، يورانيوم.
العراق	كبريت، فوسفات، فحم حجري، حديد، فضة، نحاس.
الأردن	بوتاسيوم، ملح، فوسفات.
فلسطين	صخور حديدية، زئبق، نحاس، حديد، منغنيز.
الكاميرون	ذهب، فضة، رصاص.

«من الكشف السابق، يتبين بكل وضوح أن عالمنا الإسلامي يحتضن في باطن أرضه أنواعاً متعددة من المعادن، على الرغم من محدودية الدراسات المتوفرة حالياً، إذ لا زالت مساحات شاسعة من أراضي البلدان الإسلامية لم تصلها عملية المسح الجيولوجي الشامل والدقيق، ولم يعرف بشكل جيد ما يخبأه جوف هذه الأراضي من معادن عدا بعض المناطق التي يحتمل وجود النفط فيها».

ومع كل ذلك فإن نتائج الدراسات التي أجريت لحد الآن كلها تشير إلى أن المتاح من هذه الثروة في عالمنا الإسلامي يبشر بخير عميم ونعمة وفيرة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أن البلاد العربية لوحدها تستأثر على ٧٠٪ من الاحتياطي العالمي للفوسفات، و١٤٪ للكبريت(١).

أما بشأن الاستغلال الفعلي لهذه الثروة، فلا زال دون مستوى الطموح، إذ أن المستخرج لبعض المعادن بمستوى محدود، بالإضافة إلى بقاء العديد منها بعيداً عن دائرة

(١) مجلة «المستقبل» (العدد ٣١٦ في ١٢ آذار ١٩٨٣)، ص: ٥٢.

النشاط الاستخراجي. فمثلًا أن العالم الإسلامي ينتج من الحديد ما يعادل ١٥٪ من الانتاج العالمي، و٢٤٪ من انتاج المنغنيز، و٥٦٪ من انتاج القصدير، و٢٣٪ من انتاج الألمنيوم، و٢٥٪ من انتاج الفوسفات، و٤,١٪ من انتاج النحاس[١].

إن حالة القصور في استغلال هذه الثروة، إذا كانت تمثل خسارة مادية لعالمنا الإسلامي، على أساس تعطيل مصدر حيوي من مصادر الدخل القومي فهي من الناحية الشرعية، تجسد حالة بارزة من حالات سوء التصرف والأستغلال للموارد الاقتصادية لبني الإنسان، وتعكس الابتعاد الواضح عن أحكام الشريعة الإسلامية السمحة في هذا المجال.

٩ - رأي الشهيد الصدر في تعطيل استغلال الثروة:

يقول الشهيد السعيد أية الله الصدر في تعرضه لهذا الجانب من الأستثمار الأقتصادي:

«اعتبر الإسلام فكرة التعطيل أو اهمال بعض مصادر الطبيعة أو ثرواتها، لوناً من الجحود وكفراناً بالنعمة التي أنعم الله تعالى بها على عباده»[٢].

وفي القرآن الحكيم حثٌّ واضح، وتأكيد بيّن على وجوب الاهتمام بهذه الخيرات والنعم، بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

وفيما يتعلق بمآل المعادن المستخرجة، وهل تساهم بدور فاعل ومباشر في عملية التنمية، وبالتحديد في مجالات التطوير الصناعي لبلدان العالم الإسلامي، فالواقع الحالي لاستخدام هذا النوع من الموارد الاقتصادية في غالبية البلدان الإسلامية لا يقدم أي مظهر ايجابي، أو ممارسة جادة للاستفادة من الخامات المستخرجة حالياً في مجال الصناعة الوطنية، وأنَّ جُلها لازال يصدر على هيئة مواد خام إلى العالم الأستكباري، ليقوم هذا الأخير بتصنيعها وتحويلها إلى منتجات نهائية قابلة للاستهلاك أو الاستعمال، ومن ثم يعيد تصديرها إلى البلدان الإسلامية والمستضعفة ليحقق بذلك أرقاماً خيالية من الأرباح، مسخراً هذه النعم والخيرات لصالحه وصالح احتكاراته العالمية.

فمع الأسف الشديد، أن معظم الانتاج المعدني في العالم الإسلامي يوجه إلى التصدير والتجارة الدولية. وكمثال على هذا الوضع، فإن ٩٠٪ من انتاج المنغنيز يضخ إلى الأسواق العالمية، ويتجه انتاج القصدير كله إلى التجارة الدولية، وكذلك الحال بالنسبة إلى

(١) مجلة «صوت الوحدة الإسلامية» (طهران: العدد ٣٠ في ١٥ نيسان ١٩٨٢)، ص: ٤٥.

(٢) اقتصادنا: ٦٥٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

انتاج الحديد والرصاص[١]. وفي هذا السياق أيضاً تشير دراسة مفصلة أعدها «الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة العربية» أن ٢٥٪ فقط من المعادن المنتجة في البلاد العربية يخضع لعمليات صناعة محدودة، ويصدر الباقي إلى الأسواق العالمية[٢].

هذا، وإذا أضيف إليه أن الكمية المهدورة من الغاز الطبيعي في البلاد الإسلامية قدرت لعام ١٩٨٠م بحوالي عشرة مليارات دولار[٣].

ألا يدل هذا على أن - هنا - من جانبنا - نحن المسلمين - إهمالاً، وأن هناك من جانب الدول الامبريالية استغلالاً.

ألا يضع هذا الأمة الإسلامية أمام مسؤوليتها عن هذا الاهمال وجهاً لوجه.

هذا في الثروة المعدنية غير النفطية.

أما في الثروة النفطية أو البترولية فقد ذكر أن الاحتياطي للبترول في العالم الإسلامي يقدر بحوالي ٦٣٪ من مجموع الاحتياطي العالمي للنفط الخام[٤].

وقدر الخبراء العالميون الاحتياطي العالمي في السبعينات بحدود (٧١٥) مليار برميل[٥] وما هو موجود منه في الأراضي الإسلامية يقارب (٤٥٠) مليار برميل[٦]، وقدرت الاحتياطات الجديدة لبترول المملكة العربية السعودية مؤخراً بـ(١٧٠) مليار برميل[٧].

إن هذه الأرقام العالية تفرض علينا التساؤلات التالية:

كيف يتم استثمار هذه الموارد؟!

وأين تصرف؟!

وأخيراً: كيف توزع على المسلمين وفي مصالحهم؟!

---

(١) مجلة «صوت الوحدة الإسلامية» (طهران: العدد ٣٠ في ١٥ نيسان، ١٩٨٢). ص:٤٥.

(٢) مجلة «المستقبل» (العدد ٣١٦ في ١٢ آذار ١٩٨٣)، ص: ٥٢.

وأنظر: البند الامبريالي للعالم الإسلامي: حقائق وارقام ص٦٧ - ٦٨ وجغرافياً في كامل جهان، حبيب شاملوئي (بالفارسية).

(٣) مجلة (الهدف) العدد ٥٦٣ في ٢١ تشرين الثاني ١٩٨١ ص٢٧.

(٤) Islamic council of Europe, op,cit.p.174 Rbbas Rmirie, The Persian gulf and indian oceam in international Politics "tehran: 1975" P.275.

(٥) مجلة (الحوادث) العدد ١٣٥٥ في ٢٢/ ١٠/ ١٩٨٢م ص١١.

(٦) راجع: البند الامبريالي للعالم الإسلامي: حقائق وأرقام ص٧٠ - ٧١.

(٧) المصدر نفسه.

إن هذا يفرض على المسلمين أن يقوموا بدور المراقبة ثم المحاسبة، وبالطرق المتعارف عليها الآن من اقامة المجالس النيابية التي تمثل الشعوب عن طريق انتخاب أعضائها منهم ومن قبلهم.

كما أن عليهم أن يرفضوا كل اشكال المجالس الاستشارية التي يعيّن اعضاؤها من قبل الحكومات بدعوى ممثليتهم للشعب.

وبعد:

فإن استكشاف النظرية الاقتصادية الإسلامية، وتحديد المشكلة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي الراهن من قبل الإمام الصدر يكشف لنا وبوضوح عن مدى ارتفاع السيد الصدر إلى مستوى مسؤوليته كفقيه قائد حمل هموم الأمة وتحسس آلامها، وشاركها في آمالها وتطلعاتها إلى المستقبل الأفضل.

وإن كتابه (اقتصادنا) كان النقلة الموفقة في تطوير التأليف الفقهي الإسلامي من الاقتصاد على الفقه العام إلى تناول الموضوعات الأخرى التي تعد من قضايا الساعة التي تضع المسلمين بين أن يكونوا أو لا يكونوا.

رحمه الله رحمة العلماء العاملين وأسكنه في فراديس جنانه مع الشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقاً.

٩ - الفقيه السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ)

مسيرةً ومنهجاً، سيرة علمية ومنهجاً رائداً

١ - في السيرة:

كثيرون أولئكم العلماء الذين انتظمتهم مسيرة الفكر، ولكنّ قليلين منهم الذين تركوا بصماتهم على صفحاته تغييراً وتطويراً.

ومن هؤلاء القلة كان أستاذنا المغفور له الفقيه الخوئي.

نصف قرن في التدريس:

تربع - قدس سره - على كرسي الدرس في النجف الأشرف مدة تزيد على نصف قرن، حاضر في التفسير، وفي الفقه، وفي أصول الفقه.

التأليف والاشراف على كتابات الطلاب:

واتخذ من بيته صومعة علم، يخلو فيها للكتاب والقلم، يؤلف في العلم، ويتفرغ لثلة من طلبته المقربين إليه، يراجع ما يدونونه من محاضراته في الفقه وأصوله، وما يكتبونه من بحوث رأوا ضرورة الكتابة فيها، أو رغبوا في الكتابة فيها، ولآخرين بلغوا مرتبة الاجتهاد يعقد لهم من يعرف في عرف الحوزات العلمية بـ(مجلس الفتوى)، يترأسه، ويديره حواراً ونقاشاً، وفي الانتهاء إلى النتيجة الحاسمة، ليعمّق ويوسّع من خلاله قدرة هؤلاء الحضور على (الاستنباط) في مجاليه استقراء واستنتاجاً.

مجلس الفتوى مظهر تربوي:

ومجلس الفتوى من الظواهر التربوية التي لم يقدّر لها أن درست أو كتب عنها، غير أننا سنتبين فحواها من هذا العرض لمجلس فتوى أستاذنا السيد الخوئي - طاب ثراه.

كان - قدس سره - يعقد هذا المجلس في بيته ليلاً، ويحضره عدد قليل قد لا يتجاوز الآحاد.

وكان يدير الحوار والنقاش فيه حول فتاوى الفقيه السيد أبي الحسن الأصفهاني من خلال كتابه (وسيلة النجاة)، يقرأ المسألة، ويترك للحاضرين طرح ما يرونه يصلح دليلاً للمسألة، ثم يعالجون الدليل تحليلاً ونقداً، وبعد أن يفرغ كل منهم من طروحاته، وينتهي الجميع، يبدي - قدس سره - ملحوظاته وملاحظاته على كل ما دار في المجلس، ثم يقول القولة الفاصلة في المسألة.

ومجلس الفتوى هو المرحلة الخاصة في الدرس الفقهي، يُستهدف منه أن يقوم المجتهد بالممارسة الفعلية والتطبيق العلمي للاجتهاد باشراف مجتهد ذي مرتبة أعلى، أفادها من ممارساته الفنية وتجاربه العملية في تطبيقاته الاجتهادية.

ومن هنا يبين الجانب التربوي المهم في هذه الظاهرة.

اسلوبه في البحث الخارج:

وإلى جانب مجلس الفتوى المشار إليه في أعلاه كان يحاضر في الفقه بمسجده الذي كان يقيم فيه صلاة الجماعة، والمعروف بـ(مسجد الخضراء)، صباحاً بعد الشروق بساعة، ويحضره العدد الكبير من الطلاب الذين يعدون بالمئات.

ويطلق على هذا النوع من الدرس في لغة الحوزة العلمية (البحث الخارج) لأن الأستاذ المحاضر يرقى فيه إلى مستوى البحث العلمي بكل متطلبات الاستدلال، ويلقيه خارج عبارة الكتاب بما يختلف فيه ودرس المقدمات والسطوح.

وابتدأ - قدس سره - درسه هذا من خلال كتاب (المكاسب) للشيخ الأنصاري، يتخذ منه مثاراً للبحث ومداراً للدرس.

وبعد أن انتهى اتخذ من كتاب (العروة الوثقى) للسيد اليزدي محور البحث والدرس.

حضرت درسه الشريف منذ بدئه بالكتاب الأخير، فرأيته ذا قدرة بيانية متفوقة لأنه كان يمتلك وسائل التعبير العربي الفصيح دونما تكلف أو تردد، وذا قدرة وافية في العرض، حيث كان يلم بموضوع البحث بجميع عناصره وأبعاده، ويسلسله مرتباً ترتيباً عضوياً، وهذا بدوره ينبىء عن تضلعه وتعمقه في الاحاطة بمادة الدرس.

وبعد أن يوضح الموضوع، ويحرر المسألة - كما يقال في لغة الفقهاء - يذكر الأدلة، يحلل ويعلل، ويوازن ويقارن، ويناقش ويحاكم، منتهياً إلى ما يراه أو يختاره من دليل في هدي ما يسلمه إليه البحث.

وكان في كل هذا يتحرك داخل اطار المسألة، فلا يستطرد إلّا إذا دعته طبيعة البحث إلى ذلك، فيخرج ولكن بالقدر الذي يستجيب فيه لمقتضى البحث.

ولكن وميزته الذهنية - هنا - أنه كان دقيق النظر يستهدف النكتة العلمية فيصطادها، وبمهارة.

وأتذكر من هذا: أنه استعراض - مرة - مسألة من مسائل كتاب الطهارة، فعرض روايات القولين في المسألة، وذكر اختيارات الفقهاء فيها بترجيح إحدى مجموعتي الروايات على الأخرى استظهاراً، بينما القضية في واقع ما عرضه - قدس سره - تعطي تكافؤاً واضحاً بين مجموعتي الروايات، وهنا طرح نكتته العلمية في المسألة بحكومة رواية من روايات إحدى المجموعتين على الأخرى بما يرجحها علمياً على رصيفها.

وأتذكر - هنا - أيضاً أن بعض الفقهاء القائلين بخلاف رأيه تأثروا بما تنبه له وعدلوا عن رأيهم إلى رأيه.

ومن خلال تتبعي للمسألة رأيت أن جميع الذين بحثوا المسألة من بعده تبنوا دليله واختاروا رأيه، لهذه اللمحة العلمية الفنية التي ذكرتها.

وهذه الميزة الذهنية لا توجد إلّا عند القليل من العلماء.

وبهذه وأمثالها شق - أعلى الله مقامه - طريقه في تاريخ الفقه الإسلامي ليكون اسمه قرين الأرقام الأولى في القائمة.

اثر أساتذته في تكوين مدرسته الأصولية:

وفي أصول الفقه تتلمذ على أقطاب المدارس الأصولية الثلاث المتعاصرة: الشيخ العراقي والشيخ الاصفهاني والميرزا النائيني.

وكان لكل واحدة من هذه المدارس الثلاث منهجها الخاص بها، ومنطلقاتها في اعطاء النظريات وفقه.

فقد عرفت مدرسة الأصفهاني بطابعها الفلسفي، ويعود هذا إلى أن مؤسسها الأصفهاني كان - مضافاً إلى تخصصه في الفقه وأصوله - حكيماً متألهاً، هيمنت الفلسفة الإلهية بأبعادها الثقافية المعروفة على آفاقه الذهنية ومنطلقات تفكيره.

وعرفت مدرسة العراقي بطابعها العلمي الذي نأى بها عن اخضاع الظواهر العلمية لمبادىء الفلسفة ونظرياتها، وذلك للفرق بين العلم والفلسفة، وأصول الفقه - كما هو واضح - علم لا فلسفة.

وكانت مدرسة النائيني تجمع بين الطابعين الفلسفي والعلمي.

وبمقتضى نضج المنهج طرحت هذه المدارس الثلاث المتعاصرة، كثيراً من الفكر الأصولي القديم، وأضافت كثيراً من الفكر الأصولي الحديث.

ولأن أستاذنا الخوئي كان من أوعى الطلاب الذين حضروا منابر هؤلاء الأقطاب الثلاثة، حيث صَبَّت كلها في محيطه العلمي صباً حَيّاً استوعبها منهجاً ومادةً، ثم ومن على منبره للدرس الأصولي جمع بينها في مقارنة علمية واعية ومنتجة، كونت له مدرسة أصولية خاصة به ربّع بها مدارس أساتذته المشار إليهم.

فكانت آراؤه الأصولية تذكر في الدراسات الأصولية إلى جانب آراء أساتذته، ولعمق أبعاد مدرسته علمياً وقف عندها - حتى الآن - تطور أصول الفقه من ناحية علمية، فلم يُقَدَّر لي أن رأيت من جدّد من تلامذته في أصول الفقه علمياً بالشكل الذي يعد معه صاحب مدرسة.

في علم الرجال والتفسير:

وفي علم الرجال ألف موسوعته القيمة (معجم رجال الحديث) التي انفرد فيها بتحديد مركز الراوي في السلسلة السندية عمن يروي هو عنهم وعمن هم يروون عنه فحلّ بهذا مشكلة معقدة، ويسّر أمام الباحثين مؤنة المراجعة والبحث، وأعاد به لعلم الرجال قيمته العلمية وأهميته تعلماً وتعليماً.

وفي المدخل إلى التفسير كانت له آراء كشف فيها عن جوانب مهمة في منطلقات التفسير ومناهجه.

مرجعيته:

هذا كله إلى قيامه لأكثر من عشرين عاماً بأعباء المرجعية الدينية من الافتاء وإدارة شؤون الحوزات العلمية في النجف وخارجها، ومؤسساته الخيرية في البلدان النائية عن النجف في ظروف سياسية عصيبة أثقلته بالهموم والمتاعب حتى الرمق الأخير من حياته الشريفة.

٢ - في المنهج:

من أهم خصائص العلوم الإسلامية أن تظافر فيها المنهج النقلي والمنهج العقلي في وحدة تكاملية احتفظت لها بأصالتها الإسلامية، وطبعتها بطابع العمق في البحث، والاستقلالية في الرأي، فكان بروز الشخصية العلمية لدي الباحث المسلم أن يتحرك داخل هذا الإطار، فيحافظ على هذه العناصر الثلاثة: (الاصالة، العمق، الاستقلال)، ليبقى للفكر الإسلامي وجوده المميز.

هذا هو (البعد الثابت) للفكر الإسلامي، منه ينطلق العالم المسلم والباحث المسلم، وإليه يعودان عندما يتحركان في عالم متغيرات الفكر.

والمعيار الثابت في تحديد الشخصية العلمية لكل منهما، وفي ظهورها على الانتاج العلمي يتمثل في المحافظة على هذا (البعد الثابت) وفي (الإضافة في المتغير).

وهذا الشيء في مجال النظرية من الوضوح بمكان، ولكن في مجال التطبيق قد تغيم معالمه فيكون الانزلاق والانحراف.

وقد لا يسلم من هذه الغفلة في مجال التطبيق إلّا الوعاة من العلماء واليقظون من الباحثين، من هنا لا يجوز أن يضاف عنصر (المعاصرة) للفكر الإسلامي، وهي - أعني المعاصرة - من المتغير، إلّا بعد الالتزام بالمحافظة على الأصالة التي هي من الثابت.

ومن هنا إذا أردنا أن نتعرف واقع شخصية علمية هل هي بمستوى قضية التطور الفكري المعاصر نتلمس وجوده في (الثابت) و(المتغير) معاً، لا أن نتلمس وجوده في (المتغير) فقط.

ولخطورة الموقف في هذه الحدود الفاصلة، ولصعوبة تثبيت الأقدام بشكل متوازن، ذهب الكثير منا في هذا التيه الفكري الذي سميناه بالضياع، وراح البعض منا في تذبذب متعب، مدة في الثابت وأخرى في المتغير، حتى فَقَدَ الاثنتين الاصالة والمعاصرة.

في ضوء هذا كنت أتلمس عن قرب، وبطريقة الملاحظة، في شخصيات علمية عرفت بالعطاء العلمي، عاصرتها وتتلمذت عليها، منها شخصية أستاذنا المغفور له الإمام الخوئي.

ريادته المنهجيّة:

كان - قدس سره - ذا نظرة حدية وحادة في فهم الفاصل بين الثابت والمتغير، فكان يتحرك وهو يهدف إلى اعطاء الجديد، في دائرة الاضافة في المتغير فقط، وبه برزت شخصيته العلمية كعالم إسلامي جدد في الفكر الإسلامي علمياً وفنياً.

ولأذكر - هنا - لقطات انطباعية تشهد لهذا، وتمثل دور ريادته في قضايا كان على الواقع العلمي والدراسي في الأوساط الحوزوية أن تكون فيه - منها:

١ - التوسع الأفقي في الاطلاع على الإضافات في المكتبة الإسلامية.

رأيته - قدس سره - عندما كان يحاضر في التفسير ليلتي الخميس والجمعة من كل أسبوع يتابع في الاطلاع على ما أضيف في مكتبة القرآن الكريم من اصدارات تراثية ومعاصرة، وأتذكر أني أوصلت إليه - كواحد من كثيرين - (في ظلال القرآن) و(التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن) وكلها للمرحوم الأستاذ سيد قطب، و(القصص القرآني) للدكتور خلف و(مذاهب التفسير الإسلامي) للمستشرق گولدتسيهر.

٢ - الرجوع في تحديد الموضوع العلمي إلى حقل معرفته.

ونرى هذا عنده - رحمه الله تعالى - في مثل دراسته لوحدة الأفق في مسألة الهلال، المنشورة في رسالته العملية.

٣ - التأكد من اعتبار المصدر.

فقد سمعته - وهو يحدد اعتبارية كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة) للجزيري - يقول: إن الكتاب لم يحرر كل ما فيه، ويقصد من هذا أنه لم يراجع كله لتوثيق ما فيه.

وعندما التقيت المرحوم سماحة الشيخ عبد الوهاب الفضلي إمام جامع السيف في البصرة ومفتي أهل السنة فيها، وذكرت له قول أستاذنا الخوئي، أكد صحة قوله، وحدد القسم المحرر منه، والقسم الذي لم يحرر.

٤ - توثيق النص المنقول:

وقد أشار إليه بنفسه - طاب ثراه - في مزايا موسوعته الرجالية القيمة الموسومة بـ(معجم رجال الحديث ١/ ٢١)، يقول: «كل ما نقلنا في الكتاب عن أحد، فإنما نقلنا عن

أصل المصدر، وقد يتفق أنه لا يوجد فيه، أو نحن لم نجده فيه، أو لم نراجعه، فننقله عمن نقله عن المصدر، مع التصريح بذلك. . . ولا ننسب شيئاً إلى أحد اعتماداً على حكاية ذلك في كتب الرجال أو غيرها، فإن ذلك يوقع في الاشتباه كثيراً، كما وقع ذلك لغيرنا، ولا سيما في بعض كتب المتأخرين».

٥ - تحديد الموضوع:

من أهم الأعمال في الدرس الفقهي من ناحية منهجية أن يُحددَ الموضوع قبل البحث عن حكمه - أو كما يعبر في لغة الفقه أن ينقح الموضوع أولًا ثم يبين الحكم -.

ولكن الظاهرة التي تكاد تكون شبه عامة عند الفقهاء في مجال الدرس الفقهي الاستدلالي، ذكر الموضوع دونما محاولة توضيحه بتبيان مفهومه وأبعاده، عدا ما رأيته عند أستاذنا السيد الخوئي في درسه الفقهي الاستدلالي على كتاب (العروة الوثقى) للسيد اليزدي، فإنه - قدس سره - كان يبدأ أولًا بتعريف الموضوع وتجلية مفهومه وتحديد أبعاده، ثم ينتقل - بعد هذا - إلى عرض أقوال الفقهاء وآرائهم في الحكم، فاستعراض دليل كل رأي، ومن بعد يقوم بالموازنة بين الأدلة، المحاكمة لها، لينتهي إلى ما ينهيه إليه البحث.

واذكر مثالًا لهذا: مسألة تنجيس المتنجس من كتاب الطهارة، فالكثير ممن قرأتهم من الفقهاء يكتفون بذكر عنوان المسألة ثم يبحثون أدلة حكمها.

بينما رأيته - قدس سره - لم يكتفِ بذكر عنوان المسألة، وإنما يتعداه إلى ايضاح موضوع المسألة ببيان أن المراد من هذه المسألة: المتنجس الذي قد زالت عنه عين النجاسة ثم جف بعدها، ولاقاه وهو في هذه الحالة جسم طاهر رطب رطوبة مُسَرِّيَة، أو أن المتنجس ترطب بسائل طاهر رطوبة مسرّية أيضاً.

وهذا يعني الالتزام الدقيق والواعي بمنهج البحث الفقهي، ذلك أنه في حالة عدم اتضاح الموضوع قد يفهم أن الموضوع يؤخذ على اطلاقه، والمسألة فقهياً ليس كذلك، لأن الملاقي للمتنجس مع وجود عين النجاسة فيه أو رطوبتها المسرية يكون ملاقياً للنجاسة لا للمتنجس، وفرقٌ بين المسألتين.

٦ - مباشرة التطبيق:

وكذلك هي الأخرى من الخطوات المنهجية التي قلما اعطيت الاهتمام المناسب لها، فالكثير من مدرّسي الفقه يعتمدن على ما هو مذكور ومنقول في الكتب الفقهية، أو على تجارب لآخرين سابقين.

بينما كان السيد الخوئي - قدس سره - يباشر التطبيق بنفسه ليتأكد من المسألة تأكداً وجدانياً.

ومن هذا: قيامه بوزن ماء الكر لمعرفة مساواة وزنه بالارطال للوزن المألوف في هذا العصر والمتعارف عليه.

ونتيجة تجربته أو تطبيقه مذكورة في محاضراته الفقهية التي دوّنها تلميذه الشيخ الغروي في كتابه المرسوم بـ(التنقيح في شرح العروة الوثقى).

٧ - المقارنة باللغات الأخرى في توضيح مفهوم الموضوع أو المصطلح:

وهو شيء ألفناه في الدراسات الجامعية والبحوث الاكاديمية حيث تقوم المقارنة باحدى اللغات الحية كالانجليزية والفرنسية لأجل الايضاح والافهام.

بينما لم نألف هذا في الدراسات والكتابات الحوزوية، إلا ما رأيته عند استاذنا الخوئي - عطر الله مرقده - فكان كثيراً ما يقارن باللغة الفارسية بغية التوضيح والتفهيم.

وهي التفاتة منه صائبة، فقد اثبتت الممارسات في الأوساط العلمية الجامعية قدرة هذه المقارنة - وظيفياً - على البيان والتبيين.

ومثال هذا: ما ذكره في درسه الفقهي الاستدلالي لتوضيح معنى مادة الكحول الموجودة في الاسبرتو حيث قارنها بذكر ما يقابلها في الفارسية.

٨ - متابعة ما يستجد من نظريات:

لمست هذا منه - قدس سره - وهو يبحث مسألة (الوضع) وهي من مسائل مباحث الألفاظ في علم أصول الفقه، ويراد بها (نشأة اللغة)، فبعد أن ذكر ما ذكره علماء أصول الفقه في مدوناتهم الأصولية من نظريات في المسألة، والتي تتلخص بالتالي:

١ - أن الواضع للغة هو الله تعالى.

وهو الرأي الذي ذهب إليه ابن فارس من أعلام اللغة العربية في كتابه المعرفة بـ(الصاحبي في فقه اللغة)، والذي عبّر فيه عن هذا بتوقيفية اللغة.

٢ - إن الواضع للغة هو الأب الأعلى لابناء اللغة كـ(يعرب) أو (إسماعيل) بالنسبة إلى اللغة العربية.

بعد أن ذكر هذا وناقشه وأبطله ذكر أحدث نظرية لنشوء اللغة كانت تذكر آنذاك في علم اللغة العام وفي علم الاجتماع اللغوي، والتي تقول: إن اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ نتيجة الحاجة إلى التفاهم، وبشكل تلقائي.

ثم اعطى مثالًا لهذا: لو أننا أخذنا طفلين صغيرين عند بدء ظهور استعدادهما لتعلم اللغة وعزلناهما في مكان خاص مغلف بعازل يمنعهما من سماع الأصوات، وجئناهما بعد النضج الوظيفي لديهما لتعلم اللغة لرأيناهما قد أوجدا لهما لغة خاصة يتفاهمان بها.

٩ - استخلاص الأمثلة من الواقع المعاش:

إن استخلاص الأمثلة من الواقع المعاش واستخدامها في مجال توضيح المسألة العلمية المعقدة بغية تقريبها إلى الذهن وسيلة تربوية ناجحة.

وقد دأب الأساتذة الاكاديميون على استخدامها في الدرس الجامعي استجابة لمدى نجاحها تجريبياً.

ولما كان يتمتع به استاذنا الخوئي من انفتاح على الجديد المفيد، ومن تفتح في الأفق الذهني شاهدته في درسه الأصولي يستخدم هذه الوسيلة.

واتذكر من هذا: تمثيله لمسألة الأمر بين الأمرين أو ما يعرف في الفلسفة الحديثة بـ(حرية الإرادة) لبيان أن مباشرة الإنسان لافعاله الإرادية هي من الإنسان نفسه وبتمام اختياره وكمال حرية إرادته، إلّا أن القوة أو الطاقة التي تمده لممارسة الحركة هي من الله تعالى.

ومثّل - قدس سره - لهذا بالمصباح الكهربائي كيف يصدر النور بتأثير الطاقة الموجودة في المولّد الكهربائي.

١٠ - المرونة العلمية:

كان - أعلى الله مقامه - يشيد في درسه الأصولي كثيراً بالتقسيم الثلاثي النحوي للكلمة العربية، وهو تقسيمها إلى اسم وفعل وحرف، والمذكور في أول كتاب سيبويه، وفي إحدى الروايات التاريخية التي ترجع وضع النحو إلى الإمام علي .

ولكنه - قدس سره - بعد اطلاعه على ما كتبه النحاة المحدثون من العرب في موضوع هذا التقسيم وما أبدوه عليه من ملاحظات علمية تتسم بالموضوعية والجدّية، غير من موقفه، وطوى ذكر المسألة فيما تلاه من دورة جديدة للدرس الأصولي.

إلى أخريات مهمات من أمثال هذه.

١٠ - الشيخ محمد باقر بو خمسين (ت ١٤١٣)

من العلماء الأدباء في الإحساء

١ - الانطباعات الأولى حول شخصيته:

كانت بداية معرفتي بالمترجم له الشيخ بوخمسين رحمه الله عن طريق قراءاته لكتاباته في مجلة (العرفان) اللبنانية، والأخريات النجفيات أمثال: (الغري) و(البيان) و(العدل الإسلامي)، وذلك عندما كنت في البصرة وقبل رحلتي العلمية إلى النجف الأشرف، فأعجبت به فكراً واسلوباً.

وكان يوقع منشوراته باسم (محمد باقر الهجري) فعلمت أنه أحسائي الأصل، فأحببت أن أعرفه شخصياً لرابطة البلد الأم.

وشاء الله تعالى أن أرحل إلى النجف الأشرف لطلب العلم، وأن التقي به، فتربط بيننا أكثر من علاقة، ونشترك في أكثر من عمل ثقافي، فأتعرفه عن قرب الدارس الجاد في تحصيله، والمدرس المخلص في تدريسه، والإنسان الوفي في صداقته.

إلى تطلعات طموحة نحو مستقبل يحقق له ما يصبو إليه من أن يكون شخصية علمية أدبية ذات عطاء بنّاء في خدمة الدين والوطن.

وكان إلى جانب هذا شديد الاحساس بمسؤوليته تجاه نفسه وتجاه الاخرين، ودينامي الحركة في مجال نشر الفكر ومجال دفع من حوله من أصدقائه وأحبائه إلى الانطلاق وكسر الجمود المعيق، والتحرك في طريق بعث الكلمة وحمل الرسالة.

٢ - المكوّن الثقافي لشخصيته:

ولكي أعرّفه تعريفاً يضعه في مركزه العلمي والأدبي، لا بد لي من أن أمهد لذلك بتعريف البيئة الثقافية التي عاش فيها متعلماً ثم عالماً ومتأدباً ثم أديباً، تلك البيئة السخية التي عاطاها فأخذ منها وأعطاها، وأخذت منه وأعطته، والتي ساهمت على طول مديات تاريخها في أكثر من منحى وتحركت في أكثر من ميدان.

٣ - الحوزات العلمية في النجف الأشرف:

تعد الحوزة العلمية في النجف الأشرف من كبريات الاكاديميات الثقافية في العالم الإسلامي، ينسل إليها سنوياً العدد الكثير من كل حدب وصوب لينهلوا من معين علوم أهل البيت عليهم السلام، ويتخرج فيها كل عام العدد الكبير من العلماء يحملون الرسالة مبشرين ومنذرين، وينشرون الفكر الديني بين الناس.

٤ - التخصصات في الحوزة:

ومن واقع الحوزة الراهن يوم كنا فيه يمكنني أن استخلص أهم تخصصاتها الثقافية، وهي في المواد التالية:

١ - علوم اللغة العربية: الصرف والنحو والبلاغة.

٢ - المعارف العقلية: المنطق والكلام والفلسفة.

٣ - العلوم الشرعية: الفقه واصول الفقه والتفسير والحديث.

٤ - الفنون الأدبية: الشعر والنثر الفني والخطابة الحسينية.

٥ - وسائل التحصيل الثقافي:

وكانت الوسائل التي يصل الطالب عن طريقها إلى تخصص أو أكثر من هذه التخصصات:

١ - الدرس للمقررات الدراسية ووفق المراحل الدراسية المقررة. وهي وسيلة تلقي علوم اللغة العربية والمعارف العقلية والعلوم الشرعية.

٢ - المنبر، لتعلم الخطابة الحسينية.

٣ - المجلس، لتنمية وصقل الموهبة الأدبية في الشعر والنثر.

٤ - الكتاب والمجلة، لانماء الثروة الثقافية العامة.

ووسيلة الدرس لا بد منها لتحصيل العلم، وما عداها خيارية، من شاء أخذ، ومن شاء ترك.

فقد ترى حوزوياً يتخرج عالماً فقط، وآخر عالماً أديباً، وثالثاً عالماً وأديباً وخطيباً، ورابعاً مشاركاً في ثقافات إضافية أخرى حصل عليها عن طريق الكتب والدوريات المتخصصة وغير المتخصصة.

ومن أعلام الفقه في الحوزة تنبثق المرجعية الدينية العليا للشيعة الإمامية في العالم، تقوم بوظيفة الافتاء، ورعاية الشؤون الدينية للشيعة في العالم.

ومضافاً إلى تعريف الحوزة كتمهيد لمعرفة موقع مترجمنا منها لا بد أيضاً من الالماح إلى المسؤولية التي يستشعرها ابن الحوزة، ويرى ضرورة تحمل تبعاتها والقيام بوظيفتها.

٦ - وظيفة خرّيج الحوزة:

إن وظيفة العالم هي تبليغ الأحكام الشرعية.

ووظيفة الخطيب احياء ذكريات أهل البيت وبث أفكارهم.

ورسالة الأديب قول الشعر أو النثر في المناسبات، وبخاصة الدينية منها.

إلى جانب هذه هناك مهمات أخرى، أمثال: مهمة التأليف، واعداد البحث، وكتابة المقالة لتنشر في الدوريات المحلية والخارجية للثقافة والإعلام.

وكانت هذه تأخذ مسارين:

١ - مسار التأليف والكتابة في مواد وموضوعات التخصص، ويغلب عليها تدوين محاضرات الاساتذة، ويصطلح عليها في لغة الحوزة بـ(التقريرات).

٢ - مسار التأليف والكتابة في الرد على التحديات من الآخرين، وعلى الشبهات التي يثيرونها، سواء كانت حول الدين بعامة أو حول المذهب بخاصة.

هذه صورة مصغرة للوضع الثقافي في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، التي التحق بها المترجم له وتخرج فيها.

والآن لنكن مع ما وعدت به من بيان موقع المترجم له في هذا العالم الحوزوي الثقافي.

٧ - الشيخ «بو خمسين»

شخصيته العلمية والأدبية:

درس الشيخ بوخمسين كأي طالب حوزوي المقررات الدراسية ووفق مراحلها المقررة، وتخرج بها عالماً بالعلوم المذكورة.

وحرصاً منه على تكوين شخصيته الثقافية بأكثر من هذا حضر مجالس الحوزة الأدبية ومنتدياتها واحتفالاتها فتخرج فيها الأديب الشاعر الناثر، وكان الغالب عليه النثر، وفي مجال كتابة المقالة وإعداد البحث.

ورغبة منه في أن يزيد رصيده الثقافي قرأ الكثير من الكتب المتنوعة في موضوعاتها، وكذلك الكثير من الدوريات الأدبية والعلمية والثقافية العامة، وتخرج فيها المثقف الموسوعي.

وحقق في تأليفاته نوعي التأليف اللتين أشرت إليهما من خلال المسارين المذكورين، وغلب عليه التأليف في المسار الآخر، فألف كتاب (أثر التشيع في الأدب العربي) رداً على الأستاذ الكيلاني الذي كان قد كتب في الموضوع نفسه وتحت العنوان نفسه، ولكنه لم ينصف التشيع ولم يعدل في حكمه عليه، وألف المترجم له كتابه (لماذا نقدس القرآن) رداً على الشبهات التي كانت تثار حول القرآن الكريم آنذاك، وكذلك الشأن في كتابه الآخر (أخلاق القرآن).

ويحظى المسار المذكور بأهمية مميزة في الحوزة العلمية وفي عالم التشيع والشيعة، فقد راده في عصر المترجم له علماء كبار من أعلام الحوزة العلمية، وقفوا أمام التحديات والشبهات، وهم أمثال:

١ - الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، ومن أشهر مؤلفاته في هذا المجال كتابه (أصل الشيعة وأصولها) الذي طبع عشرات الطبعات وترجم إلى عدة لغات.

٢ - الشيخ محمد جواد البلاغي الذي تعلم اللغتين العبرية والسريانية ودرس الكتب الدينية اليهودية والمسيحية الأصول وفي لغتها الأصلية، ورد عليها، ومن أشهر كتبه في هذا المضمار (الهدى إلى دين المصطفى) و(الرحلة المدرسية)، الأول في الرد على اليهودية، والثاني في الرد على المسيحية.

٣ - الشيخ علي آل كاشف الغطاء (والد صاحب أصل الشيعة وأصولها) الذي ألف في تراجم رجالات الشيعة كتابه المعروف (الحصون المنيعة في طبقات الشيعة)، الذي كان - ولا يزال - أهم مرجع في موضوعه، وللأسف أنه لم يقدر له أن يطبع، إذ لا يزال مخطوطاً مخزوناً في مكتبة آل كاشف الغطاء العامة في النجف الأشرف.

٤ - الشيخ آغا بزرك الطهراني، الذي ألف موسوعته الفهرسية الشهيرة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، وموسوعته الأخرى في تراجم رجالات الشيعة (طبقات أعلام الشيعة).

٥ - السيد محسن الأمين العاملي، الذي ألف في رد الشبهات، وفي التراجم وموسوعته (أعيان الشيعة) أشهر من أن يشار إليها بتعريف.

٦ - الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب الموسوعة القيمة (الغدير في الكتاب والسنة والأدب).

٧ - الشيخ محمد رضا المظفر، وله (السقيفة) و(هامش السقيفة) و(عقائد الإمامية).

٨ - الشيخ محمد أمين زين الدين، وله (مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية) و(العفاف بين السلب والايجاب) و(إلى الطليعة المؤمنة) و(رسالات السماء).

٩ - الشيخ أسد حيدر، مؤلف موسوعة (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) وكتاب (الشيعة في قفص الاتهام).

١٠ - الشيخ باقر شريف القرشي الذي أصدر كتبه المعروفة في تاريخ سير الأئمة الاثنى عشر.

وغير هؤلاء.

عاش الشيخ بوخمسين هذه الأجواء فاختار أن يسير على الخط، فألف ما أشرت إليه من كتب بتأثير هذا الجو الثقافي الحوزوي الذي ألمحت إليه.

ولعل هذا نتيجة علاقاته بأكثر هؤلاء الذين ذكرت اسماءهم.

إن هذه الاضافات على دراسة التخصص العلمي التي تمثلت في التخصص الأدبي، والتأليف في مجال مهم وهو التعريف بالشيعة والتشيع، لدليل واضح على اهتمام المترجم له في بناء شخصيته الثقافية بناء يتكامل فيه العلم مع الأدب، وعلى مدى وعيه لمسؤوليته الدينية باختيار مسار التأليف الثاني الذي يبرز فيه المؤلف ويشتهر أكثر منه في المسار الآخر.

٩ - وفاؤه لوطنه الأحساء:

ومن وفاء الشيخ بوخمسين لوطنه الأحساء أن بقي مشدوداً إليه حتى وهو في غربة رحلته العلمية، فألف كتابه (هجر في مراحل التاريخ) أو (تاريخ علماء هجر)، ولعله أول من راد هذا المجال من المؤلفين الأحسائيين، وقد استفاد منه كل من ألّف بعده في الموضوع نفسه.

ومتى أضفنا إلى هذه دوره في القضاء والتبليغ عندما عاد إلى وطنه الاحساء مزوداً بوكالات العلماء المراجع، نراه قد ترك هذه السيرة المثلى في العطاء والوفاء.

١١ - الشاعر أحمد سلمان الكوفي (ت١٤٢٠هـ)

من جيل النُّقلة في شعر النهضة القطيفي

١ - تتبع مسيرته الشعرية:

تعرفت الشاعر الكوفي أيام كنت في النجف الأشرف من خلال قراءاتي لبعض ما نشر له من شعر، وبخاصة في الذكريات التي طبعت في النجف، أمثال ذكرى الإمام الخنيزي، وذكرى الزعيم الخنيزي، فرأيته في ما قرأت له الشاعر الذي يعيش أبعاد النهضة الأدبية العربية الحديثة، التي كانت تنحو في بداياتها منحى التجديد، والخروج بالشعر من إطار الكلمة اللعوب التي هيمنت على شعر ما بعد العصر العباسي، ذلكم التجديد الذي تمثل في تأطير الفكرة بالصورة اللفظية المعبرة والموحية، المعبرة عن قدرة الشاعر في الاختيار والتذوق، والموحية للقارىء بشخصية الشاعر في عالم تفاعلها والفكرة تأثراً وتأثيراً.

ومن خلال هذا أدركت قيمة البعد الشعري في شخصية الشاعر الكوفي حيث يحيا وباحساس المرهفين معطيات النهضة الأدبية الحديثة في ما تفرضه من نُقْلة شعرية تضع الشعراء العرب في موقعهم من العالم الجديد بحضاراته وثقافاته، وما يدور فيها من تغير وما ترمي إليه من تغيير.

ومرت بي الأعوام تنقلي مرة وأخرى من سهول إلى جبال، وبالعكس، وفي كل الحالات كنت أتابع في ما أتابع بحكم تخصصي اللغوي الانتاج الأدبي القطيفي، فأراه يقطع الشوط تلو الآخر، يواكب مسيرة الشعر العربي الحديث، وبكل سمو وشموخ.

وتوقفت بي السنون أخيراً - ولا أظنه آخراً - في هذه الواحة الخضراء على ساحل الخليج الأخضر، وإذا بي أعود أقرأ لشاعرنا الكوفي، وإذا به الوفي لمركزه المميز في الريادة للجديد الذي أشرت إليه، يحافظ عليه، ويغذّيه لئلا يضعف أو يضمر، فشعره هو هو حيث تعانق فيه متانة المعنى رقة اللفظ، وتحتضن فيه الصورة المعبرة الفكرة القارة والعابرة.

٢ - بين الكوفي والمعري:

دُعيت من قبل أسرة منتدى الغدير الأدبي للمشاركة في مهرجان تكريم الشاعر الكوفي الذي أقيم في مدينة القطيف يوم الخميس - ليلة الجمعة ٢٠/ ١٢/ ١٤١٥هـ، وكنت شديد الشوق للمشاركة لأعبر عن انطباعاتي عن شاعرية الشاعر الكوفي من خلال قراءاتي لشعره، وعزَّ عليَّ أن عاقني عن الحضور والمشاركة وضعي الصحي، فأحببت أن أعوّض عن هذا بزيارتي له في مقر سكناه بالقطيف، وكان ذلك عصر يوم الخميس ٣/ ٥/ ١٤١٦هـ الموافق ٢٨/ ٩/ ١٩٩٥م، يرافقني الأستاذ فؤاد العمران، والأستاذ الشاعر السيد حسن الخليفة، وحين وقعت عيني على مجلسه حضرني بيت الشاعر الجواهري الذي يصف به حياة أبي العلاء المعري:

على الحصير وكوز الماء يرفده وذهنه ورفوف تحمل الكتبا

ذلك أني رأيت التشابه بينه وبين المعري في ظروف الحياة تاماً، مع فارق نمط العيش من حيث الزمن، وحضر المجلس أبو فؤاد الأستاذ الشاعر حسين الزائر، وأسمعنا مضيفنا شيئاً من تسجيلات شعره، وبطريقة (الانشاد) القديمة، وهي بتنغيمته المتهجدة تضيف إلى جمال الشعر جمالًا، وضاعف الجمال تقفيته لما ينشد، وانشراحه وهو يستمع لشعره ويعلق عليه بالاستحسان.

رأيته يعيش وهو في اتزان شيخوخته حيوية الشباب، ويحمل وهو في عالم زهده وبساطة وضعه روح الكرماء وعزة الشرفاء.

وتنقل الحديث بيننا - في ما تنقل إليه - إلى دراسته وأساتذته، فذكر أنه درس عند الخطيب الشيخ ميرزا حسين البريكي عليه السلام، وعند العلامة الشيخ محمد حسين آل عبد الجبار عليه السلام.

٣ - ديوان الكوفي:

بعد ذلك بأيام تفضل باهدائي نسخة من ديوانه، وكان في دور إعداده للنشر، فقرأت الديوان، وقرأت الشاعر: أصداء سيرته وشخصيته تتفيؤ في ظلال شعره، وخرجت من قراءته بأن مركز شاعرنا الكوفي من رعيل رواد النهضة الأدبية العربية في ما أسميه (جيل النُقلة)، ذلكم الجيل الذي مد الجسر بين ما قبل النهضة والنهضة، فأبقى على شيء من ظواهر شعر ما قبل النهضة، وتمثل هذا عند الكوفي في نظم الموشحات، ومنها: موشحة بعنوان (غرد القمري) ومطلعها:

غرد القمري بالبشر وصاح فرحاً يعلن فوق الشجر

أومض البرق الحجازي ولاح   مشرقاً يحمل طيب الخبر

نظمها مهنئاً الشيخ محمد صالح البريكي بمناسبة قدومه من الحجاز بعد أداء شعيرة الحج سنة ١٣٥٤هـ.

وموشحته الأخرى التي أسماها (صلاح البلبل) ومطلعها:

صدح البلبل يتلو غزلا   يتغنى فوق فرع الغصن
ولقد سر فؤادي ما تلا   وتنبهتُ لما نبهني

وهي في مناسبة زواج الأستاذ رياض الجشي.

وتمثل أيضاً في شعر المجاراة، ومنه: قصيدته التي استهلها بقوله:

ريم له الحسن الجلي   رضابُه كالعسلِ

جارى بها قصيدة الأصمعي المستهلة بـ:

صوت صفير البلبلِ   هيَّج قلب الثملِ

التي ألقاها بين يدي أبي جعفر المنصور العباسي فانتزع بها منه كل ما بخل به على الشعراء من عطاء.

والأخرى التي أولها:

نحن يا مستر كراينْ   أهل خلف وتباينْ

جارى بها الشاعر العراقي معروف الرصافي في قصيدته التي أولها:

إيهِ يا مستر كراينْ   انظر الشرق وعاينْ

وتمثل أيضاً في شعرالمناسبات من تهنئة بزفاف ومباركة بقدوم من حج أو سفر وغيرها، وهو غير قليل في ديوانه.

٤ - شعرية جيل النقلة:

وبرز في شعره ما برز في شعر جيل النُقلة من ظواهر تشير إلى التغير والتجدد، منها: ذكر أسماء المخترعات الحديثة كالسيارة والطيارة والقطار والباخرة والخ.

ومن هذا شيء غير قليل في شعر الزهاوي والرصافي والشبيبي والصافي ومعلوف وسواهم من شعراء هذا الجيل.

ومن هذا في شعر شاعرنا الكوفي قوله في رثاء الخطيب الميرزا البريكي يذكر فيه آلة التسجيل الصوتي:

هذا المسجل في صنيع العلم ذي الفن الجديد فيه مجالسك السنية سجلت للمستفيد

ومنها: النظم في موضوع الحجاب والسفور، ولعلنا نتذكر الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي كيف أسفر في الدعوة إلى السفور شعراً ونثراً.

ومن شعر الزهاوي في السفور:

مزقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريـ ـث فقد كان حارساً كذّابا
مزقيه وبعد ذلك أيضاً مزقيه حتى يكون هبابا
وانزعيه بقوة وطئيه واجعلي في فم الحنيق ترابا

ومن قصيدة له أخرى:

قال: هل بالسفور نفع يرجّى قلتُ: خير من الحجاب السفورُ
إنما في الحجاب شلٌ لشعبٍ وخفاءٌ وفي السفور ظهورُ
كيف يسمو إلى الحضارة شعبٌ منه نصفٌ عن نصفه مستورُ

وقد تحوّل سفور الزهاوي إلى معركة شعرية ساجله فيها أكثر من شاعر من أشهرهم وأكثرهم نظماً في الموضوع الحاج عبد الحسين الأُزْري، فقد نظم أكثر من قصيدة في الدعوة إلى الحجاب والتعريض بالزهاوي في دعوته للسفور، منها همزيته التي يقول فيها:

أمنازل الخفرات بالزوراءِ لا زعزعتك عواصف الأهواءِ
لا تأبهي لغواية من ماكرٍ جعل الحجال معاقل الأُسراءِ
قرّي فإنك للفتاة أريكة ضربت سرادقها على النجباءِ
أين الأُسارة من حجاب خريدةٍ أين المعاقل من كناس ظباء
أكريمة الزوراء لا يذهب بك النهج المخالف بيئةَ الزوراءِ
أو يخدعنّك شاعر بخياله إنَّ الخيال مطية الشعراءِ
حصروا علاجك بالسفور وما دروا أن الذي حصروه أصلُ الداءِ

وكان لشاعرنا الكوفي بروز ومبارزة في هذه المعركة، وذلك في قصيدته التي اسماها (الحجاب)، وبدأها بقوله:

لازمي يا ابنة القطيف الحجابا واستري الوجه واسدلي الجلبابا
واخفضي الصوت إن رأيت رجالًا واستري الجسم واستطيبي النقابا

إنما الستر في الشريعة فرضٌ ... فاسمعي يا فتاة مني الجوابا

ومن ألوان الصراع الحضاري بين حضارتنا الإسلامية والحضارة الغربية الغازية ما كان يدور في عصر هذا الجيل من دعوة إلى الجديد الغربي في الفكر والعقيدة، ودعوة إلى مناهضته ورده.

وفي تلك الحقبة كانت بداية دعوات إلى مبادىء الحادية، وكانت مادةً من مواد الشعر لشعراء هذا الجيل.

وترسّم نهجهم الشاعر الكوفي ولكن ببسالة المجاهد المسلم المُعْلِم، قال:

نعوذ بالله من إغراء ناشئة ... فقد ترضّت وأَرضت من يؤاتيها
سمّامة بمساويها أعيذكُم ... بالله منها ومن عدوى مساويها
نعوذ بالله من تضليل ناشئة ... هدّامة لبنا الهادي مباديها
قد أنكرت كل ما جاء الرسول به ... حتى تعدّت إلى إنكار باريها

٥ - مصادر ثقافته الشعرية:

أَمَّا مصادر ثقافته الشعرية فلا تختلف عن مصادر ثقافة لداته من رواد جيله حيث تمثلت في القرآن الكريم والحديث الشريف والمعارف المشهورة بين الناس، وما تنشره المجلات الأدبية التي كانت تصدر آنذاك، وما حفلت به دواوين الشعراء العرب.

يضاف إلى هذا بالنسبة إليه ما كان يسمعه مما يلقى من على المنابر الحسينية، وبخاصة أنه كان من ملازمي مرافقة الخطيب الشيخ ميرزا حسين البريكي الذي كان موسوعة ثقافية ومدرسة سيارة، فمن غير شك أنه استفاد منه الوفير من فيوضاته الثقافية.

وإلى جانب هذا لم يكن المقلّد في شعره، أو العروضي في نظمه، وإنما كان الشاعر الذي يعتمد على ذوقه وعلى خلفياته الثقافية التي هي حصيلته مما أشرت إليه من مصادره.

ويعرّف الكوفي نفسه وشعره في المجال الموحى إليه في قصيدته التي عنونها بـ(شعري) فيقول:

سبحت بحار الشعر من غير موقف ... بساحل شطآن العروض على بحرِ
ولم ارتشف من ماء مزنة شاعر ... ولم أستفد نظم القصائد من شعرِ
فلا المتنبي ذقت عذب معينه ... ولا بأبي تمام والبحتري أَدري
ولا للمعري سرت في سقط زنده ... ولم أَدرِ ما شوقي ولم أدرِ ما صبري
أُسيّر في بحر القريضى سفينتي ... وسكانها ذوقي وربّانها فكري

أعوم بها في لجة بعد لجة لعلّي أحظى بالثمين من الدرّ

وإلى القارىء الكريم شواهد من شعره تحمل بين طياتها ما يعرب عن مدى استفادته في ثقافته الشعرية من المصادر المشار إليها:

- فمن القرآن الكريم:

قال في قصيدته (عهاد المزن):

وانهزم الرعد وولّى الدبر وراح جند السحب نهب الصبا

أليس هذا صدى لقوله تعالى في الآية ٤٥ من سورة القمر ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.

وقال في القصيدة المذكورة:

فاهتزت الأرض ربت أزهرت بجنة قطوفها دانيه

إنها من قوله تعالى في الآية ٥ من سورة الحج والآية ٣٩ من سورة فصلت: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

واقرأ الآيتين ٢٢ و٢٣ من سورة الحاقة: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ وقال في القصيدة نفسها:

والنخل من اكمامها قد بدا بقدرة الصانع طلع نضيد

اقرأ الآية العاشرة من سورة ق: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾.

وقال في القصيدة نفسها أيضاً:

ومنتهاه فاقع لونه يَسرُّ في رؤيته الناظرين

اقرأ الآية ٦٩ من سورة البقرة: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾.

وقال في قصيدته (صدح البلبل):

صاح كنْ ممن تحروا رشدا لأرى لي بك وصلًا ووئام

فإنه يشير إلى الآية ١٤ من سورة الجن: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾.

وقال في قصيدته (مطية الجهل):

ولا تمدّن في ما متعوا بصراً يديك زهرة دهر كان منصرما

اقرأ الآية ١٣١ من سورة طه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

وأخيراً: قال في قصيدة (الأضداد):

أنا لست أدري ما سأكسب في غد كـلا ولا فـي أي أرض مـصـرعـي

وهو انعكاس لما في الآية الأخيرة من سورة لقمان: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

وقال:

وهـمـيـة مـثـل الـسـراب يـخـالـه الـظـمـآ رقـراق الـنـمـيـر الـمـتـرع

إنه صدى لقوله تعالى في الآية ٣٩ من سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾.

- **في الحديث الشريف:**

قال في قصيدة (مطية الجهل):

وإن تـرد هـيـبـة مـن دون سـلـطـنـة خفِ الإله وكـن بـالـصـمـت ملتثما

وهنا لنا أن نتذكر الحديث المشهور: (**من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته**).

- **من الشعر العربي:**

اقرأ مطلع قصيدته (عهاد المزن):

حـيّـا عـهـاد الـمـزن ذا الـمـعـهـدا واخـضـرَّ مـن بـعـد الـهـمـود الـصـعـيـد

واقرأ مطلع قصيدة الشيخ جعفر الخطي في رثاء الحسين عليه السلام:

مـعـاهـدهـم بـالابـرقـيـن هـوامـد سقـيـن عـهـاد الـمـزن تلك الـمـعـاهـد

واقرأ قوله من قصيدته (ذكراك في الطف):

يـا بـاذلًا فـي سـبـيـل الـحـق مـهـجـتـه ومـرخـصـاً دونـهـا مـا هـان أو عـظـمـا

واقرأ قول السيد عباس شبر من قصيدة له في رثاء الحسين عليه السلام نشرت في العدد الخاص بوقعة الطف من مجلة (البيان) النجفية:

يـا بـاذلًا فـي سـبـيـل الـحـق مـهـجـتـه ومـاحـقـاً كـل تـمـويـه وتـلـبـيـس
ومـنـقـذاً شـرف الإسـلام مـن فـئـة يـزيـدهـا الـبـغـي تـدنـيـسـاً لـتـدنـيـس

وربما كان هذا من توارد الخواطر.

واقرأ قوله من قصيدته (في مدح سبط المصطفى يزدهي الشعر):

ومهما تكن عند امرىء من فضيلة ومكرمة إلّا إليهم بها الصدر

ثم اقرأ من معلقة زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ

وفي قصيدته (أنت الإمام الذي تم النظام به) يضمن قول أبي نؤاس في مدح أهل البيت عليهم السلام:

مطهرون نقيات ثيابهمُ تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا

فيقول:

تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا حتى الفرائض فرضٌ ذكرهم فيها

ويقول في قصيدة (الأضداد):

مالي سوى الوقت الذي أنا كائنٌ فيه مع الحال التي كانت معي

ألا تراه صدى للبيت المشهور:

ما مضى فات والمؤمّل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

ومن القصَيدة نفسها اقرأ المقطع التالي:

صبراً ولا تكُ واجماً متحيراً في صرفها المتباين المتنوعِ
واقرا الطبيعة تلقَ في صفحاتها غِيَراً تدل على الحكيم المبدع
ولو استوت في حسنها أو قبحها ما للمذمة والثنا من موضع
الحسن لولا القبح لم تر عاشقاً فيها يهيم على الجمال الابدع
والطيب لولا النتن لم تك قيمة مبذولة لأريجه المتضوع
لو لم تكن نِعَمٌ وبؤسٌ في الورى ضاقت بهم سبل الفضاء الأوسع
لولا الغباوة والبلاهة لم يكن متجلياً فيها ذكاء الألمعي
والعلم لولا الجهل لم يسطعْ سناً كالبدر لولا الليل لم يتشعشعِ
لو لم يكن فيها لسانٌ أَلْكَنٌ ما نوّهت باسم الخطيب المصقع
لو لم يكن في الناس جنيٌ واهنٌ ما كان يعبأ بالشجاع الأروع
ما خلّد الطائي لولا ما درُ الممقوتُ مَعْ أمثاله في المجمع

ألا تراه يردد مقولة صاحب دعد في دعديته:

ضدّانِ إِذ مَا استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضدُّ

ويقول في رثاء العلامة الشيخ فرج العمران:

لم يكن في الجموع إذ ذاك إلّا (ناظر دامع وقلب مروع)

وهو تضمين من قول السيد حيدر الحلي في رثاء الحسين عليه السلام:

فترفق بها فما هي إلّا ناظر دامع وقلب مروع

ويقول في بيت آخر منها:

ألها بعده يكون عماد بعد ما قوّض العماد الرفيع

وهو من قول الحلي في القصيدة المشار إليها:

قوضي يا خيام عليا نزار فلقد قوّض العماد الرفيع

وفي شعره الحسيني ظلال من أحاديث المنبر الحسيني يلتقطها القارىء من هنا وهناك ولا أراني بحاجة إلى ذكر شيء منها لأنها من الوضوح بمكان.

٦ - معجمه اللغوي:

وفي معجمه اللغوي لم يتعد لغة جيله من شعراء النُقلة الأدبية، يتميز باختيار المألوف الواضح.

غير ألفاظ قليلة هي من غير المألوف أمثال:

- مجارح:

جاء هذا في البيت التالي:

وفي كل هذا وهو يحتمل الضنى بداءٍ به حار الطبيب المجارحُ

من قصيدة (محياه للناس صالح).

ويعني به الجرّاح، ولم يؤلف هذا الاستعمال، ولعل للقافية ضغطاً في استعماله.

- شراين:

قال في البيت التالي في قصيدة (لا يرتقي المجد إلّا ماجد):

ماء الشبيبة يجري في شراينه وفي محياه ماء الحسن سلسالُ

ويريد به جمع شريان، والمألوف هو شرايين بياءين، ولعل للوزن ضغطاً في استعماله.

- الخال بمعنى القبر:

ففي القصيدة نفسها:

صافي السريرة محمود بسيرته خالٍ من النقد حتى ضمه الخالُ

الخال من الكلم المشتركة، وله عشرات المعاني، منها ما عناه الشاعر في هذا البيت وهو القبر، إلّا أنّ المألوف والمأنوس من معانيها هو: شامة أو نكتة سوداء في البدن.

وقد ندخل في قوائم معجمه الشعري تسمية القطيف ب(عاصمة القرى) يقول في رده على شاعر قطيفي:

فاياك نظم الشعر في كل محفل فتسقط عند الناس يا ابن الطواهر
ولا سيما في أهل عاصمة القرى فلست جديراً أنت أصغر صاغر

وهناك لقطات أخرى في ديوان الشاعر الكوفي ترتبط بشخصيته، أبرزها:

- ولاؤه لأهل البيت عليهم السلام:

بدا هذا واضحاً في كل شعره الولائي، ولنكن معه في الدور الرابع من (قلعة القطيف).

-وفاؤه لوطنه:

ويبدو هذا بيّناً في (قلعة القطيف)، وفي قصيدته الأخرى التي هي بعنوان:

(يا شيخنا)، ومطلعها:

شعري ينوّه باسم خير ديار هذي القطيف مُبوّأُ الأخيار

- وفاؤه لاستاذه:

وذلك في مرثيته لشيخه خطيب القطيف الأكبر الشيخ ميرزا حسين البريكي، ومن ذلك أبياته الآتية:

لم ألفني بمكافىء عما به طوقت جيدي
أخلصت لي في الود حتى كنت لي كأخ عضيد
لا تشمئز من الجلوس معي على حطب الوقود
وشربتُ من سلسالكم ما ليس بالنزر الزهيد

- حملُهُ هموم أبناء مجتمعه:

ويَبين هذا بوضوح في قصيدتيه (ماضي الزمان وحاضره) و(الاسعار) التي يقول في مستهلها:

إلى مَ نحن رخا الأسعار ننتظر رحماك يا ربنا قد مسنا الضرر
ما لي وما لجميع الناس من وَزَرِ إلّا إليك فأنت الكهفُ والوَزَرُ

وأخيراً:

هذا هو الشاعر أحمد بن سلمان الكوفي من خلال شعره نموذجاً حياً وصورة واعية ومعبرة عن المستوى الذي وصل إليه الشعر العربي في بدايات النهضة الأدبية الحديثة، فهو رائد من رواد النهضة الأدبية في القطيف، وفي أرض الجزيرة العربية، يتعاضد في حركة التطوير الأدبية مع لداته في البلدان العربية الأخرى.

مد الله في عمره، وعمّره في شعره، ووفقه لجميل الذكرى ووفيّ العقبى(١)، إنه ولي التوفيق وهو الغاية.

١٢ - الشيخ محمد مهدي شمس الدين (ت١٤٢١هـ)

من روّاد حوزة النجف الأشرف في تطوير المنهج والاسلوب

١ - النجف مركز فكري إسلامي عالمي:

تعد مدينة النجف الأشرف في العراق من أهم المراكز العلمية الإسلامية في العالم، فمنذ أن أرسى قواعد الدرس الديني فيها شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، لا تزال - حتى الآن - مركزاً مهماً من مراكز الاشعاع الفكري الديني في العالم.

وقد تخصصت الدراسة العلمية في هذا المركز الديني بفكر أهل البيت عليهم السلام في العقيدة والفقه وسائر العلوم الإسلامية الأخرى كالتفسير والحديث وعلم الكلام، والمعارف التي تلتقي معها كالفلسفة وعلم المنطق.

وساهمت متعاضدة مع لداتها الأخرى من المراكز الإسلامية المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي في الاضافات الفكرية الجيدة، والتطوير لما هو أفضل وأنفع.

وفي أحضان هذه الأم العلمية ولد الأدب النجفي العربي وترعرع ونما شعراً ونثراً.

(١) كتبت في حياة الشاعر الذي توفي عام ١٤٢٠هـ.

٢ - اسلوب الكتابة ومنهج البحث:

وإذا عدنا نلتمس الاسلوب لهذا الأدب، والمنهج لذلك العلم، فلا نعدو أن نرى - وبوضوح - الاسلوب والمنهج التاليين:

١ - الأسلوب:

وأريد به أسلوب التعبير في الكتابات الأدبية والأخرى العلمية.

أ - ففي الكتابات العلمية: لأنها لم تخرج كثيراً عن الدوران حول المقررات الدراسية موادَ وكتباً: تعريفاً وتعليقاً وتحشية وشرحاً، جاء أسلوبها في التعبير متأثراً بمنهجها في الفكر حيث ضغطُ العبارة بما قد يؤدي - في أكثر الأحيان - إلى الغموض في أداء المعنى المقصود منها، وربما إلى التعقيد الذي يحتاج إلى تفكيك العبارة وتحليل معانيها.

ويعود هذا - كما سنتبينه - إلى اعتماد المناهج العقلية في التعليم والكتابة (المنهج الفلسفي والمنهج الكلامي والمنهج المنطقي).

ب - أما النتاج الأدبي فقد كان الأدباء النجفيون يعنون كثيراً بتقديس اللفظة تقديساً يدعو كثيراً إلى الاهتمام الكبير بالمحسنات البديعية التي تدعو هي الأخرى بدورها إلى توليد العبارة من العبارة لا للتأكيد وإنما للتحسين والتجميل.

وفي هذه الأجواء وبين موسيقى الألفاظ المتأتية من السجع والتوليد تضيع الفكرة، وقد تستعصي عن أن يصطادها القارىء.

ولا أراني بحاجة إلى سوق الأمثلة لذلك، لأن هذا النمط من الأسلوب ظاهرة أدبية بيّنة.

٢ - المنهج:

وأعني به الطريقة في البحث العلمي التي كانت تنتهج في التدريس والتأليف.

ولأن الإمامية من فرق المسلمين العقائدية التي عرفت باتباع العقل في مجال العقيدة في مقابلة الفرق الإسلامية السلفية التي عرفت باتباع النقل.

ولأن علم الكلام أقدم العلوم الإسلامية وجوداً في عالم الفكر الإسلامي فلم يسبقه إلا الفقه والرواية والتفسير في بداياتها.

ومن المعلوم المفروغ منه أن علم الكلام عقلاني المنهج، أي أنه يعتمد المبادىء العقلية، أو قل: الكليّات العقلية في مجال البحث، ومن أقدم من بحث في الفكر الكلامي هم الإمامية والمعتزلة، إن هذا العلم كان قد أثّر على الجو العلمي آنذاك، وأثرى بمعطياته

الساحة الفكرية، وتمثل هذا وبوضوح في علم أصول الفقه الذي اعتمد المنطلقات العقلية في طرح أفكاره وتأسيس قواعده.

لهذا وأمثاله كان المنهج المتبع في الدراسات الدينية في النجف الأشرف هو المنهج الكلامي.

ومن المعلوم أيضاً أن المنهج الكلامي بعد شيوع الفلسفة، وانتشار علم المنطق في الأوساط العلمية الإسلامية في العصر العباسي تأثر بهما، وبعلم المنطق بشكل خاص، حيث اتخذ العلماء المسلمون من علم المنطق المنهج العام في البحوث العلمية الدينية.

وللتفاعل بين علم الكلام وعلم المنطق والفلسفة الإلهية في الفكر الإسلامي في مراكز الدراسات الدينية كان المنهج الذي استقر واعتمد في الدرس الديني هو المنهج العقلي، والذي يطلق عليه عنوان المنهج الفلسفي أحياناً، وأحياناً المنهج المنطقي، وثالثة المنهج الكلامي، وهو في واقعه منهج تكاملي تولد من هذه المعارف الثلاث.

٣ - التحوّل النهضوي:

وقد بقي الحال على هذا حتى منتصف القرن الهجري الماضي حيث انتشرت الجامعات في البلدان العربية والإسلامية وكانت تتبع في البحث المناهج العلمية الحديثة وفي التعبير الأسلوب العلمي، وحيث انبثقت النهضة الأدبية العربية الحديثة التي تختلف عن الالتزام باستعمال المحسنات البديعية في الأسلوب الأدبي.

٣ - دعاة التجديد في حوزة النجف الأشرف:

ولعوامل أخرى رأى غير واحد من أبناء الحوزة العلمية في النجف الأشرف أن يكون للحوزة العلمية نصيب من هذا الجديد في الأسلوب أدبياً وعلمياً، وفي المنهج علمياً، فكان لشعراء جمعية الرابطة الأدبية في النجف دور رائد في تجديد أسلوب الشعر النجفي وكذلك كان لعلماء وشعراء جمعية منتدى النشر في النجف دور رائد آخر في إدخال الاسلوب العلمي في الكتابات العلمية، والاسلوب الأدبي الحديث في الكتابات النثرية والأخرى الشعرية.

٥ - اسهامات الشيخ شمس الدين في الدعوة للتجديد وتمثّلها:

وكان المغفور له الشيخ شمس الدين واحداً من أولئكم الرواد من دعاة التجديد، فقد كانت له اسهامات فاعلة في الدعوة لتجديد الأسلوب الأدبي، منها مشاركته في الموسم الأدبي الذي أقامته جمعية منتدى النشر حول الأدب النجفي المعاصر آنذاك، وكان باشراف

ورعاية الأستاذ السيد محمد تقي الحكيم السكرتير العام للمنتدى في حينه، فقد نعى الشيخ شمس الدين على أدباء النجف تقديسهم اللفظة إلى الحدود التي تصل - غالباً - إلى مستوى الافراط المؤثر تأثيراً سلبياً، ودعا إلى إدخال الأسلوب الأدبي الحديث في الكتابات النجفية في الشعر والنثر.

وقد نُشرت المواد التي ألقيت في هذا الموسم على صفحات مجلة (النجف) لصاحبها السيد هادي فياض مدير إدارة المنتدى.

وقد لاقت كلمة الشيخ شمس الدين - المشار إليها - صدى استحسان وتقدير أكثر من سواها، لأنها كانت تنطلق من نظرة نقدية لواقع الأدب النجفي.

وسار الشيخ - رحمه الله - في مجال التطبيق يلتزم الأسلوب الأدبي الحديث.

٦ - عوامل رؤيته التجديدية:

وقد أستفاد كذلك بتأثير العوامل التالية:

١ - قراءاته المكثفة للنتاج الأدبي الحديث لأدباء مصر ولبنان وسورية والعراق، مبدعين وناقدين.

٢ - توجيهات الأستاذ السيد محمد تقي الحكيم، فقد كانت علاقته به وثيقة، وملازمته له مستمرة إلى ما قبيل مغادرته النجف عائداً إلى لبنان.

والسيد الحكيم من أبرز رواد التجديد في الوسط الثقافي في النجف في المنهج والأسلوب.

٣ - الجو الأدبي الحديث الذي كونته مساهمات أدباء الرابطة الأدبية ومشاركات أدباء منتدى النشر.

٧ - عطاؤه العلمي كتابة وتدريساً:

وكما كان للشيخ شمس الدين مساهمة فاعلة في تجديد الأسلوب الأدبي النجفي كانت له أيضاً مساهمة فاعلة في تجديد الأسلوب والمنهج في الكتابات العلمية الحديثة، وتمثل هذا بوضوح في مؤلفاته أمثال: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ودراسات في نهج البلاغة، وثورة الحسين، وأخيراً في عطائه الفقهي من خلال تدريسه على مستوى (البحث الخارج) وتأليفاته في هذا المجال.

وقد كان للجو الثقافي الذي أحدثته كلية منتدى النشر ثم كلية الفقه، والجو الفكري الإسلامي الذي أوجده استاذنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر أثر بيّن في الرواد الأوائل

الذين عملوا على التحول من المنهج الكلامي في البحث الحوزوي إلى المنهج العلمي الحديث، ومن الأسلوب القديم في التعبير إلى الأسلوب الحديث.

وكما أشرت كان لتوجيهات السيد التقي الحكيم أثر في منهج وأسلوب الشيخ شمس الدين.

وأخيراً: إن هذه الريادة من المغفور له الشيخ شمس الدين معلم تاريخي مهم في سيرته الثقافية المعطاء، وانطلاقة حية تشكل حلقة يعتز بها في تاريخ تطوير الدراسة الدينية في النجف الأشرف.

- الباب الثاني

- الدراسات

- القسم الأول

«السابقون»:

- شخصيات ما قبل القرن الخامس عشر الهجري

- القسم الثاني

«المعاصرون»:

- شخصيات القرن الخامس عشر الهجري

الباب الثاني - الدراسات
القسم الأول «السابقون»:
شخصيات ما قبل القرن الخامس عشر الهجري

١٣ - أعلام الأحساء عبر العصور

علماء، أدباء، خطباء

الأحساء

استعملت كلمة (الأحساء) علماً - فيما وقفت عليه - على أربع وحدات جغرافية، اختلفت مساحةً وإدارةً وتاريخاً... وهي حسب مراحلها التاريخية:

١ - كانت تطلق على ما يعرف بـ (هجر) عاصمة (البحرين) التي كانت (أعني البحرين) اسماً للمنطقة الممتدة من البصرة إلى عُمان.

٢ - أطلقت على المنطقة الممتدة من البصرة إلى عُمان، وهي التي كانت تسمى قديماً (البحرين) ثم سميت (أعني منطقة البحرين) بـ(هجر) و(الأحساء) و(الخط).

٣ - صارت تطلق على المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من الخليج: من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قطر وعُمان وصحراء الجافورة حيث يحدها من الغرب الصمان... وهي المنطقة التي تعرف اليوم بـ(المنطقة الشرقية).

عادت تطلق على ما كانت عليه أولاً، وهو ما يعرف إدارياً الآن بـ(الهفوف) وما يتبعها من قضاء (المبرز وقراهما).

ويبدو أن اسم (هجر) كان أسبق من اسم (الأحساء) في الإطلاق على ما عرف بعاصمة البحرين وتسميتها لها كما ألمحت.

وذكروا أنها سميت بذلك باسم (هجر بنت المكفف) من الجرامقة، وقيل هو مأخوذ من (هجرت البعير) إذا ربطته وذلك لارتباط أهلها بها غالباً، وعدم ضربهم في الأرض.

وعن الهمداني: «الهجر: القرية بلغة حمير والعرب العاربة، فمنها هجر البحرين وهجر جازان».

أما تسميتها بـ(الأحساء) فقد ذكروا فيه تعليلًا لغوياً وهو: أنه مأخوذ من (الأحساء) جمع (حسى) وهو الماء الذي تنشفه، الأرض فإذا صار إلى صلابة أمسكته، فإذا حفرت عنه يخرج، وكل ما نزحت منه دلواً جمت بآخر.

ويقال (الحساء) أيضاً.

تأسيسها

وأول من أنشأ الأحساء وحصنها هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، وذلك في سنة ٣١٧هـ، على أنقاض مدينة (هجر) التي دمرها القرامطة بعد حصار دام ثلاث سنين.

والمدينة التي بناها القرامطة هي التي تعرف الآن بـ(البطالية)؛ نسبة للبطال بن مالك أخي عبد الله بن علي العيوني؛ لأنها كانت إقطاعاً له، وليست الهفوف كما توهم (شاويش) في مقدمة ديوان ابن مقرب، و(زبال) مستطلع مجلة (العربي) الكويتية.

طبيعتها ومناخها

تقع الأحساء قريبة من حافة البحر، ومرتفعة عن سطحه، وأرضها سهلية صحراوية، وجوها صحراوي أيضاً يبرد ليلًا وترتفع حرارته نهاراً.

وتكثر فيها مياه الآبار والعيون والأنهار الصغيرة، التي حولت بوفرتها المنطقة إلى واحة جميلة في قلب تلكم الصحراء القاحلة. وتبلغ الآبار الجوفية فيها حوالي (١٢٥) بئراً أو عيناً، ويضخ بعضها (٣٠,٠٠٠) غالون في الدقيقة، وفيها المعدنية، والحارة صيفاً وشتاءً، والباردة صيفاً الحارة شتاءً، مضافاً إليها الآبار الارتوازية التي انتشرت مؤخراً.

ومن أشهر العيون في الأحساء هي: الحقل والتعاضيد وفريحة وبرابر وغصيبة والحارة وأم سبعة والحويرات ونجم والجوهرية وصويدرة ومرجان والزواوي والخدود ومنصور.

اقتصادها

يعتمد الأحسائيون في اقتصادياتهم على الزراعة، والعمل في شركة الزيت في المنطقة الشرقية، مضافاً إلى قليل من الصناعات المحلية يدوية وغيرها، وإلى التجارة للاستهلاك المحلي:

١ - الزراعة:

يقول الأستاذ الجاسر: «وإقليم الأحساء هو أخصب إقليم في (جزيرة العرب) من حيث غزارة مياهه، وكثرة حاصلاته الزراعية، منذ عهد قديم إلى منتصف هذا القرن حينما عثر على الزيت فيه، فانصرف أهله عن الاشتغال بالزراعة والحرث إلى أعمال الزيت»[١].

وربما عادت إلى خصوبتها في الإنتاج الزراعي عند اكتمال مشروع الري والصرف الحديث، الذي يحتل رقعة تمتد حوالي ٢٥ كيلو متراً من الشمال إلى الجنوب و١٥ كيلو متراً من الشرق إلى الغرب، ويهدف هذا المشروع إلى استصلاح حوالي ٥٠,٠٠٠ فدان من الأراضي الزراعية، وتطبيق وسائل الري والصرف الحديثة فيها، وتأمين الماء عن طريق الضخ للمناطق ذات المناسيب المرتفعة، والتي تقدر مساحتها بـ(١٠,٠٠٠) فدان.

أما المساحة الصالحة للزراعة في منطقة الأحساء فتقدر بـ(٣٠٠,٠٠٠) دونم.

وتعد التمور المحصول الرئيسي، ويقدر عدد النخيل في الأحساء بأكثر من مليوني نخلة، كما يقدر محصول النخيل بـ(٤٥٠,٠٠٠) طن سنوياً.

وفي الأحساء حوالي ثمانين نوعاً من التمر. وقد أسس فيها مؤخراً مكبس لتعليب وحفظ التمور، يستطيع تعليب ألف طن سنوياً.

ومن حاصلات الأحساء الزراعية في الفاكهة أيضاً: العنب والتين والبرتقال والتفاح والمشمش والتوت والنبق.

وفي الحبوب: الأرز والحنطة.

وفيها حقول لتدجين وتربية الحيوانات.

٢ - الصناعة:

في الأحساء الآن - مضافاً إلى الصناعات اليدوية القديمة - صناعة حديثة ناشئة لاستهلاكها المحلي غالباً، من أهمها:

١ - مصنع العبي، ويستطيع أن ينتج مائة عباءة يومياً مصنوعة من الصوف والوبر، ويعد الوحيد من نوعه في المملكة العربية السعودية.

٢ - مصنع الإسمنت.

٣ - مصانع البلاط والطابوق.

---

(١) مقدمة تحفة المستفيد (ي).

٤ - مصانع الجص.

٥ - مصنع كبس التمور، وتقدمت الإشارة إليه.

٣ - التجارة

أما التجارة في الأحساء فمحلية، تستورد من خارج الأحساء أو خارج البلاد السعودية للاستهلاك المحلي.

وأهم صادرات الأحساء التجارية هي التمور ولا تتجاوز أسواقها خارج البلاد إلا إلى إمارات الخليج.

إدارتها

١ - حدودها: يحد الأحساء من الغرب (الفروق) ومن الشمال (الجوف) ومن الشرق (العقير).

٢ - مدنها: في الأحساء مدينتان هما: الهفوف والمبرز.

الهفوف: وهي مركز الحكم، أنشأها فاتح باشا في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني، في آخر النصف الأول من القرن العاشر الهجري واتخذها مركز حكمه.

وذهب شاويش إلى أنها نفس مدينة (هجر) اتخذها القرامطة عاصمة حكمهم وأسموها المؤمنية، ثم سميت بالهفوف كما أشرت.

وذهب بعضهم إلى أنها أنشئت من قبل القرامطة عام ٣١٧هـ على أنقاض مدينة هجر كما ألمحت إليه أيضاً.

وسكانها خليط من العرب والفرس والترك والكرد، ومن السنة والشيعة.

وتنقسم الهفوف إلى عدة محلات هي: الكوت (وهي مقر الإمارة) والنعاثل والرفعة والصالحية والرقيقة.

المبرز: وتقع على بعد ميلين شمال الهفوف، وتضم ست محلات هي: السياسب والعتبان والعيون والقديمات والمجابل والشعبة.

٣ - قراها: في الأحساء حوالي (٤٠) قرية، وتنقسم إدارياً إلى مجموعتين تتبع إحداهما مدينة الهفوف، وتتبع ثانيتهما مدينة المبرز.

والتابعة للهفوف هي: بني معن والشهارين والجبيل والطريبيل والدالوة والتيمية والقارة والتوثير، وقرى العمران (الحوطة والعمران الشمالية والعمران الجنوبية وغمسي)

والرميلة والسيايرة والمزاوي والعقار والمركز والمنيزلة والفضول والجفر والطرف والجشة والمنصورة.

والتابعة للمبرز هي: المطيرفي والشقيق وجليجلة والقرن والشعبة والمقدام والكلابية والجليلة والبطالية والقرين والعيون الشمالية والحصيمة والمراح والعوضية والوزية.

سكانها وعقيدتهم

في الأحساء حوالي (٣٣٥٠٠٠) نسمة[١]، منهم حوالي (٨٥٠٠٠) يقطنون الهفوف والمبرز وحوالي (٢٥٠,٠٠٠) يسكنون القرى. وكلهم مسلمون ينتمون إلى طائفتي السنة والشيعة.

والسنة يرجعون إلى المذاهب الأربعة.

والشيعة يرجعون إلى فرقتي الأصولية والشيخية.

الصحة

في الأحساء الآن عدة مستوصفات منتشرة في المدن والقرى، ومستشفيات حكومية وأخرى أهلية، وأطباء حكوميون وآخرون أهليون، وعدة صيدليات حكومية وأخرى أهلية. وكان دخول الطب الحديث إلى الأحساء في عام ١٩١٤م، وأول طبيب فيها هو عبد الله الدملوجي.

التعليم

وفي الأحساء الآن عدة مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية ومعاهد علمية ودينية.

وكان فتح أول مدرسة فيها للبنين عام ١٩٣٨م.

هذا مضافاً إلى وجود الدراسة الدينية الفردية القديمة.

آثارها

• تركت عوامل التعرية والإبادة بعض الآثار، لتشير إلى تاريخ قديم في المنطقة منها:

١ - مسجد عبد القيس: وهو أول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد رسول الله ﷺ. أنشىء من قبل قبيلة عبد القيس التي كانت تقطن هذه المنطقة في قرية من قرى هجر كانت تدعى (جواثى) و(جواثاء).

(١) قافلة الزيت: ٤٦.

٢ - مسجد أم مازن: في قرية كانت تدعى (أم مازن) ثم اندثرت، ولم يبق إلا مسجدها.

٣ - نخل الأراكة: في قرية كانت تدعى بـ(الأراكة) ثم عفيت، ولم يبق إلا نخلها.

٤ - قلعة صاهود: في المبرز.

معالمها

وأهم المعالم القائمة الآن في الأحساء هي:

١ - مسجد القبة في قصر إبراهيم بالهفوف، شيد عام ٩٧٤هـ.

٢ - مسجد المقصب في القارة، بني في عام ٨٦٨هـ.

٣ - مسجد ابن أبي جمهور في التيمية، يعود تاريخ تأسيسه إلى القرن التاسع الهجري.

٤ - جبل القارة (وكان يعرف بجبل الشبعان)، وهو كثير الكهوف وبارد صيفاً دافىء شتاءً.

٥ - بحيرة الأصفر: وتقع شرقي قرية العمران الشمالية، على مسافة عشرة كيلو مترات تقريباً.

٦ - متنزه العمران (مشروع مكافحة الرمال).

٧ - سوق الخميس في الهفوف.

٨ - سوق الأحد في القارة.

٩ - سوق الاثنين في الجفر.

١٠ - عيون المياه: أم سبعة. والحارة. وعين نجم. والخدود.

تاريخها

لعل من الأجدى منهجياً أن نقسم التاريخ العام لهذه المنطقة إلى فترتين: فترة ما قبل حكم القرامطة وفترة حكم القرامطة وما بعده، وأن نطلق على الفترة الأولى (تاريخ هجر)، وعلى الفترة الثانية (تاريخ الأحساء)، وذلك لأن الأحساء القائمة الآن بدأ تاريخها - فيما أرى - بحكم القرامطة الذين أسسوها على أنقاض (هجر)، وأطلقوا عليها اسم (الأحساء).

ومن هنا لا أراني بحاجة - من ناحية منهجية - لأن أستعرض تاريخ المنطقة فيما قبل هذا، لأنه تاريخ هجر في واقعه، لا تاريخ الأحساء.

وقد يلاحظ على التاريخ الأول ما فيه من الغموض والارتباك والمفارقات المنهجية.

١ - ويبدأ حكم القرامطة للأحساء حوالي ٢٨٧هـ وينتهي حوالي عام ٤٦٦هـ، وكان حاكمها القرمطي الأول أبا سعيد الحسن بن بهران الجنابي المتوفى ٣٠١هـ.

وبعد القرامطة تعاقبت على حكم هذه البلاد عدة دول وإمارات، هي:

١ - الدول العيونية ٤٧٠ - ٦٣٠هـ.

٢ - إمارة بني عامر بن عوف ٦٣٠ - ٧٠٠هـ.

٣ - إمارة آل مغامس ٧٠٠ - ٧٠٥هـ.

٤ - إمارة بني مالك بن عامر.

٥ - إمارة آل زامل (وكان أول حكامهم أجود العقيلي المتولد (٨٢١هـ).

٦ - إمارة آل مغامس ثانية ٩٣١هـ.

٧ - الدولة العثمانية ٩٦٣هـ.

٨ - إمارة آل حميد ١٠٧٧هـ.

٩ - إمارة آل براك ١٠٨١هـ.

١٠ - إمارة آل السعود[١].

١١ - إمارة آل عرعر ١١٨٨هـ.

١٢ - إمارة آل السعود ثانية ١٢٠٧هـ.

١٣ - إمارة زيد بن عريعر.

١٤ - إمارة آل السعود ثالثة ١٢٠٨هـ.

١٥ - إمارة بني خالد.

١٦ - الدولة المصرية ١٢٥٣هـ.

١٧ - الدولة العثمانية ثانية ١٢٨٨هـ.

١٨ - الدولة السعودية ١٣٣١هـ.

---

(١) لدى قيام الحركة الوهابية في أواخر القرن الثامن عشر استولوا فيما استولوا عليه من بلاد على الأحساء. وعندما زحفت جيوش محمد علي باشا على الوهابيين استعادتها منهم ثم اضطربت فيها الأمور فقاد مدحت باشا والي بغداد العثماني حملة إلى الأحساء سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) وجعل منها متصرفية تابعة للبصرة. وبقيت بأيدي العثمانيين إلى نشوب حرب البلقان عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) حيث اغتنم عبد العزيز السعود فرصة انشغال الدولة بقتال البلقانيين وهاجم الأحساء واحتلها (ح. أ).

الشيعة في الأحساء

تاريخهم: إن الغموض والارتباك الذي أصاب تاريخ هجر في فترة ما قبل القرامطة، أصاب كذلك تاريخ الشيعة فيها في تلك الفترة، فلا يعرف عنه شيء واضح أو وافٍ.

ويرجع - فيما أخال - بدء تاريخ الشيعة في الأحساء إلى عهد الفتوحات الإسلامية، وذلك لأن التشيع في الجزيرة العربية بدأ والتسنن معاً، لأنهما المنهجان الفكريان الإسلاميان الرئيسيان.

وبرز وجودهم في الأحساء - فيما أعتقد - من القرن الثامن، كما سنتبينه من التعريف بالبيوتات والرجالات الشيعية في الأحساء.

مواطن سكناهم: يؤلف الشيعة في الأحساء نصف السكان تقريباً، ويؤلف إخوانهم السنة النصف الآخر.

وينتشرون في مدينة الهفوف التي يقدرون فيها بربع سكانها، ويكثرون في محلة النعاثل، وفيها مسجدهم الكبير، كما يوجد لهم في محلات الهفوف الأخرى عدد من المساجد والحسينيات ومقبرة خاصة بهم.

وفي مدينة المبرز، يكثرون في محلة الشعبة، ولهم في المبرز عدد من المساجد والحسينيات أيضاً.

وفي القرى التالية: (وهي شيعية خالصة): بني معن والشهارين والجبيل والدالوة والتيمية والقارة والتوثير وقرى العمران والرميلة والسيايرة والمزاوي والعقار والمركز والمطيرفي والقرن والحليلة والبطالية والقرين والمنصورة.

ويشاركون إخوانهم السنة في القرى التالية: المنيزلة والفضول والجفر والطرف والجشة والشقيق والشعبة.

ولهم في جميع هذه القرى مساجد وحسينيات يمارسون فيها مراسيمهم من إقامة المآتم والمواكب الحسينية.

والشيعة في الأحساء كلهم عرب من قبائل معروفة وعريقة في عروبتها كآل علي في العمران الذين يرجع نسبهم إلى قبيلة فضل بن ربيعة من طيىء، وكآل السلمان في المبرز الذي يرجع نسبهم إلى السادة المشعشعيين من ذرية الإمام موسى الكاظم عليه السلام وغيرهم.

فرقهم المذهبية: أما فرقهم المذهبية فأكثرهم أصوليون يقلدون في شؤونهم الدينية مراجع التقليد في النجف الأشرف، والقسم الثاني شيخية، وهم قليلون يسكن جلهم مدينة الهفوف ويسكن بعضهم قرية الحليلة، ويرجعون في أمور دينهم إلى آل الأسكوئي في كربلاء.

أعمالهم: ويشتغل الكثير من سكان المدينتين من الشيعة بالتجارة، ويشغل بعضهم بعض الوظائف الحكومية، والبعض الآخر يقوم بالأعمال اليدوية.

وكذلك سكان القرى، إلا أن انتشار الملاكين والمزارعين فيهم أكثر من سكان المدن.

وفيهم أيضاً العلماء الدينيون والخطباء الحسينيون والأدباء والشعراء.

القضاء: وللشيعة في الأحساء قاض جعفري رسمي يعين من قبل الحكومة يرجعون إليه في شؤون القضاء والمرافعات. ومقره مدينة الهفوف.

علاقاتهم الاجتماعية: وللشيعة الأحسائيين علاقات اجتماعية من مصاهرة وقرابة وأمثالهما من الشيعة في العراق وإيران والقطيف والمدينة المنورة والبحرين والكويت وسورية ولبنان والباكستان والهند وإمارات الخليج.

التعليم: ويواصل قسم من أبناء الشيعة الأحسائيين الدراسة الدينية في الأحساء والنجف وكربلاء.

ويناهز عددهم في النجف - الآن - الأربعين.

والقسم الآخر يواصل دراسته في الجامعات والمعاهد العالية.

أقدم البيوتات الشيعية في الأحساء

يقول الشيخ أبو خمسين في رسالته إليّ:

(أقدم من عرفناه السادة آل حاجي) ويسكنون قرية التوثير، وأول ما نزحوا إلى البلاد في القرن الثامن وسكنوا قرية العيون، ثم نزحوا منها وسكنوا قرية التوثير، وهم الآن فيها، وتخرج فيهم رجال لهم الذكرى الطيبة.

و(البوخميس) وينتسبون إلى الوداعية في نجد، نزحوا إلى البلاد في إمارة الأجود العقيلي (القرن التاسع)، وكانوا يسكنون قرية أبو شافع يوم كانت آهلة بالسكان، وعند خرابها انتقلوا إلى الهفوف، وكانت منازلهم فيها بالجهة الغربية منها، ثم انتقلوا إلى الجهة الشرقية منها، وتخرج منهم علماء وزعماء لهم مكانتهم المرموقة. و(المطاوعة) و(آل غنام) الذين سكنوا قرية القرين في القرن التاسع، أما المطاوعة فانتقل أكثرهم إلى العراق ولهم ذرية في سوق الشيوخ وأما آل غنام فقد ضعفوا ودخلوا في غيرهم حيث صار أكثر العقب نساء.

و(آل علي) ويسكنون قرية العمران، وجدهم علي بن عبد العزيز بن عمران، الذي سميت القرية باسمه هو أول من نزح إليها من ملهم في نجد، وكان ذلك سنة ١٠٥٠هـ، وينتسبون إلى فضل بن ربيعة الطائي، وقد تخرج منهم علماء وزعماء لهم الصيت الممتاز.

و(آل علي) ويسكنون قرية المركز، وأول من نزح إلى البلاد جدهم محمد العلي، جاءها قاصداً إلى الحج وأعجبه مناخها فسكنها، وأصلهم من الحجاز من قبيلة حرب المشهورة.

و(آل ابن محسن) ويسكنون قرية القارة، نزح جدهم الأول السيد عبد المحسن الذي سموا باسمه من المدينة المنورة عام ١٠٥٠هـ واستوطن التوثير أولّا، ثم انتقل إلى قرية القارة، وقد تخرج فيهم زعماء لهم الصيت الجميل.

و(آل السيد سلمان)، أول من نزح إلى البلاد جدهم السيد سلمان وأبوه السيد محمد، وذلك في أواسط القرن الثاني عشر تقريباً، وسكن المبرز في محلة السياسب ثم انتقل إلى المطيرفي، ولما كثرت الذرية تفرقوا في البلاد فسكن بعضهم المبرز وبعضهم الرميلة وبعضهم سوق الشيوخ في العراق، ويرجعون إلى السادة المشعشعيين حكام الحويزة المعروفين بالموالي.

و(آل خضر)، ويسكنون قرية المطيرفي وهم فخذ من المهاشير، انتقلوا إليها من قرية الشقيق، ومنهم العالم الشهير الشيخ أحمد بن زين الدين. وغيرهم.

رجال العلم والأدب والخطابة

نبغ في الأحساء الكثير من رجالات الشيعة في العلم والأدب والخطابة وفي مختلف القرون والفترات التاريخية.

ويغلب على علمائهم التخصُّص في الفقه الشيعي، وعلى شعرائهم قول الشعر الولائي في ذكر أهل البيت ﷺ، وعلى خطبائهم الالتزام بخطابة المنبر الحسيني.

وقد رأيت أن أقتصر في تعريفي لهم - هنا - على المشهورين ممن وقفت على تعريفٍ لهم. آملًا أن ينبري من يلم تلكم الأشتات والمبعثرات في زوايا التاريخ وبطون المدونات الرجالية والتاريخية. . . وهم:

١ - ابن مقرب ٥٧٢ - ٦٣٠هـ:

علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن الحسن بن غرير بن ضبار بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد الربعي العيوني، الشاعر الأحسائي الشهير.

ولد في العيون من قرى الأحساء سنة ٥٧٢هـ، وتوفي سنة ٦٣٠هـ، على إحدى الروايات.

له ديوان شعر طبع عدة مرات.

ترجم له في أمل الآمل ورياض العلماء والأنوار الساطعة والطليعة وأعيان الشيعة وسعارف الرجال وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان وغيرها. وترجم له ترجمة خاصة عمران محمد عمران بعنوان (ابن مقرب: حياته وشعره).

٢ - أحمد بن فهد:

أوائل القرن التاسع.

شهاب الدين أحمد بن فهد بن حسن بن محمد بن إدريس بن فهد، كان من العلماء الأجلّاء، والفقهاء الأتقياء، تلمذ على فخر الدين أحمد بن المتوج البحراني، من مؤلفاته:

١ - عدة الداعي.

٢ - خلاصة التنقيح في مذهب الحق الصحيح في شرح الإرشاد، فرغ منه سنة ٨٠٦هـ.

توفي في أوائل المائة التاسعة في الحلة ودفن فيها، ومرقده فيها إلى الآن معروف مشهور.

ترجم له في أعيان الشيعة والكنى والألقاب وطبقات أعلام الشيعة ومراقد المعارف وأنوار البدرين.

٣ - إبراهيم بن نزار:

القرن التاسع.

كان من مشايخ إبراهيم بن أبي جمهور، ذكره حفيده محمد بن أبي جمهور في كتابه (غوالي اللآلي) وفي إجازته للرضوي، وعبَّر عنه بقاضي قضاة الإسلام ناصر الدين الشهير بابن نزار الأحسائي.

ترجم له في أعيان الشيعة، وأنوار البدرين.

٤ - إبراهيم بن أبي جمهور:

القرن التاسع.

حسام الدين إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور، كان من العلماء الفضلاء، وصفه حفيده محمد بن أبي جمهور بالولي الفاضل التقي.

ترجم له في أعيان الشيعة.

٥ - ناصر البويهي - ٨٥٣هـ:

ناصر بن إبراهيم بن صباغ البويهي الأحسائي العاملي، كان فقيهاً أديباً وشاعراً، نشأ في بلده الأحساء وهاجر إلى جبل عامل لطلب العلم وتلمذ فيها على الشيخ ظهير الدين العاملي، قال في أمل الآمل: «وقد وجدت بخط بعض علمائنا نقلًا من خط الشهيد الثاني:

إنَّ ناصر البويهي الأصل الأحسائي المنشأ العاملي الخاتمة كان من أجلاء العلماء والمحققين الفضلاء، خرج من بلاده إلى بلاد الشام المذكورة فطلب بها العلوم ثم أدركه الأجل المحتوم في سنة الطاعون سنة ٨٥٣هـ، وهو من أعقاب ملوك بني بويه».

وله الإجازة من الشيخ علي البياضي النباطي بتاريخ ٨٥٢هـ.

من مؤلفاته:

١ - حاشية على قواعد الأحكام للعلامة الحلي.

٢ - حاشية على الذكرى للشهيد الأول.

٣ - رسالة في الحساب.

٤ - شرح الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة للعلامة الحلي.

٥ - ديوان شعر.

وله عدة حواشي على بعض كتب الفقه والأصول.

ترجم له في أمل الآمل ورياض العلماء وروضات الجنات، وأعيان الشيعة.

٦ - حسن المطوع:

القرن التاسع.

جمال الدين حسن المطوع الجرواني، ذكره ابن أبي جمهور في غوالي اللآلي وفي إجازته للرضوي وعبر عنه بالتقي الزاهد كما عن أنوار البدرين.

٧ - علي بن أبي جمهور:

القرن التاسع.

علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور، كان فقيهاً راوية، نعته ابنه محمد بن أبي جمهور بالزاهد العابد العامل الكامل، وكان من مشايخه في الرواية وأساتذته كما في كتابه غوالي اللآلي.

٨ - محمد بن أبي جمهور:

بعد سنة ٩٠١م.

محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور، من قرية التيمية، ومسجده لا يزال قائماً فيها.

كان فقيهاً مجتهداً ومتكلماً وراوية. يروي إجازة عن أبيه وعلي بن هلال الجزائري وحسن بن عبد الكريم الفتال الغروي وحرز الدين الأوابلي ومحمد بن أحمد الموسوي الحسيني وعبد الله بن فتح الله القمي.

ويروي عنه إجازة محسن بن محمد الرضوي القمي وربيعة بن جمعة وشرف الدين محمود الطالقاني ومحمد بن صالح الغروي الحلي.

من مؤلفاته:

١ - غوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية.

٢ - زاد المسافرين في أصول الدين.

٣ - كشف البراهين لشرح زاد المسافرين ألفه سنة ٨٧٨هـ.

٤ - المجلي في الحكمة، فرغ من تأليفه سنة ٨٩٥هـ.

٥ - معين الفكر في شرح الباب الحادي عشر.

٦ - رسالة في لزوم العمل بأخبار الأصحاب.

٧ - رسالة في مناظرة الهروي.

٨ - درر اللآلي العمادية في الأحاديث الفقهية، فرغ من تبييضه سنة ٩٠١هـ.

٩ - ١٠ - التحفة الحسينية (شرح ألفية الشهيد الأول) وله شرح آخر عليها أسماه (المسالك الجامعية) لأنه ألفه أوان اعتكافه بجامع الكوفة.

١١ - الأقطاب الفقهية والوظائف الدينية على مذهب الإمامية.

١٢ - معين المعين (شرح معين الفكر).

١٣ - الرسالة البرمكية في فقه الصلاة اليوميَّة.

١٤ - الأنوار المشهدية في شرح الرسالة البرمكية.

١٥ - أسرار الحج، فرغ من تبييضه سنة ٩٠١هـ.

١٦ - بداية النهاية في الحكمة الإشراقية.

١٧ - تحفة القاصدين في معرفة اصطلاح المحدثين.

١٨ - حاشية على تهذيب الأصول للعلامة الحلي.

١٩ - المنجي من الظلام في توضيح مسالك الافهام (الأصل والحاشية كلاهما له).

٢٠ - الدرة المستخرجة من اللمعة في الحكمة.

٢١ - الرسالة الإبراهيمية في المعارف الإلهية.

٢٢ - الرسالة الجمهورية.

٢٣ - الطوالع المحسنية في شرح الرسالة الجمهورية.

٢٤ - إجازته للسيد محسن الرضوي.

٢٥ - إجازته للشيخ ربيعة بن جمعة.

٢٦ - إجازته للسيد شرف الدين محمود الطالقاني.

٢٧ - إجازته للشيخ محمد بن صالح الغروي الحلي حرَّرها في سنة ٨٩٦هـ وضمنها ذكر مؤلفاته.

توفي بعد سنة ٩٠١هـ.

ترجم له أعيان الشيعة وطبقات أعلام الشيعة ومستدرك الوسائل والكنى والألقاب وروضات الجنات وأمل الآمل ومجالس المؤمنين ومناقب الفضلاء وبحار الأنوار والمقابيس ورياض العلماء وغيرها.

٩ - أحمد السبعي - ٩٦٠هـ ونيف:

فخر الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن حسن بن علي بن محمد بن سبع (أو سبيع) بن سالم بن رفاعة، يعرف بالسبعي والرفاعي أيضاً. كان فقيهاً جليلًا وشاعراً مجيداً، ومن أجل تلامذة ابن المتوج البحراني، وتتلمذ أيضاً على أحمد بن فهد الحلي. ومن مؤلفاته:

١ - سديد الأفهام في شرح قواعد الأحكام للعلامة الحلي، فرغ منه سنة ٨٣٦هـ.

٢ - شرف ألفية الشهيد الأول في فقه الصلاة.

ومن شعره تخميسه لقصيدة رجب البرسي في مدح أمير المؤمنين عليه السلام.

توفي في الهند سنة ٩٦٠هـ ونيف.

وترجم له: في عيان الشيعة وأنوار البدرين والكنى والألقاب ولؤلؤة البحرين ورياض العلماء وروضات الجنات ضمن ترجمة أستاذه ابن المتوج وغيرها.

١٠ - إبراهيم بن يحيى:

القرن الحادي عشر.

كان من علماء دولة الشاه عباس الصفوي وكان والده أيضا من العلماء، وقال بعض العلماء في وصفه: «كان عالماً زاهداً فاضلًا بارعاً» كما في أعيان الشيعة، وترجم له في رياض العلماء أيضاً.

١١ - عبد العلي الجزائري:

القرن الحادي عشر.

الشيخ عبد العلي بن الحسين بن علي بن يحيى الجزائري. من آثاره:

١ - حاشية على أربعين منتخب الدين القمي.

٢ - المقلة العبراء في تظلُّم الزهراء.

٣ - طلب الشفا من أخي المصطفى، أرجوزة نظمها في سنة ١٠٥٤هـ.

١٢ - محمد الحسيني:

القرن الحادي عشر.

شمس الدين محمد الحسيني، كان معاصراً للحر العاملي. المتوفى ١١٠٤هـ.

قال عنه في أمل الآمل: «شمس الدين ابن (كذا) محمد الأحسائي ساكن شيراز فاضل عالم فقيه محدث صالح جليل».

من آثاره: كشف الأخطار في طب الأئمة الأطهار، فرغ منه في سنة ١٠٨٩هـ.

١٣ - محمد السبعي:

القرن الحادي عشر.

السيد محمد بن عبد الله السبعي كان معاصراً للحر العاملي المتوفى ١١٠٤هـ الذي وصفه بقوله: «فاضل عالم جليل زاهد فقيه» كما في أمل الآمل.

١٤ - هاشم الحسيني:

القرن الحادي عشر.

السيد هاشم بن الحسين بن عبد الرؤوف الحسيني، يروي عن السيد نور الدين العاملي المتوفى ١٠٦٨هـ والشيخ جواد الكاظمي ١٠٥٩هـ.

ويروي عنه السيد نعمة الله الجزائري المتوفي ١١١٢هـ، وله منه الإجازة بتاريخ ١٠٧٣هـ.

ترجم له في أنوار البدرين.

١٥ - صالح المطيرفي:

حدود سنة ١٢٢٦هـ.

الشيخ صالح بن زين الدين بن إبراهيم المطيرفي شقيق الشيخ أحمد بن زين الدين العالم المعروف.

عالم فاضل، توفي حدود سنة ١٢٢٦هـ.

ترجم له: في طبقات أعلام الشيعة.

١٦ - مبارك آل حميدان - ١٢٢٦:

الشيخ مبارك بن علي آل حميدان الأحسائي القطيفي، فقيه مجتهد، له رسالة عمليَّة

مختصرة في الصلاة، توفي سنة ١٢٢٦هـ في القطيف، وأعقب ثلاثة أولاد كلهم علماء فضلاء وهم: عبد الله ومحمد وعلي.

١٧ - أحمد آل سيف - بعد ١٢٣٣هـ:

الشيخ أحمد بن عبد الإمام بن صالح آل سيف، عالم فاضل، كما ترجم له في طبقات أعلام الشيعة.

١٨ - علي العطية:

القرن الثالث عشر:

علي بن صالح العطية القرين، له بحث في الرضاع مخطوط في سنة ١٢٣٧هـ.

١٩ - حسين آل عيثان - قبل ١٢٤٠هـ:

الشيخ حسين بن محمد بن علي بن إبراهيم آل عيثان، كان عالماً جليلًا، تلمذ عليه المولى فتح علي الشيرازي.

من مؤلفاته: النجوم الزاهرة في أحكام العترة الطاهرة، ومنظومة في الاجتهاد والأخبار على طريقة الأخبارية، قال فيها: وبعد فالجاني حسين القاري نجل ابن عيثان الفتى الأخباريّ، أوردها بتمامها معاصره الميرزا محمد النيسابوري في مصادر الأنوار، توفي قبل عام ١٢٤٠هـ.

ترجم له في الفوائد الشيرازية وطبقات أعلام الشيعة.

٢٠ - أحمد بن زين الدين ١١٦٦ - ١٢٤١هـ:

أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن راشد بن وهيم بن شمروخ آل خضر المطيرفي.

ولد في قرية المطيرفي من قرى الأحساء عام١١٦٦هـ وإليها نسبته، وتوفي في منزل قرب المدينة المنورة يقال له هدية سنة ١٢٤١هـ، وهو في طريقه إلى الحج ودفن في البقيع بالمدينة المنورة.

كان فقيهاً مجتهداً ومتكلماً عارفاً وشاعراً علوياً. وله الإجازة من السيد محمد مهدي بحر العلوم والسيد مير علي الطباطبائي والشيخ جعفر كاشف الغطاء وابنه الشيخ موسى والشيخ حسين آل عصفور والشيخ أحمد آل عصفور والسيد محمد الشهرستاني والشيخ أحمد الدمستاني، ويروي أيضاً عن السيد محسن الأعرجي.

ويروي عنه: الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والسيد كاظم الرشتي والحاج إبراهيم الكلباسي والشيخ أسد الله التستري وولداه محمد تقي وعلي تقي.

خلف مائة وواحداً من المؤلفات كما في ترجمته الخاصة التي هي من تأليف ابنه عبد الله، من أشهرها:

١ - جوامع الكلم في مجلدين، ضمنه اثنتين وتسعين رسالة.

٢ - شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، فرغ من تأليفه سنة ١٢٣٠هـ.

٣ - شرح الفوائد الحكمية فرغ منه ١٢٣٣هـ.

٤ - شرح العرشية لصدر الدين الشيرازي، فرغ منه في سنة ١٢٣٤هـ.

وإليه تنسب الفرقة الإمامية الاثني عشرية المعروفة بـ(الشيخية)، وينقسمون إلى قسمين: أتباع الآغا كريم خان الكرماني ويعرفون بالركنية أيضاً، وهم منتشرون في إيران والعراق والكويت. وأتباع الميرزا موسى الأسكوئي الحائري وهم قليلون جداً ويقطنون في مدينة الهفوف وقرية الحليلة من الأحساء وفي الكويت وفي قرية الجماعة الأحسائية في سوق الشيوخ في العراق وفي أسكوء من أذربيجان.

ترجم له: في أعيان الشيعة وطبقات أعلام الشيعة وروضات الجنات والأعلام والروضة البهية وشذور العقيان ونجوم السماء وقصص العلماء ومستدرك الوسائل والتكملة وأنوار البدرين ودليل المتحيرين وله ترجمة خاصة بقلم ابنه عبد الله.

أبناء أحمد بن زين الدين.

القرن الثالث عشر.

أعقب الشيخ أحمد بن زين الدين أربعة أولادهم:

٢١ - **علي تقي**، وكان عالماً مجتهداً وأديباً مجتهداً وأديباً شاعراً، وله الإجازة من والده بتاريخ ١٢٣٦هـ، من مؤلفاته:

١ - شرح رسالة الإمام الهادي.

٢ - نهج المحجة في الإمامة، فرغ منه سنة ١٢٣٨هـ.

٣ - رسالة في الرد على بعض العرفاء في التوحيد.

٤ - الرسائل المتفرّقة.

٥ - حاشية على حجية الإجماع لوالده.

٦ - منهج السالكين.

٧ - رسالة في قصة موسى والخضر.

٨ - رسالة في علم الباري.

٩ - رسالة في الأمر بين الأمرين.

١٠ - ديوان شعر.

ترجم له في الروضة البهية وأنوار البدرين والذريعة.

٢٢ - محمد تقي، وكان عالماً مجتهداً، ومن آثاره: رسالة في الاجتهاد والأخبار.

ترجم له في روضات الجنات.

٢٣ - عبد الله، ترجم لوالده ترجمة مفصلة ذكر فيها مؤلفاته وإجازاته.

٢٤ - حسن، من آثاره: كتاب حديقة الأخبار في تراجم الأخيار والأشرار، عبَّر عنه الشيخ آغا بزرك في الذريعة بـ(رجال الشيخ حسن ابن الشيخ أحمد الأحسائي).

٢٥ - حسين بن خميس - ١٢٤١هـ.

الشيخ حسن بن إبراهيم بن خميس من علماء عصره، كما ترجم له في طبقات أعلام الشيعة.

٢٦ - أحمد المحسني - ١٢٤٧هـ:

الشيخ أحمد بن محمد بن محسن بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن خميس بن سيف المحسني الربعي المدني الأحسائي الفلاحي. فقيه مجتهد وأديب شاعر، من مؤلفاته:

١ - رسالة في الجهر والإخفات بالبسملة والتسبيح في الأخيرتين وثالثة المغرب.

٢ - رسالة في حجية ظواهر الكتاب الكريم.

٣ - حواشي على تهذيب الأحكام.

٤ - فائدة في النسبة بين الكفر والشرك.

ترجم له في أعيان الشيعة وطبقات أعلام الشيعة وأنوار البدرين.

٢٧ - علي بن فارس - حدود ١٢٥٠هـ:

له رسالة في الكيمياء كما في الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

٢٨ - عبد المحسن اللويمي - حدود ١٢٥٠هـ:

عبد المحسن بن محمد بن مبارك اللويمي البلادي نسبة إلى قرية البلاد المعروفة الآن بـ(البطالية)، ومسجده فيها لا يزال قائماً إلى الآن.

كان فقيهاً مجتهداً، وله الرواية إجازة عن الشيخ حسين آل عصفور البحراني والشيخ أحمد الدمستاني البحراني والسيد مهدي بحر العلوم والسيد مهدي الشهرستاني الحائري. وغيرهم ممَّن ذكرهم في إجازته لولده.

ويروي عنه إجازة ولده والشيخ سليمان آل عبد الجبار القطيفي والشيخ علي ابن الشيخ مبارك آل حميدان القطيفي، وقد تضمنت إجازته هذه ذكر مشايخه في الرواية ومؤلفاته، ومنها:

١ - شرح العوامل الجرجانية في النحو.

٢ - شرح الأجرومية في النحو.

٣ - بداية الهداية في علم التجويد.

٤ - مشكاة الأنوار في فقه الصلاة عن الأئمة الأطهار.

٥ - التحفة الفاخرة.

٦ - كفاية الطالب.

٧ - جامع الوصول عن أصل الوصول.

٨ - النهج القويم والصراط المستقيم.

٩ - ١٠ - ١١ - الرسائل الثلاث في الصلاة (صغرى ووسطى وكبرى).

١٢ - وفاة النبي يحيى.

١٣ - وفاة الكاظم.

١٤ - وفاة الحسن.

١٥ - إجازته لابنه والشيخ آل عبد الجبار والشيخ آل حميدان.

هاجر إلى إيران وقطن (سرجون) يقيم الوظائف الشرعية فيها إلى أن توفي في حدود سنة ١٢٥٠هـ، وله هناك ذرية باقية إلى اليوم ولديها أكثر مؤلفاته.

ترجم له في أنوار البدرين وطبقات أعلام الشيعة.

٢٩ - خليفة الأحسائي - حدود ١١٩٥ - بعد ١٢٥٦هـ:

السيد خليفة بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن حاجي بن محمد بن أحمد بن محمد بن موسى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن موسى بن حسين بن إبراهيم بن حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

كان عالماً جليلًا من مشاهير عصره، ولد في القارة من قرى الأحساء وانتقل إلى العراق ودرس على السيد علي الطباطبائي، صاحب الرياض، واختصر شرح أستاذه الصغير وفرغ منه سنة ١٢٢٨هـ، وله أيضاً رسائل في أصول الدين والتجويد.

توفي بعد عام ١٢٥٦هـ. وترجم له في طبقات أعلام الشيعة.

٣٠ - حسن المحسني: ١٢١٣ - ١٢٧٢هـ:

الشيخ حسن بن أحمد المحسني الفلاحي، فقيه مجتهد، وأديب شاعر درس على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ خضر شلال والشيخ محسن الأعسم.

من مؤلفاته:

١ - رسالة في الخمس.

٢ - رسالة في المسائل الجبارية في فنون شتى.

٣ - رسالة في أجوبة الشيخ محمد الصحاف.

٤ - منظومة في الأصول.

٥ - كتاب الدرر في الحكمة.

٦ - رسالة في حل أخبار الطينة.

٧ - حواشي على المدارك للعاملي.

٨ - حواشي على المسالك للشهيد الثاني.

٩ - تعليقة على الجواهر للشيخ محمد حسن النجفي.

١٠ - تعليقة على الكفاية للسبزواري.

١١ - تعليقة على المفاتيح للكاشاني.

١٢ - تعليقة على الهداية.

١٣ - تعليقة على الحدائق للبحراني.

١٤ - منسك حج.

١٥ - ديوان شعر.

ترجم له في طبقات أعلام الشيعة ومعارف الرجال.

٣١ - محمد الخليفة - ١٢٨١هـ:

السيد محمد ابن السيد خليفة الموسوي الأحسائي القاري، عالم جليل، شغل منصب الوكيل الديني في مدينة البصرة. من مؤلفاته: شرح بحث الاستثناء من شرح بدر الدين بن مالك على ألفية أبيه، توفي في الكاظمية سنة ١٢٨١هـ. ترجم له في طبقات أعلام الشيعة.

٣٢ - موسى المحسني - ١٢٣٩ - ١٢٨٩هـ:

الشيخ موسى بن حسن بن أحمد المحسني الفلاحي، ولد في الفلاحية (الدورق) سنة ١٢٣٩هـ وتوفي في كربلاء سنة ١٢٨٩هـ.

كان فقيهاً مجتهداً وأديباً شاعراً ومرجع تقليد.

تلمذ على والده والشيخ مرتضى الأنصاري والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

من مؤلفاته:

١ - الباكورة (منظومة في علم المنطق).

٢ - رسالة في وجوب الاخفات في الركعتين الأخيرتين من الرباعية.

٣ - رسالة في الفقه جواباً لمسائل الشيخ صالح الدلفي.

٤ - رسالة في البراءة الأصلية.

٥ - الندبة المهذبة (بنود على بحر الرمل).

٦ - بحث في الأمانة.

٧ - رسالة لعمل مقلديه.

٨ - تعليق على الجواهر والمفاتيح والمسالك والمدارك.

٩ - ديوان شعر.

ترجم له في أعيان الشيعة وطبقات أعلام الشيعة والذريعة ومعارف الرجال.

٣٣ - باقر الخليفة - بعد ١٢٩٤هـ:

السيد باقر ابن السيد خليفة الموسوي الأحسائي، عالم فاضل شغل منصب الوكيل الديني في البصرة، وتوفي بعد سنة ١٢٩٤هـ.

ترجم له في طبقات أعلام الشيعة.

٣٤ - محمد علي الخليفة - ١٣٠٥هـ:

السيد محمد علي بن محمد بن خليفة الأحسائي، كان عالماً فاضلًا ووكيلًا دينياً في مدينة البصرة، وفيها توفي سنة ١٣٠٥هـ ودفن في النجف، من مؤلفاته: حاشية تهذيب المنطق، وتقريرات لدروس بعض أساتذته.

ترجم له في طبقات أعلام الشيعة.

٣٥ - هاشم آل السيد سليمان الموسوي حدود ١٢٤٠ - ١٣٠٩هـ:

السيد هاشم بن أحمد بن حسين بن سلمان المشعشعي الموسوي، ولد في مدينة المبرز حدود سنة ١٢٤٠هـ، وتوفي فيها عام ١٣٠٩هـ، كان فقيهاً مجتهداً وخطيباً بارعاً ومرجع تقليد.

تلمذ في الأحساء على الشيخ أحمد الصفار، ثم في العراق وإيران على أعلامها آنذاك.

ويروي إجازة عن الشيخ عبد علي آل عصفور البوشهري والشيخ طاهر البحراني الشيرازي.

تلمذ عليه جمع من الأحسائيين منهم ابنه السيد ناصر وابن أخته السيد حسين العلي وابن عمه السيد محمد ابن السيد ناصر والشيخ حسين الخليفة والشيخ محمد الخليفة والشيخ علي وأخوه الشيخ أحمد ابنا علي الحسين والشيخ أحمد والشيخ حسين ابنا حبيب بن خميس والشيخ علي بن حمد الناصر والشيخ أحمد العيد وأخوه الشيخ حسين العيد والشيخ حسن المؤمن والشيخ علي آل ابن سعد والشيخ محمد بن جبران وابنه الشيخ صالح والشيخ عبد الله الدويل والشيخ عبد الحميد أبو خمسين والشيخ ناصر آل علي بن علي.

ومن مؤلفاته:

١ - منظومة في أصول الدين.

٢ - منظومة في فقه الطهارة.

٣ - منظومة في أحكام المواريث.

٤ - أنموذج الحق المبين في أصول الفقه.

٥ - إيضاح السبيل في الفقه.

٦ - الرسالة العمليّة الكبرى.

٧ - الرسالة العمليّة الصغرى.

٨ - شرح التبصرة للعلامة الحلي.

٩ - شرح دعاء رجب.

١٠ - كشف الحق في التوحيد.

١١ - رسالة في العقائد.

١٢ - رسالة غب تفسير بعض الأحاديث.

١٣ - كشف الغطاء في الحكمة.

ترجم له في أعيان الشيعة والذريعة والأعلام ومعارف الرجال وأنوار البدرين.

٣٦ - محمد حسين أبو خمسين ١٢١١ - ١٣١٦هـ:

الشيخ محمد حسين بن حسين بن علي بن محمد بن أحمد آل أبي خمسين، ولد في الأحساء سنة ١٢١١هـ، وتوفي فيها عام ١٣١٦هـ.

كان فقيهاً مجتهداً ومرجع تقليد.

درس في النجف الأشرف، ومن أشهر أساتذته الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وله الإجازة منه.

من مؤلفاته:

١ - شرح الإرشاد للعلامة الحلي.

٢ - شرح التبصرة للعلامة الحلي.

٣ - مفاتيح الأسرار في الحكمة الإلهية.

٤ - منار العارفين (رسالة عمليّة كبيرة).

٥ - مصباح العابدين (رسالة عملية صغيرة).

٦ - الفخري (مقتل الحسين عليه السلام).

ترجم له في معارف الرجال وأنوار البدرين.

٣٧ - سلطان العباد - حدود ١٢٦٢ - ١٣٢٠هـ:

الشيخ سلطان بن محمد بن عبد الله بن عباد آل علي الفضلي، ولد في الحوطة من قرى الأحساء حدود سنة ١٢٦٢هـ وتوفي فيها سنة ١٣٢٠هـ. كان من العلماء الأتقياء، تلمذ على السيد هاشم الموسوي والشيخ محمد حسين أبي خمسين.

٣٨ - الملا علي الرمضان - ١٣٢٣هـ:

خطيب حسيني وشاعر مكثر في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام، من مؤلفاته: كشكول في مجلدين، وروضة حسينية، توفي سنة ١٣٢٣هـ. ترجم له في أنوار البدرين.

٣٩ - عبد الله الرمضان:

القرن الرابع عشر.

عالم أديب وشاعر، من آثاره: خير الوصية، وهي قصيدة طويلة نظمها لابنه علي (وهو عالم أديب أيضاً)، وضمنها أكثر الواجبات والمندوبات والمحرَّمات، ومطلعها:

الـدار دار الـعـنـاء والـمـحـن وداد الـفـنـاء ودار الـفـتـن

ترجم له في أنوار البدرين.

٤٠ - عبد الله بن علي:

القرن الرابع عشر.

من خطباء المنبر الحسيني ومن شعراء أهل البيت عليهم السلام، توفي في سيهات من قرى القطيف.

خلف ديوان شعر في مجلدين، وقصيدة تبلغ ثلاثة آلاف بيت أو تزيد، جارى بها ألفية الشيخ كاظم الأزري الشاعر العراقي التي أولها:

لـمـن الـشـمـس فـي قـبـاب قـبـاهـا شـف جـسـم الـدجـى بـروح ضـيـاهـا

ترجم له في أنوار البدرين.

٤١ - محمد آل عيثان - ١٣٣١هـ:

الشيخ محمد بن عبد الله بن علي بن أحمد آل عيثان، كان فقيهاً مجتهداً ومتكلّماً عارفاً.

تلمذ في النجف على أعلامها آنذاك، ورجع إليه في التقليد في بلاده.

خلف من المؤلفات:

١ - رسالة في معاني الحروف.

٢ - شرح الرسالة الرضاعية للسيد مهدي القزويني.

٣ - هداية العباد في أصول الدين.

٤ - رسالة عملية لمقلدية.

ترجم له في أنوار البدرين.

٤٢ - سلمان المحسني - ١٢٨١ - ١٣٤١هـ:

الشيخ سليمان بن محمد بن أحمد المحسني الفلاحي فقيه مجتهد وأديب شاعر، تلمذ على الشيخ محمد طه نجف وأجيز رواية من الشيخ محمد حرز الدين، وتوفي في الفلاحية سنة ١٣٤١هـ، ودفن في النجف الأشرف.

ترجم له في معارف الرجال وطبقات أعلام الشيعة.

٤٣ - طاهر أبو خمسين - ١٣٤٢هـ:

الشيخ طاهر بن محمد حسين بن حسين بن علي بن محمد بن أحمد آل أبي خمسين، ولد في الهفوف ودرس في الأحساء ثم في النجف على أعلامها وأجيز دراية ورواية من السيد

أبي تراب الخوانساري وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد محمد علي الإمامي الخوانساري والميرزا حسين الخليل، ورواية من الشيخ عبد الهادي شليلة، وتوفي في النجف سنة ١٣٤٢هـ.

ترجم له في معارف الرجال وأنوار البدرين.

٤٤ - محمد الخليفة - ١٣٤٨هـ:

الشيخ محمد بن محمد الخليفة فقيه مجتهد تتلمذ في الأحساء على السيد هاشم الموسوي، وفي النجف على شيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ محمد طه نجف والشيخ علي الخاقاني، وله الإجازة منهم دراية ورواية:

من مؤلفاته: رسالة في الرد على الركنية.

توفي في الأحساء عام ١٣٤٨هـ.

وكان والده الشيخ حسين الخليفة المتوفى سنة ١٣٢٢هـ من العلماء الفضلاء. وأخوه الشيخ صالح الخليفة من الشعراء المعروفين.

٤٥ - موسى أبو خمسين - حدود ١٢٩٥ - ١٣٥٣هـ:

الشيخ موسى بن عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد آل أبي خمسين. ولد في الهفوف حدود سنة ١٢٩٥هـ وقرأ فيها ثم هاجر إلى النجف وتتلمذ على السيد أبي تراب الخوانساري وأجازه دراية ورواية والشيخ حسن مطر الخفاجي وأجازه بالاجتهاد وشيخ الشريعة الأصفهاني وأجازه بالاجتهاد والرواية والسيد محمد كاظم اليزدي.

من مؤلفاته:

١ - النص الجلي في إثبات الآيات النازلة في علي عليه السلام.

٢ - تعليقة على رسائل الشيخ الأنصاري.

٣ - أبحاث استدلالية في أبواب فقهية متفرّقة.

٤ - رسالة عملية في العبادات.

توفي في النجف سنة ١٣٥٣هـ.

ترجم له في معارف الرجال وأنوار البدرين.

٤٦ - ناصر الموسوي - ١٢٩١ - ١٣٥٨هـ:

السيد ناصر بن هاشم بن أحمد ابن السيد سلمان المشعشعي الموسوي، ولد في المبرز عام ١٢٩١هـ، وتوفي فيها عام ١٣٥٨هـ.

كان فقيهاً مجتهداً وأديباً شاعراً ومرجع تقليد.

تتلمذ في الأحساء على والده وعلى الشيخ محمد آل عيثان، وفي النجف على السيد عدنان الغريفي والشيخ محمد طه نجف وشيخ الشريعة الأصبهاني والشيخ علي الخاقاني والميرزا حسين الخليل وآغا رضا الهمداني والشيخ ملا هادي الطهراني والشيخ محمود ذهب والسيد محمد كاظم اليزدي.

وأجيز بالاجتهاد والرواية من شيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ مهدي المازندراني والشيخ ضياء العراقي والسيد أبي تراب الخوانساري.

من مؤلفاته:

١ - رسالة في الإمامة.

٢ - الرحلة المكيّة.

٣ - أرجوزة في سفراته ومشاهداته.

٤ - ديوان شعر.

٥ - مجموعة أبحاث استدلالية في أبواب متفرقة من الفقه.

ترجم له في معارف الرجال وشعراء الغري وذكرى العلامة الإمام السيد ناصر الأحسائي.

٤٧ - سلمان آل علي - ١٣٥٩هـ:

الشيخ سلمان بن عبد المحسن آل علي القاري. عالم فاضل وأديب وشاعر، شغل منصب الوكيل الديني في الأحساء والبحرين. توفي سنة ١٣٥٩هـ.

٤٨ - عمران السليم - ١٢٧٠ - ١٣٦٠هـ:

الشيخ عمران بن حسن السليم آل علي الفضلي، ولد في العمران من قرى الأحساء سنة ١٢٧٢هـ، وتوفي فيها سنة ١٣٦٠هـ.

كان من الفقهاء المجتهدين.

درس في الأحساء على الشيخ محمد حسين أبي خمسين، وفي النجف على السيد أبي تراب الخوانساري والسيد محمد كاظم اليزدي.

٤٩ - حبيب بن قرين - ١٣٦٧هـ:

كان فقيهاً مجتهداً ومتكلماً عارفاً ومرجع تقليد.

تتلمذ في النجف على أعلامها أمثال شيخ الشريعة الأصفهاني.

ذكر في إجازته لوالدي الميرزا محسن الفضلي بتاريخ ١٣٤٥هـ. (وهي إجازة اجتهاد ورواية) أن له الإجازة من الأصفهاني المذكور دراية ورواية.

من مؤلفاته: نعم الزاد ليوم المعاد في أصول الدين وفروعه.

توفي في الأحساء سنة ١٣٦٧هـ.

٥٠ - حسين العلي - ١٢٨٠ - ١٣٧٠هـ:

السيد حسين بن محمد بن علي بن حسين ابن السيد سلمان المشعشعي الموسوي. ولد في المبرز سنة ١٢٨٠هـ وتوفي فيها سنة ١٣٧٠هـ.

كان من العلماء الفضلاء، تتلمذ في الأحساء على خاله السيد هاشم الموسوي، ثم هاجر إلى النجف وتتلمذ فيها على أعلامها، ثم عاد إلى الأحساء وشغل فيها منصب القاضي الجعفري حتى وفاته.

ترجم له في طبقات أعلام الشيعة.

٥١ - عبد الله الخليفة ١٣٠٠ - ١٣٧٤هـ:

السيد عبد الله بن محمد علي بن محمد بن خليفة الأحسائي، كان عالماً جليلاً ووكيلاً دينياً في مدينة البصرة، حضر في النجف درس الشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي والشيخ علي الجواهري.

توفي سنة ١٣٧٤هـ، ودفن في النجف. ترجم له في طبقات أعلام الشيعة.

٥٢ - عبد الكريم الممتن ١٣٧٥هـ:

الشيخ عبد الكريم بن حسين بن محمد الممتن الجبيلي نسبة إلى تربة الجبيل من قرى الأحساء، كان وكيلاً دينياً وأديباً شاعراً.

ذكره في الأزهار الأرجية وذكر بعضاً من شعره.

٥٣ - معتوق السليم - ١٣١٣ - ١٣٧٧هـ:

الشيخ معتوق بن عمران بن حسن السليم آل علي الفضلي، ولد في العمران من قرى الأحساء سنة ١٣١٢هـ وتوفي فيها عام ١٣٧٧هـ كان من الفقهاء المجتهدين.

تتلمذ في الأحساء على والده والسيد ناصر الموسوي، وفي النجف على أعلامها، منهم الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء والشيخ محمد رضا آل ياسين وأجيز منهما بالاجتهاد والرواية.

٥٤ - محسن الخليفة - ١٣٧٩هـ:

كان عالماً فاضلًا، تتلمذ في النجف على أعلامها أمثال الميرزا النائيني والشيخ آل ياسين والسيد الأصفهاني. وتوفي في الأحساء سنة ١٣٧٩هـ.

٥٥ - أحمد الرمل:

القرن الرابع عشر.

خطيب حسيني لامع وأَديب شاعر تنقل خطيباً بين الأحساء وإمارات الخليج والكويت والبصرة وخوزستان، إلى أن توفي في مسقط عاصمة عمان، ودفن في النجف الأشرف.

٥٦ - محمد باقر الشخص - ١٣١٦ - ١٣٨٢هـ:

السيد محمد باقر بن علي بن أحمد الشخص، ولد في القارة من قرى الأحساء سنة ١٣١٤ أو ١٣١٦هـ وتوفي في النجف سنة ١٣٨٢هـ.

كان فقيهاً مجتهداً وأديباً شاعراً.

تتلمذ على الميرزا محمد حسين النائيني والشيخ محمد رضا آل ياسين وأجيز بالاجتهاد منهما والشيخ محمد ياسين الأصفهاني والشيخ أَغا ضياء العراقي والسيد عبد الهادي الشيرازي، وأجيز بالرواية من السيد حسن الصدر والسيد عبد الحسين شرف الدين.

خلف من المؤلفات:

١ - تقريرات الميرزا النائيني في الأصول.

٢ - تقريرات الميرزا النائيني في الفقه.

٣ - الأصول العملية.

٤ - الأوامر والنواهي.

٥ - رسالة في اللباس المشكوك.

٦ - شرح لدروس بعض أساتذته الفقهيّة والأصولية - في مجلدين.

٧ - رسالة في قاعدة من ملك شيئاً ملك الإقرار به.

٨ - رسالة في التسامح بأدلة السنن.

٩ - رسالة في قاعدة لا ضرر.

١٠ - رسالة في الاجتهاد والتقليد.

١١ - المكاسب المحرَّمة.

١٢ - رسالة في الدائرة الهندسية ومعرفة القبلة.

ترجم له معارف الرجال وطبقات أعلام الشيعة وشعراء الغري.

٥٧ - محمد العلي - ١٣٨٨هـ:

السيد محمد بن حسين العلي آل السيد سلمان الموسوي. كان فقيهاً مجتهداً ووكيلًا دينياً مطلقاً، شغل منصب القضاء الجعفري بعد أبيه.

تتلمذ في النجف على الميرزا النائيني والسيد أبي الحسن الأصفهاني والشيخ محمد رضا آل ياسين وأجيز منه بالاجتهاد.

المراجع

١ - ابن مقرب - عمران محمد عمران (الرياض: م الرياض ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).

٢ - إجازة الشيخ حبيب بن قرين للميرزا محسن الفضلي (مخطوط).

٣ - الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية - الشيخ فرج العمران القطيفي (النجف م النجف ١٣٨٢هـ).

٤ - الأعلام - خير الدين الزركلي (ط٣).

٥ - أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين (ط٢).

٦ - أنوار البدرين - الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني (النجف: م النعمان ١٣٧٧هـ).

٧ - تعليقة خطية على مقدمة ديوان ابن مقرب للشيخ يوسف بن راشد المبارك الأحسائي.

٨ - تحفة المستفيد - الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي (الرياض: م الرياض ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م).

٩ - جريدة اليوم - (الدمام ١٣٨٧هـ).

١٠ - جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبه (القاهرة: م لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨١هـ - ١٩٦١م).

١٢ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ آقا بزرك الطهراني (النجف وإيران) ط١.

١٣ - رسالة خطية من الشيخ باقر أبي خمسين الأحسائي (الأحساء).

١٤ - رسالة خطية من أخي صادق الفضلي (الأحساء).

١٥ - رسالة خطية من السيد علي ناصر الأحسائي (الأحساء).
١٦ - رسالة خطية من السيد محمد العلي المتوفى ١٣٨٨هـ (الأحساء).
١٧ - طبقات أعلام الشيعة - الشيخ آقا بزرك الطهراني، النجف ثم الآداب ط١.
١٨ - مجلة العربي (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) العدد ٩١.
١٩ - عنوان المجد في تاريخ نجد - الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشير النجدي (بيروت: م صادر).
٢٠ - مجلة قافلة الزيت (الظهران ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) العدد التاسع المجلد السابع عشر.
٢١ - الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي (صيدا: م العرفان).
٢٢ - معارف الرجال - الشيخ محمد حرز الدين (النجف: م الآداب) ط١.
٢٣ - معجزة فوق الرمال - أحمد عسة (بيروت: م الأهلية اللبنانية ١٩٦٥م ط١).
٢٤ - معجم البلدان - ياقوت الحموي (بيروت: م دار صادر).
٢٥ - معجم ما استعجم، البكري الأندلسي ط١.
٢٦ - مقدمة تحفة المستفيد للشيخ حمد الجاسر.
٢٧ - مقدمة ديوان علي بن مقرب العيوني لزهير شاويش.



صورة تذكارية له - قده - وعن يمينه الشيخ منصور البيات من علماء القطيف وتربطه بالفقيد أواصر العمومة وعن يساره الشيخ أحمد آل سيف من علماء تاروت والى جنبه الخطيب الكاظم من خطباء تاروت .

الباب الثاني - الدراسات
القسم الثاني «المعاصرون»:
شخصيات القرن الخامس عشر الهجري

١٤ - الفقيه الشيخ الميرزا محسن الفضلي (ت١٤٠٩هـ)

في ذكرى أبي

وبعد:

فبين يدي القارىء الكريم نبذة موجزة عن سيرة وشخصية والدي سماحة الشيخ ميرزا محسن الفضلي أعددتها بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته، بِراً به، ووفاءً له، وذكرى لنا، وتاريخاً لحياة رجل من رجالات الفقه الإمامي ورجالات الحكمة الإلهيّة الإسلاميّة، أفناها في خدمة الفكر والمبدأ، وبكل ما لديه من طاقة، حتى خرج من هذه الدنيا راضياً مرضياً، لأنه قدّم بين يديه في عالمه الآخر الذي ذهب إليه هذه السيرة العطرة، وخلّف وراءه في عالمنا هذا هذه الذكرى الحسنة.

فسلامٌ عليه في هذه، وفي تلك.

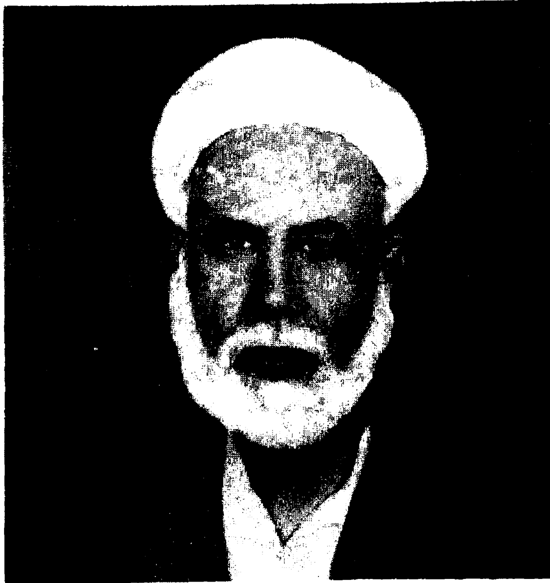
والحمد لله على توفيقه، إنه ولي التوفيق وهو الغاية.

الابن التلميذ

عبد الهادي الفضلي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.



أقدم صورةٍ مشتركة لي معه قدس سره، التقطت في البصرة

إشراقةُ العلمِ والإيمان واضحةٌ على مُحَيَّاكَ من حقٍ ومن نورِ
كوّنتَ مجدَكَ من هذينِ مرتبةً عُليا تحلقُ في قُدْسٍ وتقديرِ
هذا هو الشرفُ العالي تخلدُهُ آياً من الذكرِ في فنٍ وتصويرِ

سيرته، أسرته

نسبه:

ميرزا(١) محسن بن الشيخ سلطان بن محمد بن عبد الله(٢) بن عَبّاد(٣) بن حسين بن حسن بن أحمد بن علي بن أحمد بن حسن بن ريشان بن علي(٤) بن عبد العزيز بن أحمد بن عمران(٥) بن فضل بن علي بن حديثة بن عُقبة بن فضل. وهو فضل بن ربيعة أبو قبيلة الفضول المعروفة التي هي إحدى بطون قبيلة طيء العربية الشهيرة؛ وإليها نسبته.

---

(١) كلمة (ميرزا) من المعرب عن الفارسية، وهي في الأصل مركّبة من كلمتين هما: (أمير زاده)، ومعناها (ابن الأمير) ثم خففت بسبب كثرة الاستعمال إلى (مير زاده) بحذف الهمزة من أولها، ثم خففت أيضاً على طريقة النحت إلى (ميرزا) بحذف الدال والهاء من آخرها، وربما خففت بحذف الدال والهاء فقط فيقال (أميرزا).
- وتستعمل على نحوين:
- إسم علم، ومنه: ميرزا بن حاج تبريزي (ت١١٩٤هـ)، وميرزا الأصفهاني النجفي (ت١٣١١هـ) - انظر: أعيان الشيعة - ١/١٩٨.
- لقب تكريم، لمن كانت أمه علوية، أي من نسل علي وفاطمة عليهما السلام، مثل: الأميرزا عبد الله الأفندي صاحب رياض العلماء، والميرزا محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين في العراق.
واستعمالها هنا من الثاني أي اللقب، لأن اسم الوالد (محسن)، ولُقّب بـ(ميرزا) لأن أمه علوية - كما سيأتي - وغلب استعمال هذا اللقب مع اسمه حتى أصبح كأنه مركب من كلمتين هما: (ميرزا محسن).

(٢) كان رئيس الحمولة في وقته، وهو الذي أنشأ قرية الحوطة الآتي ذكرها.

(٣) وإليه نسبة حمولتنا (آل عَبّاد = العبّاد).

(٤) وإليه نسبة القبيلة (آل علي = العلي).

(٥) كان - في بدء حياته - يسكن قرية (مَلْهَم) إحدى قرى نجد في قلب الجزيرة العربية، حيث كانت موطن أهله وعشيرته، ويعرفها ياقوت الحموي في (معجم البلدان) بقوله: «مَلْهَم - بالفتح ثم السكون وفتح الهاء» -... قال أبو منصور: مَلْهَم وقُرّان: قريتان من قرى اليمامة معروفتان...، وهي موصوفة بكثرة النخل.
ويوم مَلْهَم من أيامهم، قال جرير:
كـأن حـمـول الـحـي زلـنَ بـيـانـعٍ   من الوارد البطحاء من نخ ملهما =

أبوه:

هو الشيخ سلطان العبّاد، ولد في قرية الحوطة من قرى الأحساء حدود سنة ١٢٦٢هـ، وتوفي فيها سنة ١٣٢٠هـ.

نشأ نشأة علمية دينية، فحضر على السيد هاشم آل السيد سلمان الموسوي المتوفّى سنة ١٣٠٩هـ، وكان يسكن مدينة المبرز من الأحساء، وعلى الشيخ محمد حسين أبو خمسين المتوفى سنة ١٣١٦هـ وكان يسكن مدينة الهفوف قاعدة الأحساء.

شغل منصب العالم الديني في القرية المذكورة، وعُرف بالورع والزهد والتقوى، والمهابة عند الناس.

لم يخلّف من الذكور غير الوالد - رحمهما الله تعالى -.

ترجم له الحاج محمد علي بن أحمد التاجر البحراني في كتابه (منتظم الدرين في أعيان الحسا والقطيف والبحرين)، قال: «سلطان بن عبد الله آل علي العمراني الأحسائي: العالم الفقيه النبيه الكامل الشيخ سلطان بن عبد الله آل علي العمراني الأحسائي، هو من بيت علم وفضل، ربما أدرك فجر القرن الرابع عشر.

له مسائل إلى العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طعان البحراني أجابه عليها، ويسمّيه فيها بأخي»[1].

= وقال أيضاً:

أتبعتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ ... هل يا تُرى تاركٌ للعين إنسانا
كأنّ أحداجهم تُحدى مُقَفيةً ... نخلٌ بملهمَ أو نخلٌ بقُرانا
يا أمّ عثمان ما تلقى رواحلُنا ... لو قستِ مصبِحنا من حيث ممسانا

وقال داود بن حتمم بن نويرة في يوم كان لهم على ملهم:

ويوم أبي حرٍ بملهمَ لم يكن ... ليقطع حتى يدرك الذحل ثائرُهْ
لدى جدول النيرين حتى تفجرت ... عليه نحور القوم واحمّرَ حائرُهْ

ثم نزح من ملهم سنة ١٠٥٠هـ إلى «الأحساء» وقطن في الجهة الشرقية منها، وعرفت قراها باسمه حيث أطلق عليها (العمران) لشرائه معظمها، ولما كان يتمتع به من رئاسة قبيلته التي كانت - هي الأخرى - تتمتع بالتفوق العشائري في المنطقة، ولا تزال هذه المنطقة من الأحساء تعرف بهذا الإسم حتى الآن.

وكان عمران هذا يتمذهب بمذهب أهل السنة والجماعة عند ما كان في نجد، ثم تشيع وتمذهب بمذهب أهل البيت عند نزوله الأحساء.

(١) مخطوطة الحاج جواد آل رمضان الأحسائي بخط يده في سنة ١٤٠١هـ.

وترجم له أيضاً الحاج جواد آل رمضان الأحسائي في كتابه (مطلع النيرين في ذكر أعلام الحسا والقطيف والبحرين) - مخطوطة مؤلفة - قال: «سلطان بن محمد آل عبّاد الفضلي الأحسائي: العالم الفاضل الفقيه الجليل الورع التقي الشيخ سلطان بن محمد بن عبد الله بن عبّاد آل علي الفضلي نسبه إلى فضل بن ربيعة الطائي المولود في حدود سنة ١٢٦٢هـ، والمتوفى سنة ١٣٢٠هـ. أحد فضلاء الأحساء في صدر القرن الرابع عشر الهجري، ذكره المرحوم التاجر في كتابه بقوله: «العالم الفقيه النبيه الكامل الشيخ سلطان بن عبد الله آل علي العمراني الأحسائي، هو من بيت علم وفضل، ربما أدرك فجر القرن الرابع عشر، له أسئلة إلى العلامة الشيخ أحمد بن صالح بن طعان البحراني أجابه عليها، ويسميه فيها بأخي».

وذكره حفيده الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي الأحسائي في الفصل الذي كتبه عن الأحساء في (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية) عند كلامه عن علماء الأحساء، فقال في وصفه ما نصه: «الشيخ سلطان بن محمد بن عبد الله بن عباد آل علي الفضلي، ولد في الحوطة من قرى الأحساء حدود سنة ١٢٦٢هـ، وتوفي فيها سنة ١٣٢٠هـ، كان من العلماء الأتقياء، تلمذ على السيد هاشم الموسوي والشيخ محمد حسين أبو خمسين. انتهى».

أمه:

هي السيدة فاطمة بنت السيد مهدي بن السيد أحمد آل عطيفة الكاظمي، من سدنة روضة الإمامين الكاظمين عليهما السلام. كانت من المتعبدات الصّالحات اللائي يقصدن للدعاء والتبرك بهن.

«وآل عطيفة سادة حسنيون أجلاء في الكاظمية»[1]. ولهم «حق الخدمة في حرم الإمامين عليهما السلام، وكان فيهم بعض الرؤساء وأركان الدولة»[2].

ومن فقهاء هذه الأسرة السيد علي بن السيد عطيفة، كان من تلامذة الشيخ مهدي آل كاشف الغطاء والشيخ مرتضى الأنصاري في النجف، والشيخ محمد حسن آل ياسين في الكاظمية.

ومن تلامذته السيد حسن الصدر.

وصفه المتتبع الشيخ أغا بزرك الطهراني بقوله: «كان غزير العلم، واسع المعرفة

---

(١) أعيان الشيعة: ٨/ ٢٨٩.

(٢) طبقات أعلام الشيعة: ج١ ق٤ ص١٤٨١.

والإطلاع، بارعاً في كثير من العلوم، معروفاً بالتحقيق في تدريس النحو والمنطق، والمهارة في الفقه والأصول»(١).

توفي سنة ١٣٠٦هـ.

ولادته:

ولد - قدس سره - في سنة ١٣٠٩هـ أو سنة ١٣١٢هـ، حسبما هو مكتوب على أحد دفاتره الخاصة به، في قرية الحوطة، وهي من قرى العمران من الأحساء، أنشأها جدنا عبد الله بن عبّاد، وتقع بين قرية العمران الجنوبية وقرية الرميلة، على طريق قرى الشرق إلى مدينة الهفوف.

نشأته العلمية

دراسته:

بدأ دراسته العلمية الدينية في الأحساء، فتتلمذ في المقدمات(٢) على الشيخ عمران العلي المتوفى سنة ١٣٦٠هـ، وكان يسكن قرية العمران الشمالية، وهو من الفقهاء المجتهدين، درس في الأحساء لدى الشيخ محمد حسين أبو خمسين، وفي النجف على السيد أبي تراب الخوانساري والسيد محمد كاظم اليزدي.

وتتلمذ في السطوح(٣) على السيد ناصر آل السيد سلمان المتوفى سنة ١٣٥٨هـ، وكان يسكن مدينة المبرّز، وهو ممن بلغ درجة الاجتهاد، وعرف بالإضافة إلى ذلك بالورع

---

(١) م.ن.

(٢) المقدمات: مصطلح عرفي يطلق في الحوزات العلمية الشيعية على الكتب العلمية التي يدرسها طالب مقدمة له، لأن ما فيها من قواعد علمية يستعين بها الطالب والباحث والعالم كوسائل إلى معرفة الحكم الشرعي من دليله ومصدره.
وتشمل هذه المقدمات العلوم التالية: الصرف والنحو والبلاغة والمنطق.

(٣) السطوح: مصطلح عرفي آخر يطلق في الحوزات العلمية الشيعية على المرحلة الدراسية الثانية من الدراسة الحوزوية التي تأتي بعد مرحلة دراسة المقدمات.
وسميت بالسطوح لأن الدراسة فيها إذا قورنت بدراسة المرحلة التي تليها وهي مرحلة البحث الخارج تكون سطحية بالنسبة لها لعدم اعتمادها منهجياً على بيان الدليل أو التوسع والتعمق في دراسته وبحثه.
وتشمل دراسة بعض الكتب المقررة في الفقه وأصول الفقه. لمزيد الإطلاع يرجع إلى كتابنا: (دليل النجف الأشرف).

والتقوى ولزوم الاحتياط، ورجع إليه جل أهالي الأحساء في التقليد بعد وفاة أستاذه الشيخ علي الخاقاني النجفي المتوفى سنة ١٣٣٤هـ، وله تعليقة فتوائية مزجية على رسالته العملية، لا تزال مخطوطة.

ثم ارتحل الوالد - قده - إلى النجف الأشرف، وبقي فيها حوالي أربعة وعشرين عاماً.

حضر في (البحث الخارج)[١] على عدة من أعلام عصره في التدريس، وهم:

أساتذته:

١ - الشيخ علي الخاقاني المتوفى سنة ١٣٣٤هـ:

وصفه السيد الأمين في (أعيان الشيعة ٨/ ١٩١) بالعالم العامل الفقيه الرباني، وقال: «كان على جانب عظيم من الزهد والورع والتقشف في الدنيا، رأيناه في النجف الأشرف أيام إقامتنا به وعاشرناه»، ثم نقل عن الحاج ملا علي بن الميرزا خليل أنه وصفه في إجازته التي كتبها له بـ«فخر المحققين وزبدة المدققين».

وذكر أنه تتلمذ على الشيخ مرتضى الأنصاري، وعلى الملا علي المذكور، وعلى السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي حين كان في النجف.

وذكر له من المؤلفات:

أ - شرح اللمعة.

ب - رسائل في تمام أبواب الأصول.

ج - رسائل في مهمات الفقه وقواعده كقاعدة اليد ونفي الضرر وغيرهما.

د - تعليقة على فوائد الاقا البهبهاني في الرجال، أضاف إليها فوائد مهمة، طبعت بعنوان (رجال الخاقاني) في النجف سنة ١٩٦٨م.

هـ - حاشية على المعالم.

و - وله رسالة عملية - كما مرَّت الإشارة إليها.

ذكر تلمذة والدي عليه سبطه الأستاذ علي الخاقاني صاحب مجلة (البيان) النجفية عندما كتب عنه فيها تحت عنوان (مع العلامة الفضلي) في ص٥٠٠ من العدد ٦٥ - ٦٦ للسنة

---

(١) البحث الخارج: يمثل المرحلة الثالثة والأخيرة في الدراسة الحوزوية، ويعتمد على دراسة أدلة المسائل والقضايا الفقهية والأصولية، والتوسع والتعمق فيها.
وسمي بالبحث الخارج لأن الدراسة فيه تكون خارج الكتب المقررة حيث تعتمد طريقة المحاضرة.

الثالثة، حيث قال: «فقد تلمذ على جدي المرحوم الشيخ علي الخاقاني واقتدى برأيه كما اقتدى به معظم أهالي الأحساء والبحرين آنذاك».

ولكني لم أسمع من سيدي الوالد - طاب ثراه - ما يؤكد ذلك.

٢ - السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٧هـ - الآتية ترجمته - حضر عليه أواخر بحوثه الفقهيه.

٣ - الشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري المتوفىٰ سنة ١٣٤٠هـ.

حضر في الفقه والأصول على الشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ آغا رضا الهمداني والشيخ محمد طه نجف والميرزا حبيب الله الرشتي والشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ هادي الطهراني، وفي الرجال على السيد مهدي الهندي.

واعترف له معظم أساتذته ببلوغ درجة الاجتهاد، وعرف في الأوساط العلمية بالتحقيق ودقة النظر والعمق وسعة الإطلاع، فقد كان غزير المادة، صائب الفكر، متبحراً في الفقه وأصوله، وكانت حوزته من أشهر وأكبر وأجل حوزات النجف، حيث يحضرها عدد غير قليل من رجال الفضل المعدودين والمشتغلين النابهين، وقد تخرج به كثير من العلماء الذين بلغوا الدرجات العالية ونالوا الزعامة والمرجعية كالسيد محسن الحكيم.

وأصبح من مراجع التقليد، فكتب حاشيته الفتوائية على العروة الوثقى(١).

تتلمذ عليه في الفقه.

٤ - الشيخ مهدي المازندراني المتوفى سنة ١٣٤٢هـ:

قال السيد الأمين في (أعيان الشيعة: ١/ ١٥٧): «كان عالماً فاضلًا فقيهاً أصولياً مدرساً، تلمذ على الشيخ ملا كاظم الخراساني، وله رسالة في التصور والتصديق».

تتلمذ عليه في أصول الفقه، والحكمة الإلهية.

٥ - الشيخ جعفر بن الشيخ عبد الحسن آل الشيخ راضي المتوفى سنة ١٣٤٤هـ:

قال السيِّد الأمين في (أعيان الشيعة ٤/ ١١٤): «كان عالماً فاضلًا، حادّ الذهن، معتدل السليقة، على جانب عظيم من مكارم الأخلاق، رأس بعد أبيه في النجف، وأخذ عن علمائها، وأخذ عنه جماعة، رأيناه في النجف، وعاشرناه، وعاصرناه، له مؤلف في الفقه، وهو حفيد الشيخ راضي الفقيه النجفي المشهور».

---

(١) أنظر: طبقات أعلام الشيعة: ١/ ١٣٤٩، والإمام الحكيم للسيد الحسيني ٣٣، ومستدرك معجم المؤلفين: ٤٧٥.

والمؤلف الفقهي الذي أشار إليه هو كتابه المرسوم بـ(المباني الجعفرية)، قال الشيخ الطهراني في (الذريعة ١٩/ ٤٥): «٢٣٧ - المباني الجعفرية في شرح الشرائع، خرج منه الطهارة في خمس مجلدات تقريباً للشيخ جعفر بن الشيخ عبد الحسن بن الشيخ راضي النجفي المتوفي ١٤ ذي القعدة ١٣٤٤هـ، يوجد عند ولده في النجف:

أ - من أول الطهارة إلى آخر نواقض الوضوء، فرغ منه في حياة والده.

ب - في الوضوء، فرغ منه في ١٣٢٩هـ.

ج - في الغسل، فرغ منه ١٣٣٠هـ.

د - في التيمم، فرغ منه ١٣٣٩هـ.

رأيت الجميع عند ولده الأكبر الشيخ عبد الرزاق».

تتلمذ عليه في الفقه.

٦ - السيد أبو تراب الخوانساري المتوفى سنة ١٣٤٦هـ:

تتلمذ على كل من السيد حسين الكوه كمري المعروف بالسيد حسين الترك، والشيخ محمد حسين الكاظمي والمولى لطف الله المازندراني والشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي الاصفهاني صاحب حاشية المعالم، وغيرهم من مشاهير العلماء[١].

قال السيد الأمين: «كان محققاً مدققاً فقيهاً أصولياً، له اليد الطولى في علم الرجال، واسع الإطلاع فيه جداً. . . وكان موثوقاً به، مقبولاً عند الناس، مقلداً، يصلي إماماً في الصحن الشريف في جهة الشمال الشرقي»[٢]. ذكر له في (أعيان الشيعة ٨/ ٣٠) أكثر من ثلاثين مؤلفاً، منها:

أ - سبيل الرشاد في شرح نجاة العباد، عشر مجلدات، طبع منه الصوم والمواريث في طهران.

ب - سلامة المرصاد في حواشي نجاة العباد، طبعت في النجف.

ج - عقد اللئالي واليواقيت في تحصيل محل المحاذاة للمواقيت.

د - مناسك الحج.

هـ - حاشية على رسائل الشيخ مرتضى الأنصاري.

---

(١) أعيان الشيعة: ٨/ ٢٩.

(٢) م. ن.

و - رسالة في حجة الأصول المثبتة.

ز - رسالة في تحقيق الأصل في المتعارضين في الأدلة والأصول والإمارات.

ح - الدر الفريد في شرح التجريد.

ط - الفوائد الرجالية.

ي - البيان في تفسير القرآن.

ك - لب اللباب في تفسير أحكام الكتاب.

ل - مصباح الصالحين في أصول الدين.

ترجمه السيد محمد مهدي الأصفهاني برسالة خاصة عنوانها (مواهب الباري في ترجمة العلامة الخوانساري)[١].

٧ - الشيخ الميرزا محمد حسين النائيني المتوفى سنة ١٣٥٥هـ.

تتلمذ على الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي الأصفهاني صاحب حاشية المعالم، والميرزا محمد حسن النجفي، والميرزا أبي المعالي، والشيخ محمد تقي المعروف بآقا نجفي، والميرزا محمد حسن الشيرازي والميرزا حسين النوري والميرزا محمد تقي الشيرازي.

من مؤلفاته:

أ - تنبيه الأمة وتنزيه الملة، وهو كتاب سياسي - باللغة الفارسية - يدلل فيه على وجوب إقامة الحياة الدستورية في إيران.

ب - حاشية على العروة الوثقى.

ج - رسالة عملية.

د - رسالة في اللباس المشكوك.

هـ - رسالة في التعبدي والتوصلي[٢].

وصفه السيد الأمين بقوله: «كان عالماً جليلًا فقيهاً أصولياً حكيماً عارفاً أديباً متقناً للأدب الفارسي، عابداً، مدرساً، مقلداً في الأقطار»[٣]. حضر لديه في أصول الفقه.

---

(١) الأعلام: ٤/ ٣٠.

(٢) أعيان الشيعة: ٦/ ٥٤.

(٣) م.ن.

٨ - السيد أبو الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٦٥هـ من أبرز أساتذته: الميرزا حبيب الله الرشتي في الفقه، والشيخ ملا كاظم الخراساني في أصول الفقه.

«كان علماً من أعلام الدين، وإماماً من أعظم أئمة المسلمين، وقد انحصرت الرياسة العملية الدينية في النجف الأشرف فيه وفي معاصره الميرزا حسين النائيني، وقلدا في العراق وسائر الأقطار، ثم انحصرت الرياسة فيه بعد وفاة النائيني سنة ١٣٥٥هـ»[1].

له رسالتان عمليتان صغرى وكبرى بعنوان (وسيلة النجاة)، ترجمت إلى الفارسية والتركية وغيرها.

وله حاشية على العروة الوثقى.

حضر عليه في الفقه.

٩ - الشيخ محمد رضا آل ياسين المتوفى سنة ١٣٧٠هـ.

قال عنه الزركلي في (الأعلام: ٦/ ١٢٧): «فقيه إمامي، من أهل الكاظمية في العراق، من كتبه (بلغة الراغبين في فقه آل ياسين - ط) و(مناسك الحج - ط) و(ديوان شعر - خ)».

وله أيضاً حواشٍ على العروة الوثقى للسيد اليزدي، وأخرى على وسيلة النجاة للسيد الأصفهاني.

كان من الأتقياء الورعين والزهاد المتقشفين، رجع إليه أهالي الأحساء ومعظم أبناء الخليج الأخضر، وكثير من أهل العراق والأهواز في التقليد بعد وفاة السيد الأصفهاني.

تتلمذ عليه في الفقه.

١٠ - الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٧٣هـ - الآتية ترجمته - تتلمذ عليه في الحكمة وعلم الكلام، بدرس خاص به.

إجازاته العلمية:

أجيز بالاجتهاد من:

١ - الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء المتوفَّى سنة ١٣٧٣هـ.

ترجمه الزركلي في (الأعلام ٦/ ١٠٦ - ١٠٧) بما نصُّه: «محمد حسين بن علي بن الرضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء: مجتهد إمامي، أديب من زعماء الثورات الوطنية

---

(١) م.س: ٢/ ٣٣٢.

في العراق، من أهل النجف، كان من الكتّاب الشعراء، الدعاة إلى الوفاق بين المسلمين، انتهت إليه الرياسة في الفتوى والاجتهاد بعد وفاة أخيه (الشيخ أحمد)... وكان من أعضاء المؤتمر الإسلامي في القدس سنة ١٣٥٠هـ، وصنف كتباً كثيرة، منها:

أ - الدين والإسلام - ط، جزءان.

ب - الآيات البينات - ط.

ج - خمس رسائل.

د - الوجيزة - ط «رسالة عملية».

هـ - المراجعات الريحانية - ط، جزءان.

و - التوضيح في بيان ما هو الأنجيل ومن هو المسيح - ط، جزءان.

ز - أصل الشيعة وأصولها - ط.

ح - عين الميزان - ط.

ط - رسالة في الجرح والتعديل.

ي - ملخص الأغاني - خ.

ك - النفحات العنبرية - خ.

ل - رحلة إلى سورية ومصر - خ.

م - ديوان شعر - خ.

وقصد إيران مستشفياً فتوفي بها، ونقل إلى النجف».

وله أيضاً:

أ - حاشية فتوائية على (سفينة النجاة) لأخيه الشيخ أحمد.

ب - سؤال وجواب «رسالة عملية».

ج - حاشية على تبصرة المتعلمين.

د - حاشية على العروة الوثقى.

هـ - تحرير المجلة.

و - الفردوس الأعلى.

ز - جنة المأوى.

وغيرها

ونص إجازته له:

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله جلّت آلاؤه على ما أساغ من نعمه وأجاز، وصلّى الله على محمد وآله مجاز الحقيقة إلى الحق وحقيقة المجاز.

نبدي أن جناب عمدة العلماء العاملين، وقدوة الأتقياء العارفين، قطب رحى التحقيق، ومسبار لجة بحر الغور والتدقيق، مصباح الفضائل في الظلمات، ومفتاح رتاج باب المشكلات، شيخنا الأفضل المبجل الشيخ مرزا محسن الشيخ سلطان أدام الله فضائله وفواضله، هو ممن جد واجتهد في اقتناص حقائق العلوم الدينية، واستنباط الأحكام المقدَّسة الشرعية، من أدلتها التفصيلية، من الكتاب والسنة، حتى حاز أسنى مراتبها، وأسمى مناصبها، فأصبح بحمد الله تعالى مصباح هداية، وايضاح فضل ودراية، نافذ النظرة، وقّاد الفكرة، نقّاد الرأي، متطلعاً في المعرفة، متفوقاً في الصفة، قويم الطرائق، ملجأ الحقائق، حائزاً أعلى مراتب الورع والتقوى، فائزاً بأسنى حلل العوارف والمعارف، ممن لا تعوقه في سيره العظائم، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

فالمأمول من كافة اخواننا المؤمنين - أسعدهم الله بسعادة الدارين، وفوز النشأتين - أن يستضيئوا بأنواره، ويقتدوا بآثاره ويلتمسوا المنايح والمرابح من بركاته، فإنه - أيده الله - لا يدلهم إلّا على هدى، ولا يصدهم إلّا عن ردى.

ونسأله تعالى كما جعله من أعلام الدين، ومصابيح اليقين، أن يؤيده، ويسدده، ويسعد به كما أسعده.

ورجائي إليه أَن لا ينساني من صالح دعائه، وجميل تذكاره في أذكاره، والسلام عليه وعلى كافة إخواني المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

حرر في ٧ شعبان ١٣٤٥هـ.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

وكان نقش خاتمه الذي ختم به الإجازة: (يا حسين بن علي).

٢ - الشيخ حبيب بن قرين المتوفى سنة ١٣٦٣هـ.

كان فقيهاً مجتهداً، ومتكلماً عارفاً، ومرجع تقليد، رجع إليه الكثير من أهالي الأحساء والكويت والبصرة وغيرهم.

تلمذ في النجف الأشرف على جملة من أعلامها أمثال: شيخ الشريعة الإصفهاني.

وأجيز دراية ورواية من أستاذه المذكور شيخ الشريعة، ومن الشيخ محمد آل عيثان الأحسائي والسيد ناصر السيد هاشم آل السيد سلمان الأحسائي.

وله من المؤلفات:

أ - نعم الزاد ليوم المعاد في أصول الدين وفروعه.

ب - منسك حج[1].

أجازه بإجازتين:

الأولى: وهي إجازة في الاجتهاد، وهذا نصها:

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ١٠٢، وانظر: مقال السيد هاشم السيد محمد الشخص في مجلة الفتح بعنوان (الشيخ حبيب بن قرين)، والكشكول وكذلك مطلع النيرين للحاج جواد آل رمضان الأحسائي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرع منهج الإجتهاد، لطفاً منه ببريته، وتسهيلًا لطريق الوصول إلى ما فرضه على خليقته، وأوضح لهم سبيل الرشد والهدى مبرهنة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيي عن بينة، تعالى شأنه عن أن يحد لدى التعريف بحد، وجلّ عن الشبيه فلم يكن له كفواً أحد.

والصلاة والسلام على من أرسله بشيراً ونذيراً، ومرشداً إلى نهج الهداية، ذائداً للضلال في أمته عن طريق الغي والغواية، فبلّغ ما حُمّل من فرائض وسنن، وبالتبليغ صدع، فأماطت أنوار شرعته عن أفق الرشد غياهب البدع.

وعلى آله القادة الميامين المنتجبين، الذين نطق بنعتهم الكتاب المبين، الناهضين من بعده بأعباء الخلافة فأظهروا الدين، وقمعوا من أسرَّ خلافه، وتحمَّلوا في نصرة الدين الشدائد من غاصبٍ لحقهم، ولمنصبهم جاحد.

أمَّا بعد، فإن الله تعالى قد مَنَّ بعد فقد الأئمة على نوع الإنسان، بأناس حبَّب في قلوبهم الإيمان، وكرّه لهم الفسق والعصيان، جدّوا واجتهدوا في جمع شتات الأحكام، وجعل الله لهم الشوكة بين الخاص والعام، فسوّدوا بطون الكتب لشرح متون الملة البيضاء، حين سرّحوا أبصار بصائرهم في العلم في روضة غناء، قد أفاض الله عليهم من فيوضاته ملكة قدسية، فتفجرت لهم ينابيع الحكم الخفية، واتعبوا أبدانهم في تشييد الدين في السراء والضراء، وسوف يجدون بما صنعوا النعيم والراحة في يوم الجزاء، قد اتخذوا ما كتبوه من العلم جُنّة، وتاجروا الله فربحوا الجَنَّة.

وممن مَنَّ الله عليه بهذه الرتبة، وسنح له بهذه الفضيلة، وامتحن قلبه بالإيمان بما جاء به نبيه، جناب العالم العامل، والفاضل الكامل، الأديب المتقن، جناب الميرزا محسن بن الشيخ سلطان الأحسائي.

فإنه على ما ثبت عندي بعد الاختلاط والامتحان بالمسائل العديدة، والمقامات الكثيرة التي يستبين بها الجواد من غيره، أنه ممن خاض بزورق فكره وفهمه بحراً من العلم لا ساحل له، فنظم بسلك فكرته منتثر لئالي المعقول والمنقول، وصارت له ملكة يقتدر بها على استنباط الفروع من الأصول، فحق أن يشار إليه بالأكف، وجدير بأن تكون على رأسه ألوية الزعامة ترف، فنسأل الله أن يشيد به وبأمثاله دعائم الإسلام، يؤيد به شريعة خير الأنام، وينفع بما رزقه من العلم إخواننا المؤمنين، وأن يجعل إفاداته خالصة لله لتكون له ذخيرة إلى يوم الدين، وأن يشعشع ثواقب عقولنا لتكون لشياطين النفس راجمة، وأن يبدل فاتحة أعمالنا بأحسن منها في الخاتمة.

وأرجوه أن يكون حليف الورع والاحتياط، فإن من سلك بحراً تياراً ينبغي له أن يكون كذلك، ولأنه ما نكب عن الصراط من سلك سبيل الاحتياط.

وقد أجزت له أيضاً أن يروي عني ما أجاز لي روايته مشائخي الكرام، والفضلاء العظام، منهم البحر الخضم، جامع المعقول والمنقول، مروج الفروع والأصول، الأجل الميرزا فتح الله الغروي الشيرازي الأصبهاني الشهير بشيخ الشريعة(١) - قدس الله روحه - عن مشائخه.

وها أنا أنقل عبارته بعينها، قال - بعد إجازته لي إجازة الدراية -: وأجزت له أن يروي عني ما سمع مني، وما صحت لي روايته من كتب السابقين واللاحقين، سيما (الصحيفة السجادية)(٢) و(نهج البلاغة)(٣) والكتب الأربعة التي كان عليها المدار في

---

(١) هو الشيخ فتح الله بن الحاج محمد جواد النمازي الشيرازي المعروف بـ(شيخ الشريعة) الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٣٩هـ.
تتلمذ في النجف الأشرف على الميرزا حبيب الله الرشتي والشيخ محمد حسين الكاظمي. وأجيز بالإجتهاد من أستاذه الشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ محمد طه نجف والسيد مهدي القزويني الحلي. ومن أبرز تلامذته: الشيخ عبد الحسين الرشتي شارح الكفاية والسيد عبد الحسين شرف الدين العاملي صاحب المراجعات والسيد عبد الهادي الشيرازي المرجع الديني والشيخ آغا بزرك الطهراني مؤلف الذريعة وطبقات أعلام الشيعة والشيخ محمد حسن المظفر صاحب دلائل الصدق والسيد هبة الدين الشهرستاني صاحب الهيئة والإسلام والشيخ هادي آل كاشف الغطاء صاحب مستدرك نهج البلاغة والسيد ناصر الموسوي الأحسائي والشيخ حبيب آل قرين - صاحب الإجازة في أعلاه - والسيد أبو القاسم الخوئي المرجع الديني المعاصر مؤلف معجم رجال الحديث.
ومن آثاره العلمية:
- قاعدة الطهارة.
- رسالة في العصير العنبي.
- إبانة المختار في إرث الزوجة.
- إنارة الحالك في قراءة ملك ومالك.
- القول الصراح في نقد الصحاح.
- قاعدة لا ضرر ولا ضرار. وغيرها.
قال فيه السيد الأمين: «كان أحد أعلام علماء هذا العصر» - أعيان الشيعة ٨/ ٣٩١، وانظر: مقدمة رسالته في (قاعدة لا ضرر ولا ضرار) بقلم السيد علي الخراساني ط بيروت ١٤٠٧هـ.
(٢) نسبة إلى الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين وهي مجموعة من أدعيته المروية عنه.
(٣) مجموعة من خطب ورسائل وأقوال الإمام أمير المؤمنين اختيار وجمع ورواية الشريف الرضي.

الأعصار والأمصار، لأبي جعفرين المحمدين الثلاثة الأبرار[١]، أعني (الكافي) و(الفقيه) و(التهذيب) و(الاستبصار)، والجوامع الثلاثة المتأخرة التي بلغت في الوضوح والاشتهار، حد الشمس في رابعة النهار، أعني (الوافي)[٢] و(الوسائل)[٣] و(بحار الأنوار)[٤]، بطرقي المتكثرة إليها.

وها أنا ذاكر لجملة منها:

أحدها: أني أروي عن السيد السند والعلامة المسدد المؤيد، الذي بلغ من العلوم العقلية والنقلية قاصيتها، وملك من الفنون الأصلية والفرعية ناصيتها، السيد مهدي القزويني[٥] أصلاً، والحلي انتساباً، والنجفي مولداً وموطناً ومدفناً، عن عمه العلامة صاحب المآثر

---

(١) هم:
- أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي.
- أبو جعفر محمد بن علي الصدوق صاحب من لا يحضره الفقيه.
- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتابي التهذيب والاستبصار.

(٢) للملا محسن الفيض الكاشاني.

(٣) للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي.

(٤) للمولى محمد باقر المجلسي.

(٥) السيد مهدي بن السيد حسن القزويني الحلي المتوفّى سنة ١٣٠٠هـ.
قرأ على الشيخ جعفر الكبير والسيد باقر القزويني والسيد علي القزويني وغيرهم.
من مؤلفاته:
- بصائر (المجتهدين) في شرح تبصرة المتعلمين ١٥ مجلداً.
- مواهب الأفهام في شرح شرائع الإسلام، القواعد الكلية الفقهية.
- المهذب في الأصول.
- رسالة في إبطال الكلام النفسي.
- أسماء قبائل العرب.
قال السيد الأمين في (الأعيان: ١٠/ ١٤٥): «جمع ولده السيد حسين رسالةً في أحواله، وبعد ذكره لمصنفاته الكثيرة قال: وهو مع ذلك في جميع حالاته محافظ على أوراده وعباداته في لياليه وخلواته، مدئباً نفسه في طلب مرضاة ربه، وما يقربه إلى الفوز بجواره وقربه، لا يفتر عن أجابة المؤمنين في دعواتهم وقضاء حقوقهم وحاجاتهم وفصل خصوماتهم في منازعاتهم، حتى أنه في حال اشتغاله بالتأليف ليوفي الجليس حقه والسائل مسألته والطالب دعوته، ويسمع من المتخاصمين ويقضي بينهم فيما أولاه بما قيل فيه:

يحدّثُ أصحاباً ويقضي خصومةً ويرسمُ منشور العلومِ الغرائبِ

المعروف السيد باقر القزويني[١] عن خاله العلامة المؤيد المسدد البدل النحرير، والإمام الذي قلّما اكتحلت عين الزمان له بنظير، السيد محمد مهدي المشتهر ببحر العلوم[٢]، بطرقه المتكاثرة المتوافرة، التي منها ما يرويه عن أستاذ المتأخرين وخاتم المجتهدين، وحيد الأعصار، وفريد الأمصار، الإمام المروّج المجدّد، الآغا محمد باقر الأصبهاني الشهير بالبهبهاني[٣]، عن والده

---

(١) السيد باقر بن السيد أحمد الحسيني القزويني المتوفي سنة ١٢٤٦هـ. قال السيد الأمين فيه: «من أجلاء العلماء في النجف علماً وعملاً ومعرفة، عالم، عابد، مشهور، من ذوي الكرامات، وهو عم السيد مهدي القزويني الشهير، وأمه أخت السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي. أخذ عن خاله المذكور، وعن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء. ويروي بالإجازة عنهما.
وأخذ عنه جماعة منهم ابن أخيه السيد مهدي» - الأعيان ٣/ ٥٢٩ - من مؤلفاته:
- حواشي كشف اللثام.
- جامع الرسائل في الفقه.

(٢) السيد مهدي بن السيد مرتضى الطباطبائي الحسني البروجردي المعروف ببحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢هـ.
تلمذ على والده وعلى الشيخ يوسف البحراني والشيخ مهدي الفتوني والشيخ محمد تقي الدورقي والآقا محمد باقر البهبهاني.
وتتلمذ عليه جماعة، منهم: الشيخ جعفر الكبير والسيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة والشيخ عبد النبي القزويني، وغيرهم.
وله من المؤلفات:
- المصابيح في الفقه.
- الفوائد في الرجال.
- الفوائد في الأصول.
- الدرة النجفية (أرجوزة في الفقه).
- تحفة الكرام في تاريخ مكة وبيت الله الحرام، وغيرها.
وصفة السيد الأمين في (الأعيان: ١٠/ ١٥٨) بقوله: «الإمام العلامة، الرُحْلَة، رئيس الإمامية، وشيخ مشايخهم في عصره، نادرة الدهر، وإمام العصر، الفقيه الأصولي، الكلامي، المفسر، المحدث، الرجالي، الماهر في المعقول والمنقول، المتطلع بالأخبار والحديث والرجال، التقي، الورع، الأديب، الشاعر، الجامع لجميع الفنون والكمالات، الملقب ببحر العلوم عن جدارة واستحقاق».

(٣) الآغا محمد باقر بن محمد أكمل المعروف بالآغا البهبهاني والوحيد البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٥هـ.
«وصفه تلميذه السيد مهدي بحر العلوم في بعض إجازاته بقوله: شيخنا العالم العامل العلامة، واستاذنا الحبر الفاضل الفهامة، المحقق النحرير، والفقيه العديم النظير، بقية العلماء، ونادرة الفضلاء، مجدد ما اندرس من طريقة الفقهاء، ومعيد ما انمحى من آثار القدماء، البحر الزاخر، والإمام الباهر، الشيخ محمد باقر بن الشيخ الأجل الأكمل، والمولى الأعظم الأبجل، المولى محمد أكمل، أعزه الله برحمته الكاملة، وألطافه السابغة الشاملة» - الأعيان: ٩/ ١٨٢-. =

الأجل المولى أكمل[(١)]، عن مشايخه الأجلاء: العلامة المجلسي[(٢)] صاحب البحار، والعلامة الشرواني[(٣)]، . . . .

= من مؤلفاته:
- شرح المفاتيح.
- رسالة في الإجتهاد والتقليد.
- رسالة في حجية الأدلة الأربعة.
- رسالة في الجبر والاختيار. وغيرها.

(١) الآغا محمد أكمل الأصفهاني والد الوحيد البهبهاني، من علماء الإمامية في القرن الثاني عشر الهجري.
قال الشيخ القمي في (الكنى والألقاب: ٢/ ١٠٩): «كان... من فضلاء أهل العلم ومن تلامذة المولى الميرزا الشرواني والعلامة المجلسي والشيخ جعفر القاضي».

(٢) المولى محمد باقر بن محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١١١١هـ.
نقل السيد الأمين في (الأعيان: ٩/ ١٨٢) عن كتاب (دار السلام) ما نصه: «لم يوفق أحد في الإسلام مثل ما وفق هذا الشيخ المعظم والبحر الخضم والطود الأشم، من ترويج المذهب بطرق عديدة، أجلها وأبقاها التصانيف الكثيرة التي شاع ذكرها في الأنام وانتفع بها الخواص والعوام، والمبتدى والمنتهي».
ثم نقل عن كتاب (مرآة الأحوال) للأقا أحمد البهبهاني أنه: «كان له شوق شديد إلى التدريس، وخرج من مجلس درسه جماعة كثيرة من الفضلاء، وعن تلميذه الفاضل الأميرزا عبد الله الأصفهاني في كتابه (رياض العلماء) أنهم بلغوا ألف نفس».
من مؤلفاته:
- بحار الأنوار.
- ملاذ الأخيار في شرح تهذيب الأخبار.
- مرآة العقول.
- الوجيزة في الرجال. وغيرها.

(٣) المولى ميرزا محمد بن الحسن الشرواني الأصفهاني المعروف بالفاضل الشرواني، وبملا ميرزا المتوفى سنة ١٠٩٩هـ.
«العلامة المحقق المدقق المشهور المتبحر في العلوم، من نوادر الدهر في لطف فطنته ودقة فكره وأصالة رأيه» - الأعيان: ٩/ ١٤٢.
من مؤلفاته:
- حاشية أصول المعالم.
- حاشية شرح التجريد للقوشجي.
- رسالة في الهندسة.
- شرح الشرائع. =

والعلامة جمال الدين الخوانساري[١]، والفقيه النبيه الشيخ جعفر القاضي[٢] جميعاً عن المحدث الفقيه البارع النقي المولى محمد تقي المجلسي[٣]، عن الشيخ الأجل الأكبر، أعجوبة البشر، الشيخ بهاء الدين العاملي[٤] . . . .

= - انموذج العلوم.
- حاشية على المسالك.
تلمذ عليه: المولى محمد أكمل، وصاحب رياض العلماء، وغيرهما.

(١) الآغا جمال الدين محمد بن الآقا حسين الخوانساري المتوفي سنة ١١٢٥هـ.
قال صاحب أمل الآمل: «عالم فاضل حكيم محقق مدقق معاصر، له مؤلفات» - لؤلؤة البحرين ٩١ هامش ٢٧-، وعبّر عنه الشيخ البحراني بالعلامة الفهامة.

(٢) الشيخ جعفر القاضي ابن عبد الله بن إبراهيم الحويزي الكمره إي الأصفهاني المتوفى سنة ١١١٥هـ، تلميذ المجلسي والمحقق الخوانساري والسبزواري.
له رسالة في ولاية الوصي على نكاح الصغيرين، وذخائر العقبى في التعقيبات.
«وفي (جامع الرواة): الشيخ جعفر بن عبد الله بن إبراهيم الكمرئي، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، دقيق الفطنة، ثقة ثبت عين، عارف بالأخبار والتفسير والفقه والأصول والكلام والحكمة والعربية، جامع لجميع الكمالات، وليس له في جامعيته ووحدة حدسه وحضور جوابه وذكائه ورقة طبعه في عصره نظير ولا قرين، وكان استاذنا ومعتمدنا، وبه في جميع العلوم استفادتنا، أمد الله تعالى في عمره وزاد في تأييده ورتبته» - الأعيان: ٤/ ١١٤ - ١١٥.
ولقب بالقاضي لأنه كان قاضي أصبهان وشيخ الإسلام فيها.

(٣) المولى محمد تقي بن مقصود علي المجلسي المتوفى سنة ١٠٧٠هـ.
قال فيه الرباني الشيرازي في مقدمته لكتاب (بحار الأنوار: ١/ ٣٠): «من أعاظم علماء الإمامية وأجلائهم، ذكره العلماء في تراجمهم مقروناً بالحفاوة والإجلال، مرموقاً بعين الإكبار والاحترام، قال المولى الإردبيلي: محمد تقي بن مقصود علي الملقب بالمجلسي، وحيد عصره، فريد دهره، أمره في الجلالة والثقة والأمانة وعلو القدر وعظم الشأن وسمو الرتبة والتبحر في العلوم أشهر من أن يذكر، وفوق ما تحوم حوله العبارة، أروع أهل زمانه وأزهدهم وأتقاهم وأعبدهم، بلغ فيضه ديناً ودنيا بأكثر أهل زمانه من العوام والخواص، ونشر أخبار الأئمة - صلوات الله عليهم - باصفهان، جزاه الله تعالى خير جزاء المحسنين».
من آثاره العلمية:
- شرح من لا يحضره الفقيه.
- شرح على بعض أبواب تهذيب الأحكام، وغيرها.

(٤) الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي الشهير بالبهائي المتوفى سنة ١٠٣٠هـ. قال فيه صاحب (نقد الرجال): «جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله، وعلو رتبته في كل فنون الإسلام كمن له فن واحد، له كتب نفيسه جيدة» - الأعيان: ٩/ ٢٣٤-، =

عن والده الفقيه النبيه الشيخ حسين العاملي[١]، عن العلامة البدل النحرير، الإمام الهمام، الفهامة، العديم النظير، شيخنا الشهيد الثاني[٢] بطرقه المعروفة المذكورة في إجازته المشهورة والمسطورة بعضها في فاتحة (المعالم)[٣].

ثانيتها: أني أروي عن العلامة الفقيه النحرير والحبر الفهامة النزير النظير، صاحب (هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام) - في سبعة وعشرين مجلداً - الشيخ محمد حسين الكاظمي[٤] أصلاً، والنجفي خاتمة، عن جماعة:

= وقال الشيخ البحراني في (اللؤلؤة ١٨): «... وكان هذا الشيخ علامة فهامة محققاً، دقيق النظر، جامعاً لجميع العلوم، حسن التقرير، جيد التحرير، بديع التصنيف أنيق التأليف».

من تآليفه: الزبدة في أصول الفقه، مفتاح الفلاح، خلاصة الحساب، الكشكول، المخلاة، الحبل المتين، مشرق الشمسين، الصمدية في النحو، وغيرها.

(١) الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد العاملي المتوفى سنة ٩٨٤هـ.

من أبرز تلامذة الشهيد الثاني والمجاز منه بالدراية والرواية، ومن أبرز تلامذته: ولده البهائي والشيخ حسن صاحب المعالم.

من مؤلفاته:

- رسالة في الدراية.
- شرح قواعد الأحكام للعلامة الحلي.
- شرح ألفية الشهيد في الصلاة.
- رسالة في عينية صلاة الجمعة. وغيرها.

(٢) الشيخ زين الدين بن علي العاملي المعروف بابن الحجة والمشهور بالشهيد الثاني المتوفى سنة ٩٦٦هـ.

قال فيه الشيخ البحراني في (اللؤلؤة ٢٨ - ٢٩): «وكان هذا الشيخ من أعيان هذه الطائفة ورؤسائها وأعاظم فضلائها وثقاتها، وهو عالم عامل، محقق مدقق، زاهد مجاهد، ومحاسنه أكثر من أن تحصى، وفضائله أجل من أن تستقصى».

من آثاره العلمية:

- مسالك الأفهام إلى شرح شرائع الإسلام.
- روض الجنان في شرح ارشاد الأذهان.
- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية.
- تمهيد القواعد.
- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد.
- البداية في الدراية، وغيرها.

(٣) يعني كتاب (معالم الدين) للشيخ حسن ابن الشهيد المذكور.

(٤) الشيخ محمد حسين بن هاشم العاملي الكاظمي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ.

«العالم الفقيه الزاهد المشهور الحال، انتهت إليه رياسة الإمامية في بلاد العرب، وقلده كافة العرب،=

أحدهم: أفضل المتأخرين وأدقهم وأتقنهم وأزهدهم وأبرهم وأتقاهم الشيخ مرتضى الدزفولي الأنصاري(١)، عن العلامة النحرير، الراقي في نفائس الفنون وأشتات العلوم أعلى المراقي المولى أحمد النراقي(٢)، . . . .

=ووصلت إليه الأموال الكثيرة، كان يبسطها في الفقراء، ولا يتناول منها أزيد مما يحتاجه على وجه الاقتصاد، ولم يخلف بعد وفاته داراً ولا عقاراً.

تخرج به كثير من فقهاء العرب - والفرس، وكان من عبّاد زمانه وزهّادهم، خشناً في ذات الله، قليل النظير، سهل المؤنة، سريع الاعانة والوجابة، كثير الاهتمام بأمور الطائفة، خصوصاً حملة العلم على طريقة السلف الصالح في كل ذلك» - الأعيان: ٩/ ٢٥٧-.

تلمذ على الشيخ عبد الله نعمة العاملي والشيخ حسن بن الشيخ جعفر والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الأنصاري.

له: كتاب (هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام).

(١) الشيخ مرتضى بن محمد أمين التستري الأنصاري المتوفى سنة ١٢٨١هـ.

يروي عن الشيخ أحمد النراقي والسيد صدر الدين العاملي، وتلمذ على السيد محمد المجاهد وشريف العلماء والشيخ أحمد النراقي.

«ورد إلى النجف سنة ١٢٤٩هـ أيام رياسة الشيخ علي بن الشيخ جعفر، وصاحب الجواهر، والأول أوجههما، فاختلف إلى مدرسته عدة أشهر، ثم انفرد واستقلّ بالتدريس والتأليف، واختلف إليه الطلاب، ووضع أساس علم الأصول الحديث عند الشيعة، وطريقته الشهيرة المعروفة، إلى أن انتهت إليه رئاسة الإمامية العامة في شرق الأرض وغربها بعد وفاة الشيخين السابقين، وصار على كتبه ودراستها معوّل أهل العلم، لم يبق أحد لم يستفد منها، وإليها يعود الفضل في تكوين النهضة العلمية الأخيرة في النجف الأشرف.، وكان يملي دروسه في الفقه والأصول صباح كل يوم وأصيله في الجامع الهندي حيث يغص فضاؤه بما ينيف على الأربعمائة من العلماء الطلاب، وقد تخرج به أكثر الفحول من بعده مثل الميرزا الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي والسيد حسين الترك والشربياني والمامقاني والميرزا أبو القاسم الكلانتري صاحب الهداية، وانتشر تلاميذه، وذاعت آثاره في الآفاق، وكان من الحفاظ، جمع بين قوة الذاكرة وقوة الفكر والذهن وجودة الرأي، حاضر الجواب، لا يعييه حل مشكلة ولا جواب مسألة، وعاش مع ذلك عيشة الفقراء المعدمين متهالكاً في انفاق كل ما يجلب إليه على المحاويج من الإمامية في السر خصوصاً، غير مريد للظهور والمباهاة بجميع ذلك حتى لم يبق لوارثه مالهُ ذكرٌ قط» - الأعيان: ١٠/ ١١٨-.

من آثاره العلمية:

- الرسائل في أصول الفقه.
- المكاسب في الفقه. وغيرهما.

(٢) الشيخ أحمد بن مهدي بن أبي ذر الكاشاني النراقي المتوفى سنة١٢٤٥هـ.

قال السيد الأمين: «كان عالماً فاضلاً، جامعاً لأكثر العلوم، لا سيما الأصول والفقه والرياضي، شاعراً بليغاً بالفارسية» - الأعيان: ٢/ ١٨٤-. =

عن مشائخه الأجلاء: والده العلامة المولى مهدي النراقي(١)، والعلامة الطباطبائي بحر العلوم(٢)، والعلامة الحائري صاحب الرياض(٣)، والفقيه العلامة كاشف الغطاء(٤)، والفقيه

= له مؤلفات كثيرة، منها:
- مناهج الوصول إلى علم الأصول.
- مشكلات العلوم.
- الخزائن.
- عوائد الأيام من قواعد الفقهاء الأعلام.
- المستند في الفقه.

(١) الشيخ مهدي بن أبي ذر الكاشاني النراقي المتوفى سنة ١٢٠٩هـ.
«قال في الروضات: كان من أركان علمائنا المتأخرين، وأعيان فضلائنا المتبحرين، مصنفاً في أكثر فنون العلم، مسلّماً له في الفقه والحكمة والأصول» - الأعيان: ١٠/ ١٤٣-.
من مؤلفاته:
- معتمد الشيعة في أحكام الشريعة.
- التجريد في أصول الفقه.
- لوامع الأحكام في فقه شريعة الإسلام.
- جامع السعادات في الأخلاق... وغيرها.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الأمير السيد علي بن السيد محمد علي الطباطبائي الحائري المتوفى سنة ١٢٣١هـ.
قال السيد الأمين في (الأعيان: ٨/ ٣١٤) تحت عنوان (أقوال العلماء فيه): «هو المحقق المؤسس الذي ملأ الدنيا ذكره، وعم العالم فضله، تخرج عليه علماء أعلام، وفقهاء عظام، صاروا من أكابر المراجع في الإسلام كصاحب المقابيس وصاحب المطالع، وصاحب مفتاح الكرامة، وأمثالهم من الأجلة، وقد ذكروه في اجازاتهم ووصفوه بأجمل الصفات».
من مؤلفاته: الرياض في الفقه، الذي انتشر وبه اشتهر.

(٤) الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجي النجفي المتوفى سنة ١٢٢٧هـ.
تلمذ على الشيخ محمد مهدي الفتوني العاملي والسيد صادق الفحام والشيخ محمد تقي الدورقي والوحيد البهبهاني والسيد بحر العلوم.
«كان من أساتذة الفقه والكلام وجهابذة المعرفة والأحكام، معروفاً بالبسالة والإحكام، مروّجاً للمذهب كما هو حقه، وبيده رتقه وفتقه، مقدماً عند الخاص والعام، معظماً في عيون الأعاظم والحكام، غيوراً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوراً عند الهزاهز، والغير مطاعاً عند العرب والعجم في زمانه، مفوقاً في الدنيا والدين على سائر أقرانه، ظهر من غير بيت علم فصار علماً، كان شديد التواضع واللين مع ما فيه من الصولة والوقار والهيبة والاقتدار، فلم يكن يمتاز في ظاهر هيئته على سائر الناس» - الأعيان: ٤/ ١٠٠ نقلاً عن الروضات -.
له كتاب: (كشف الغطاء) في الفقه.
وإليه نسبت ذريته.

النبيه الميرزا محمد مهدي الشهرستاني[١] جميعاً عن الوحيد المجدد[٢].

ثانيهم: الفقيه المتبحر العلامة الذي ثبتت منته على كافة من يأتي بعده، الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر[٣] عن شيخيه العلمين النحريرين: . . . .

---

(١) السيد الميرزا محمد مهدي الشهرستاني المتوفى سنة ١٢١٦هـ.
وصفه الشيخ النوري في (المستدرك: ٣/ ٣٦٦) بالسيد المتبحر الجليل الرباني، وقال فيه الزنوزي في كتابه (رياض الجنة): «عالم فاضل كامل باذل محقق مدقق متبحر جامع ثقة ثبت ضبط متكلم فقيه» - الأعيان: ١٠/ ١٦٤-.
تلمذ على الوحيد البهبهاني والشيخ يوسف البحراني والشيخ محمد مهدي الفتوني العاملي.
وتلمذ عليه: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي والسيد عبد الله شبر والسيد صدر الدين العاملي والشيخ أسد الله التستري الكاظمي والمولى أحمد النراقي، وغيرهم.
من مؤلفاته:
- الفذالك في شرح المدارك.
- المصابيح في الفقه.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر النجفي الشهير بصاحب الجواهر المتوفى سنة١٢٦٦هـ.
«انتهت إليه رئاسة الطائفة في منتصف القرن الثالث عشر، وصار مرجعاً للتقليد في سائر الأقطار، وأذعن له معاصروه، وفيهم من الأئمة المؤلفين، مثل الشيخ جواد ابن الشيخ تقي ملا كتاب شارح اللمعتين، والشيخ حسن بن الشيخ جعفر والشيخ محسن خضر والشيخ محسن الأعسم صاحب كشف الظلام، والشيخ خضر شلال، والشيخ مشكور الحولاوي.
ورحل إليه الطلاب من كل فج، وتخرج به كل فقهاء المذهب من بعده عرباً وفرساً، لا يكاد يحصى عدد من أخذ عنه وتخرج به، ويمكن أن يقال: إن الأئمة المجتهدين منهم يبلغون الستين عداً من عرب وفرس.
ورزق في التأليف حظاً عظيماً قلّما اتفق لسواه، واشتهرت كتبه اشتهاراً يقلُّ نظيره، وهو يدل على غزارة مادته وتبحره في الفقه، أشهرها (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام)، لم يؤلف مثله في الإسلام، حتى حكي عن بعض العلماء أنه قال: لو أراد مؤرخ زمانه أن يثبت الحوادث العجيبة في أيامه لما وجد حادثة أعجب من تصنيف هذا الكتاب، لا يكاد يعوّل المتأخرون عنه على غيره، ولا يفضلون عليه كتاباً في تمامه واستيفائه أبواب الفقه، وجمعه لأقوال العلماء من أوله إلى آخره، واحتوائه على وجوه الاستنباط والاستدلال، مع ما فيه من النظر الدقيق وجيد التحليل والتحقيق، هذا مع تجريده عن الحشو والفضول، فهذه مزايا قلّما اتفقت في كتاب متقدم أو متأخر، ويحكى عن الشيخ مرتضى الأنصاري أنه كان يقول: يكفي للمجتهد في أهبته وعدة تحصيله نسخة من (الجواهر) وأخرى من (الوسائل) مع ما قد يحتاج إليه أحياناً من النظر في كتب الأوائل.
وعليه إلى الآن معول المجتهدين والمحصلين من الإمامية في كل مكان الأعيان»: ٩/ ١٤٩.

كاشف الغطاء[١]، وصاحب مفتاح الكرامة[٢]، عن الوحيد المجدد عليه السلام.

ثالثهم: الفقيه العلامة المتبحر الشيخ جواد شارح اللمعة[٣]، عن صاحب مفتاح الكرامة[٤]، عن الوحيد[٥].

ثالثتهما: أني أروي عن الفقيه المحدث المتتبع الناقد الثاقب الناقر السيد السند الميرزا محمد باقر الخوانساري الأصفهاني[٦] صاحب كتاب (روضات الجنات) في ذكر مشاهير علماء

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) السيد محمد جواد بن محمد الحسيني العاملي المعروف بصاحب مفتاح الكرامة، المتوفى سنة ١٢٢٦هـ.

«كان عالماً فقيهاً أصولياً محققاً مدققاً، ثقة جليلاً حافظاً متبحراً قارئاً مجوداً، ماهراً في الفقه والرجال، وغيرهما، زاهداً عابداً متواضعاً تقياً ورعاً مجداً مجتهداً، متتبعاً لأقوال الفقهاء، مطلعاً على آرائهم وفتاواهم، عمدة في جميع ذلك، حافظاً متبحراً، حسن الحظ، لم ير مثله في علو الهمة، وصفاء الذات، والضبط والاتقان، والتتبع والجد في تحصيل العلم، وكان حريصاً على كتابة كل ما يسمعه من نفائس التحقيقات» - الأعيان: ٤/ ٢٨٩-.

تتلمذ على الوحيد البهبهاني والسيد صاحب الرياض والسيد بحر العلوم والشيخ جعفر الكبير والشيخ حسين نجف.

وتلمذ عليه: صاحب الجواهر، والشيخ محسن الأعسم، والسيدعلي الأمين العاملي، والأغا محمد علي الهزارجريبي والشيخ جواد ملا كتاب.

اشتهر بمؤلفه القيم (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة) الذي يعد من أوفى كتب الفقه الاستدلالية في استقصاء الأقوال.

(٣) الشيخ جواد بن الشيخ تقي بن ملا كتاب الكردي البياتي الحلواني، كان حياً سنة ١٢٦٧هـ.

أخذ عن الشيخ جعفر الكبير وابنه الشيخ موسى، وعن السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة. ويروي بالإجازة عن صاحب مفتاح الكرامة عن بحر العلوم. كان عالماً فاضلاً فقيهاً أصولياً محققاً مدققاً متبحراً في الفقه، مصنفاً محرراً، ورعاً زاهداً عابداً (الأعيان: ٤/ ٢٥٥).

من مؤلفاته:

- شرح اللمعة - إلى آخر النكاح - في عشر مجلدات، اسمه (الأنوار الغروية في شرح اللمعة الدمشقية).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) السيد الميرزا محمد باقر الخوانساري الأصفهاني المتوفى سنة ١٣١٣هـ.

اشتهر بكتابه (روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات) الذي هو من أعرف كتب التراجم.

كان من تلامذة الشيخ محمد تقي صاحب الحاشية على المعالم والسيد الشهشهاني. وصفه الشيخ القمي في (الكنى والألقاب: ٢/ ٢٢٢) بـ«السيد الفاضل الأديب الأريب، المتتبع الماهر الخبير».

الخاصة والعامة، عن العلامة الجيلاني الحاج السيد محمد باقر صاحب (مطالع الأنوار)[١]، عن كاشف الغطاء[٢] عن الوحيد[٣] عليهم السلام.

ثم إني أوصي المستجيز بالاقبال على التحصيل والاخلاد إلى التكميل، ومواظبة العبادات، والسعي في قضاء الحاجات، وأن لا ينساني من صالح الدعوات، في حياتي وبعد الممات، وأن لا يتجاوز عن الاحتياط الذي لا ينكب سالكه عن سواء الصراط.

حرره الجاني الفاني الحاج ميرزا فتح الله الغروي الشيرازي الأصفهاني الشهير بشيخ الشريعة عفى الله عن جرائمه الفظيعة، في شهر جمادى الثانية في سنة ١٣٢٢هـ.

وهذه عبارته بعينها.

وأنا أوصي جناب الميرزا أيضاً بهذه الوصية.

ونسأل الله أن ينفع المؤمنين به وبأمثاله، وأن يوفقنا الله والمؤمنين إلى فضله ونواله، إنه أرحم الراحمين، بحق محمد وآله الطاهرين.

حرر يوم ٦ شوال سنة ١٣٤٥هـ

حبيب بن قرين

وكان نقش خاتمه الذي ختم به الإجازة: (المتمسك بالثقلين حبيب بن قرين).

---

(١) السّيد محمد باقر بن محمد تقي الموسوي الشفتي الجيلاني الأصفهاني المتوفى سنة ١٢٦٠هـ اشتهر بكتابه (مطالع الأنوار المقتبسة من آثار الأئمة الأطهار)، وهو شرح على كتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي.
تتلمذ على الشيخ جعفر الكبير، وتلمذ عليه السيد محمد باقر صاحب روضات الجنات.
قال فيه الميرزا النوري في (المستدرك: ٣/ ٣٩٩): «سيد الفقهاء المدعو بحجة الإسلام السيد محمد باقر بن السيد محمد تقي الموسوي الجيلاني، المتوطن في أصبهان المتوفى سنة ١٢٦٠هـ، وقد جمع الله فيه من الخصال النفسانية من العلم والفضل والتقوى والخشية والقوة في الدين، والسخاء، والاهتمام بأمور المسلمين، والجاه العظيم، ونشر الشرائع والأحكام، وتعظيم شعائر الإسلام، واجراء الحدود الإلهية في الأنام، والهيبة في قلوب السلاطين، والحكام، ما لم يجتمع في أحد من أقرانه.
له مؤلفات حسنة تنبىء عن طول باعه، ورسائل عديدة في مطالب رجالية تظهر فيها دقة نظره وكثرة اطلاعه».

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

وفيما يلي نموذج عن الإجازة بخطه، يبدو فيها نقش خاتمه:

الإجازة الثانية:

نص اجازة الاجتهاد الثانية للوالد من الشيخ حبيب بن قرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع درجات العلماء العاملين، ومفضّل مدادهم على دماء الشهداء والمجاهدين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وأشرف الخلائق أجمعين، محمد وآله الطاهرين.

وبعد، فإن من منن الله تعالى جلّ شأنه على العباد، أن جعل العلماء الأمجاد، في سائر البلاد، منذ غاب ولي الأمر، وحجة العصر، سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، لازاحة العلة عن المكلفين، أعلاماً للدين، وأمناء مستحفظين، وعدولاً ينفون عن هذا الدين شبهات الملحدين، وتأويلات الجاهلين، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق المقصر، ومنهم يلتمس الهدى إلى الحق وعنهم ينتشر، فلم يزالوا على ذلك، ناهجين أفضل المسالك، إلى أن عادت النوبة إلى جناب الفاضل الجليل، والماجد الأثيل، الناهج مناهج العلماء الأعلام، في تنقيح مسائل الحلال والحرام، الفقيه الأصولي المجتهد مرزا محسن بن شيخ سلطان الأحسائي، لا زال مؤيداً بتأييداته الربانية، فإنه قد كرع من حياض العلوم، وأجهد نفسه في الطلب والتحصيل، وترقى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، فله - دام فضله - العمل بنظره فيما يراه من الأدلة الشرعية فيما هو شأن المجتهد.

وحيث إنهّ - دام فضله - قد استجاز مني أيضاً رواية الأخبار، تيمناً بالدخول في سلسلة رواة الأخبار عن الأئمة الأطهار، فأجزت له أن يروي عني ما أجاز لي روايته عنه بعض مشائخي وأهل إجازتي سماعاً وقراءة واجازة، من كتب الأخبار، لا سيما الأربعة

المشتهرة اشتهار الشمس في رابعة النهار: (الكافي) و(الفقيه) و(التهذيب) و(الاستبصار)، والثلاثة التي عليها بعدها المدار: (الوافي) و(الوسائل) و(البحار)، عن مشائخهم المعلومين بطرقهم المعلومة في كتب الأخبار المتصلة إلى الأئمة المعصومين الأطهار.

ومن أعلاها طريقاً أن يروي إجازةً عن إمامي الفضل والتدقيق: الشيخ محمد حسين الكاظمي(١) والشيخ لطف الله اللاريجاني الغروي(٢) - رحمهما الله تعالى -.

وغيرهما من مشايخ مشايخي عن بعض مشايخهم من يقصر عن وصفه اللسان الشيخ مرتضى الأنصاري - رحمه الله -، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر - رحمه الله -.

والشيخ مرتضى يروي عن شيخه المحقق المولى أحمد النراقي، عن والده مهدي النراقي، عن استاذ الكل، المحقق البهبهاني، عن والده محمد أكمل، عن المحدث المجلسي صاحب بحار الأنوار، عن والده المجلسي الأول، عن الشيخ البهائي، عن والده حسين بن عبد الصمد العاملي، عن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني(٣).

ويروي الشيخ محمد حسن عن شيخه كاشف الغطاء، وعن شيخه بحر العلوم، عن شيخه المحقق البهبهاني، بالطريق المذكور، عن الشيخ البهائي.

ويروي بحر العلوم أيضاً عن شيخه سيد المحققين بالطرق المعروفة لمشايخهم في كتب الرجال.

وطرق الشيخ الشهيد الثاني إلى الأصحاب كثيرة متشعبة.

أعلاها: أنه يروي عن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي(٤)، عن الشيخ شمس الدين

---

(١) تقدمت ترجمته في هوامش الإجازة السابقة.

(٢) الشيخ لطف الله الأسكي اللاريجاني المازندراني المتوفى سنة ١٣١٣هـ.
وصفه السيد الأصفهاني في كتابه (أحسن الوديعة ٢/ ١٩٧) بأنه من أكابر علماء عصره، وأعاظم الفقهاء في دهره.
من أشهر تلامذته: السيد أبو تراب الخوانساري.
من مؤلفاته:
- إيضاح المضامين في حل عبارات القوانين.
- شرح قواعد الأحكام للعلامة الحلي. وغيرها.

(٣) سبقت تراجم أعلام هذه السلسلة الشريفة في هوامش الإجازة السابقة.

(٤) الشيخ علي بن عبد العالي الميسي المتوفى سنة ٩٣٨هـ.
قال الحر العاملي في (الآمل): «كان فاضلاً عالماً متبحراً محققاً مدققاً، جامعاً، كاملاً، ثقةً، زاهداً عابداً ورعاً، جليل القدر، عظيم الشأن، فريداً في عصره. روى عنه شيخنا الجليل الشهيد الثاني بغير واسطة» - الأعيان: ٨/ ٢٦٢.

محمد بن داود الشهير بابن المؤذن[١]، عن الشيخ ضياء الدين علي[٢] بن الشيخ الجليل الشهيد الأول محمد بن مكي (عن أبيه)[٣]، عن فخر المحققين محمد بن الشيخ العلامة الحسن بن المطّهر الحلي[٤]، . . . .

---

(١) الشيخ محمد بن محمد بن داود المؤذن العاملي الجزيني ابن عم الشهيد الأول.
قال الحر في (أمل الآمل): «كان عالماً فاضلاً جليلاً نبيلاً شاعراً.
يروي عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد محمد بن مكي العاملي عن أبيه» - الأعيان: ٩/ ٤٠٩.

(٢) الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي الجزيني.
يروي عنه ابن المؤذن، ويروي هو عن أبيه الشهيد الأول.

(٣) زيادة اقتضاها السياق.
والشهيد هو: الشيخ محمد بن مكي العاملي النبطي الجزيني المستشهد سنة ٧٨٦هـ.
تتلمذ على فخر المحققين الحلي، وله الرواية بالإجازة عنه، ويروي عنه جماعة، منهم: ابنه الشيخ ضياء الدين علي، وابنته أم الحسن فاطمة، وزوجته أم علي الفاضلة الفقيهة، والفاضل المقداد السيوري وابن نجده وغيرهم.
قال فيه الميرزا النوري في (المستدرك: ٣/ ٤٣٧): «تاج الشريعة وفخر الشيعة، شمس الملة والدين. . . أفقه الفقهاء عند جماعة من الأساتيذ، جامع فنون الفضائل، وحاوي صنوف المعالي، وصاحب النفس الزكية القدسية القوية» - انظر: مقدمة البحار للرباني الشيرازي ١/ ١١٩.
من آثاره العلمية:
- الذكرى.
- القواعد.
- الألفية.
- نكت الارشاد.
- الدروس.
- البيان.
- النفلية.
- اللمعة. وغيرها.

(٤) الشيخ أبو طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المتوفى سنة ٧٧١هـ المعروف بفخر المحققين.
«كان عالماً محققاً نقاداً مجتهداً فقيهاً، من وجوه هذه الطائفة وثقاتها، صاحب التصانيف الرائعة، والتحقيقات الشافية، أثنى عليه علماؤنا في تراجمهم واجازاتهم، وبالغوا في المدح عليه، وأطروه بكل جميل وتبجيل» - مقدمة البحار: ١/ ٢٢٢-.
يروي عن والده العلامة الحلي، وعن الشيخ رضي الدين علي بن يوسف، ويروي عنه غير واحد من العلماء، منهم: الشهيد الأول وابن المتوج البحراني والسيد علي بن عبد الكريم النيلي.
اشتهر بمؤلفه (الإيضاح) في شرح قواعد أبيه، إلى مؤلفات أخرى لا تقلُّ في قيمتها العلمية عنه.

(عن أبيه)[١] عن شيخه الإمام المحقق جعفر بن سعيد[٢]، عن السيد السعيد شمس الدين فخار بن معد الموسوي[٣]، . . . .

---

(١) زيادة اقتضاها السياق.
والعلامة الحلي هو: الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ.
«قال معاصره ابن داود في رجاله: شيخ الطائفة وعلامة وقته، صاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول.
وقال الشهيد الأول في إجازته لابن الخازن: الإمام الأعظم، الحجة، أفضل المجتهدين، جمال الدين» - مقدمة البحار ١/ ٢٠٣-.
وهو أشهر من أن يعرّف، وأعلى من أن يوصف، كما أنه أوفى من ألّف في الفكر الإمامي في مختلف حقول المعرفة.
ومن آثاره العلمية:
- منتهى المطلب في الفقه الإسلامي المقارن.
- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة.
- قواعد الأحكام في الفقه.
- شرح التجريد في علم الكلام.
- الجوهر النضيد في المنطق، وغيرها.

(٢) الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي المعروف بالمحقق وبالمحقق الحلي والمحقق الأول، المتوفى سنة ٦٧٦هـ.
قال فيه ابن أخته العلامة الحلي في إجازته لأبناء زهرة الحلبيين: «كان أفضل أهل عصره في الفقه»، وقال الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني: «لو ترك التقييد بأهل زمانه كان أصوب، إذ لا أرى في فقهائنا مثله» - الأعيان: ٤/ ٨٩-.
من مشايخه: ابن نما الحلي والسيد فخار بن معد الموسوي ووالده الحسن بن يحيى وغيرهم. ومن تلامذته: ابن أخته العلامة الحلي والحسن بن داود صاحب الرجال، والسيدان ابنا طاووس عبد الكريم بن أحمد ومحمد بن علي، وفخر المحققين.
له مؤلفات كثيرة، من أشهرها:
- شرائع الإسلام.
- المختصر النافع.
- المعتبر في شرح المختصر. وغيرها.

(٣) السيد فخار بن معد بن فخار بن معد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام المتوفى سنة ٦٠٣هـ.
«كان من عظماء وقته في الدين والدنيا، ولم يخلُ منه سند من أسانيد علمائنا، قرأ على عميد الرؤساء اللغوي وابن إدريس صاحب السرائر وشاذان بن جبرئيل القمي. له كتب منها كتاب:
- الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب» - الأعيان: ٨/ ٣٩٣-.

عن الشيخ شاذان بن جبرئيل القمي(١)، عن الشيخ العماد محمد بن أبي القاسم الطبري(٢)، عن الشيخ الجليل أبي علي ابن الشيخ الطوسي(٣)، عن أبيه(٤)، . . . .

(١) الشيخ أبو الفضل شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل القمي كان حياً سنة ٥٨٤هـ.
«في (أمل الآمل): الشيخ الجليل الثقة أبو الفضل شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل القمي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً، عظيم الشأن، جليل القدر».
له من المؤلفات:
«ازاحة العلة في معرفة القبلة، وغيره» - الأعيان: ٧/ ٣٢٧-.

(٢) قال الشيخ الرباني في مقدمته للبحار: ١/ ١٧٧: «الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم علي بن محمد بن علي بن رستم بن يزدبان الطبري الآملكي الكجي صاحب كتاب (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) العالم الجليل المعمر الثقة، الواسع الرواية، من علماء الإمامية في القرن السادس وفقهائهم ومحدثيهم.
أورده ابن شهر اشوب في كتاب (المعالم) ص١٠٦ وقال: له (البشارات).
وترجمه الشيخ منتجب الدين في (الفهرست) بقوله الشيخ الإمام عماد الدين، فقيه ثقة. قرأ على الشيخ أبي علي بن الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمهم الله».

(٣) الشيخ أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي الملقب بالمفيد الثاني، من علماء الإمامية في القرن الخامس الهجري.
قال فيه القمي في (الكنى والالقاب ٣/ ١٩٩): «الشيخ الأجل العالم الفاضل الكامل الفقيه المحدث الثقة»، «وقال التستري في مقدمة (المقابس): الشيخ المحدث الفقيه الفاضل الوجيه النبيه المعتمد المؤتمن مفيد الدين أبو علي الحسن».
له كتاب:
- (شرح النهاية) لوالده المعنون بـ(المرشد إلى سبيل المتعبد).
- الأمالي، وغيرهما.
وإليه ينتهي أكثر الإجازات.

(٤) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بالشيخ والملقب بشيخ الطائفة المتوفى سنة ٤٦٠هـ.
قال فيه العلامة الحلي في كتاب (الخلاصة): «شيخ الإمامية ووجههم - قدس الله روحه - رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة صدوق عين، عارف بالاخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب، جميع الفضائل تنسب إليه، صنف في كل فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع، الجامع لكمالات النفس في العلم والعمل» - مقدمة البحار: ١/ ٥٨-.
من مؤلفاته:
- التهذيب والاستبصار في الحديث.
- النهاية في الفقه. =

عن المفيد[١]، . . . عن ابن قولويه[٢]، . . . .

= - المصباح في الدعاء.
- التبيان في تفسير القرآن.
- المبسوط والخلاف.
- الفهرست والرجال في الرواة.
- العدة في أصول الفقه.
- تلخيص الشافي في الإمامة. وغيرها

(١) الشيخ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي العكبري المعروف بابن المعلم والمشتهر بالمفيد، المتوفي سنة ٤١٣هـ.
«قد أجمع الموافق والمخالف على فضله وثقافته وتبرزه في العلوم العقلية والنقلية والحديث والرجال والأدب وقوة العارضة في الظهور على الخصم، يعرب عن ذلك ما في المعاجم عن عبارات ذهبية تدل على ذلك، قال اليافعي في (مرآة الجنان) - في وقائع سنة ٤١٣-: (وفيها توفي عالم الشيعة وإمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلم، البارع في الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية، قال ابن طي: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وقال غيره: كان عضد الدولة، ربما زار الشيخ المفيد، وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر، عاش ستاً وسبعين سنة، وله أكثر من مئتي مصنف، وكان يوم وفاته مشهوداً، وشيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة، وأراح الله منه، وكان موته في رمضان).
ويكفيه فخراً وتكريماً ما جاء في توقيعات إمام العصر(ع)، ففي أحدها: «من عبد الله المرابط في سبيله، إلى ملهم الحق ودليله، بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليك أيها العبد الصالح الناصر للحق الداعي إليه بكلمة الصدق» - البحار: المقدمة ١/ ١٧ - ٧٤.
من مؤلفاته:
- الإرشاد في تاريخ الأئمة .
- إيمان أبي طالب.
- الإفصاح في الإمامة.
- المقنعة في الفقه.
- شرح عقائد الصدوق.
- أصول الفقه. وغيرها.

(٢) الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي المتوفى سنة ٣٦٧هـ.
وصفه ابن طاووس بـ«الشيخ الصدوق المتفق على أمانته»، وقال النجاشي في رجاله: «كان أبو القاسم من ثقات أصحابنا وأجلائهم في الحديث والفقه» - البحار: المقدمة: ١/ ٨٤.
اشتهر بكتابه (كامل الزيارات)، وله تصانيف أخرى على عدد أبواب الفقه.

عن الكليني[١].

ويروي المفيد عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه[٢].

والطريق إلى بقية الكتب إنما يعرف من فهارسة أصحابنا - رضوان الله عليهم -.

والمأمول من جنابه - أيده الله تعالى - بعد استعمال الورع، والشدة في التأمل والتدبر مراعاة الاحتياط، والشرائط المعتبرة عن مشايخ هذا الفن.

وأن لا يخليني من دعائه في خلواته، ولمشائخنا حماة الدين المذكورين، وغيرهم، حشرنا الله وإيَّاهم مع عترة المختار الأئمة الأطهار.

العبد الحقير الأثيم الفاني المحتاج إلى رحمة ربه الغني الباقي حبيب بن الشيخ صالح بن الشيخ علي القريني وفقه الله لمراضيه.

حرر ذلك في يوم التاسع عشر من شهر شعبان المعظم أحد شهور سنة الخامسة والخمسين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة النبي المكرم ﷺ.

خادم شريعة سيد الثقلين حبيب بن قرين

---

(١) الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨هـ.
قال فيه النجاشي: «شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم، صنف (الكافي) الكبير في عشرين سنة» - الأعيان: ١٠/ ٩٩- اشتهر بمؤلفه القيم في حديث أهل البيت الموسوم بـ(الكافي)، وله أيضاً كتاب (الرد على القرامطة) وكتاب - (الرجال) وكتاب (ما قيل في الأئمة من الشعر).

(٢) الشيخ أبو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشتهر بالصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ.
أثنى عليه الشيخ الطوسي في رجاله وفهرسته «ووصفه بأنه كان حافظاً للأخبار، بصيراً بالرجال، ناقلاً للآثار، لم يُرَ في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه» - مقدمة البحار: ١/ ٣٥-.
اشتهر بمؤلفه في الحديث المسمى بـ«من لا يحضره الفقيه» وقد يختصر اسمه فيقال (الفقيه).
وله أيضاً:
- التوحيد.
- عيوان أخبار الرضا.
- الخصال.
- الهداية.
- المقنع، وغيرها.

ثقافته:

من المفيد - بدءاً - أن نتعرف الوسط الثقافي للنجف الأشرف يوم أمَّها للدراسة والنهل من معين علوم آل محمد عليهم السلام، وذلك لما للجو الثقافي من التأثير في تكوين الشخصية العلمية.

عصر الكاظمين:

دخل - طيب الله ثراه - النجف في عصر الكاظمين (السيد كاظم اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٧هـ، والشيخ كاظم الخراساني المتوفى سنة ١٣٢٩هـ، وتسمية هذا العصر بـ(عصر الكاظمين) للاعتياد من ناحية تاريخية، عندما يؤرخ لثقافة المراكز العلمية الدينية أن ينسب العصر للعَلَم البارز من العلماء فيه.

ولأن العلمين الكاظمين كانا زعيمي الفتيا في وقتهما (أي مرجعي التقليد)، وكانا زعيمي التدريس الأعلى (أعني على رأس أساتذة الدراسات العليا)، تأتي نسبة العصر إليهما بحق.

كانا - رضي الله عنهما - فرسي رهان في المنافسة على خدمة الحوزة العلمية، ومن ثم خدمة الدين عن طريق خدمة علوم أهل البيت عليهم السلام التي تبنت النجف تعليمها ونشرها، فتولى كل واحد منهما أحد مجالي التخصص فيها (وهما الفقه وأصوله) فأصّل فيه وعمّق وركّز ووسّع، فكان أن برز السيد في تدريس الفقه، وبرز الشيخ في تدريس الأصول، وصار من هذا أن أبرز السيد كتابه الفتوائي (العروة الوثقى) فجمع فيه من الفروع الفقهية ما لم يجمعه متن فقهي قبله، ونظمه تنظيماً يسّر الرجوع إليه دونما معاناة، فأصبح - لهذا - مدار التعليق والشرح والتدريس.

فأوقف - إلى حدٍ - الاعتماد في المجالات المذكورة على المتون التي سبقته، أمثال: (نجاة العباد) لصاحب الجواهر و(التبصرة) للعلامة الحلي و(الشرائع) للمحقق الحلي و(النهاية) للشيخ الطوسي.

حتى صار جل مراجع التقليد بعده يعلق عليه فتوائياً بما يوافق رأيه ويخالف رأي مؤلفه في مواضع الاختلاف والخلاف، وجل أساتذة البحث الخارج (الدراسات الفقهية العليا) يعتمده الأساس في الشرح والبحث.

ولا يزال حتى الآن يحافظ على هذا المستوى من الرجوع إليه، والاعتماد عليه في الحوزة العلمية النجفية.

ولمعرفة ما ألف عليه من شروح استدلالية، ومن حواشٍ وتعليقات فتوائية مطبوعة يرجع إلى الجزء الأول من كتابنا (دروس في فقه الإمامية).

وصار منه أيضاً أن أبرز الشيخ كتابه في أصول الفقه (كفاية الأصول)، وامتاز على ما تقدَّمه من كتب أصولية، وتميز منها، بالاختصار والتبويب وإضافة ما جدَّ من نظريات ونظرات في هذا العلم. فأصبح كرصيفه (العروة) مدار التعليق والشرح والتدريس فبلغت تعليقاته والشروح عليه أكثر من أربعين كتاباً.

وكما كان منبر درس كل واحد من هذين العلمين مجمعَ وملتقى طلاب الفقه وأصوله، وفيهم من المجتهدين العدد الوفير[١]، كانت زعامتهما المرجعية منتهى ما وصلت إليه الزعامة الإمامية حيث عمَّت جميع الشيعة الإمامية في مختلف بلدان العالم.

هذا كله وأمثاله، مما ساعد على أن ينبغ العديد من الأعلام في مختلف حقول المعرفة الدينية، وبخاصة في مجالي الفقه وأصوله، مما كوّن الجو الثقافي الفاعل الذي يرسل هيمنته على كل من يعيش تحت ظله وفي وسطه العلمي.

وقد امتد عصرهما حوالي نصف قرن، من سنة ١٣٠٠هـ إلى سنة ١٣٥٠هـ تقريباً.

وكان من أعلامه:

- الميرزا حبيب الله الرشتي المتوفى سنة ١٣١٢هـ.
- الشيخ محمد الشربياني الموفى سينة ١٣٢٢هـ.
- آغا رضا الهمداني المتوفى سنة ١٣٢٢هـ.
- الشيخ محمد طه نجف المتوفى سنة ١٣٢٣هـ.
- الشيخ محمود ذهب المتوفى سنة ١٣٢٤هـ.
- الميرزا حسين الخليلي المتوفى سنة ١٣٢٦هـ.
- الشيخ عبد الله المازندراني المتوفى سنة ١٣٣٠هـ.
- الشيخ علي رفيش المتوفى سنة ١٣٣٤هـ.

(١) ذكر الشيخ آغا بزرك في مقدمته لكتاب (مستدرك الوسائل) أن عدد الذين كانوا يحضرون درس الشيخ الخراساني أكثر من خمسمائة بين مجتهد أو قريب من الإجتهاد.

- الشيخ علي الخاقاني المتوفى سنة ١٣٣٤هـ.
- شيخ الشريعة الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٣٩هـ.
- الشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري المتوفى سنة ١٣٤٠هـ.
- الشيخ مهدي المازندراني المتوفى سنة ١٣٤٢هـ.
- الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٤٤هـ.
- الشيخ جعفر آل الشيخ راضي المتوفى سنة ١٣٤٤هـ.
- السيد أبو تراب الخوانساري المتوفى سنة ١٣٤٦هـ.
- الشيخ عبد الله المامقاني المتوفى سنة ١٣٥١هـ.
- الشيخ محمد جواد البلاغي المتوفى سنة ١٣٥٢هـ. وغيرهم(١).

التقى المترجم هذا الجو الثقافي الرائع أول ما دخل النجف الأشرف والذي يعدُّ - بحق - من عصور النجف الزاهرة، والحافلة بالعلم والعلماء، فكان له تأثيره في نفسه، مما حفزه وبزخم أن يذهب مجداً في تحصيله، مخلصاً في طلبه.

ويرجع هذا إلى أن هكذا أجواء يكون لها التأثير البعيد والعميق في النفوس الموهوبة الراغبة في التعلم والمتطلعة إلى أن تكون من الشخصيات العلمية في حدود ما رسمت وما كتبه الله تعالى لها.

غير أنه في أول أيام وصوله إلى النجف كان يواصل دراسة مقررات السطوح ليكملها تمهيداً لحضور البحث الخارج.

وبعد أن أكمل قراءة مقررات مرحلة السطوح الدراسية، حضر في هذا العصر للدراسة العليا (البحث الخارج) على الأساتذة التالية أسماؤهم:

- السيد محمد كاظم اليزدي (ت١٣٣٧هـ).
- الشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري (ت١٣٤٠هـ).
- الشيخ مهدي المازندراني (ت١٣٤٢).
- الشيخ جعفر آل الشيخ راضي (ت١٣٤٤هـ).
- السيد أبو تراب الخوانساري (ت١٣٤٦هـ).

وكان - رحمه الله تعالى - مقرّباً عند أستاذه آل صاحب الجواهر، فقد اعتمد عليه هو

(١) انظر: دليل النجف الأشرف: ٤٨ - ٥٠.

وزميله في الدرس الشيخ محمد رضا الغراوي[١] في المساعدة على إعداد حاشيته على العروة الوثقى وفق مباني المصنف الاجتهادية (منهجه في الاستدلال)، وتحت إشرافه وبمراجعته.

وكذلك كان مقرَّباً عند استاذه آل الشيخ راضي، مما وثّق الصلة بينه وبين أسرته آل الشيخ راضي، وهم من البيوتات العلمية النجفية الرفيعة.

فكان - قدس سره - ممن يحضرون مجلس الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي[٢].

وقد تبرع - رحمه الله تعالى - بفرش المجلس بالحصر الأسل[٣] من النوع الذي يصنع في الأحساء، في القرية المعروفة بصناعته المسماة بـ(القرن)، وهو من الفرش الغالي الثمن.

ومن الحوادث في هذا العصر التي ذكرها لنا ما يلي:

قال: كان من عادة العلماء وطلاب العلم وأهالي النجف الأشرف الاجتماع ليلة عيد الفطر في مدرسة السيد كاظم اليزدي، لمعرفة ثبوت الهلال.

---

(١) الشيخ محمد رضا بن قاسم بن محمد بن أحمد بن عيسى الغراوي النجفي المولود سنة ١٣٠٣هـ والمتوفى سنة ١٣٨١هـ.
من علماء النجف وأدبائها الكتّاب الشعراء، له عدة مؤلفات، طبع منها:
- البضاعة المزجاة (في الأخلاق والمواعظ والسير) في ثلاثة أجزاء.
- سعادة الأنام.
- نماذج من شعره، نشرها علي الخاقاني في (شعراء الغري) - ٨/ ٤٠٩ - ٤١٧.

(٢) قال السيد الأمين في ترجمته (الأعيان: ٨/ ١٢): «ولد في بيته العلمي الرفيع بالنجف، فتلقى معارفه في معاهدها، فكان من علمائها وأعيانها، وقاد المجاهدين في جبهة لواء المنتفك، وأبلى فيها بلاءاً حسناً.
توفي سنة ١٣٥٦هـ عن عمر لم يتجاوز الستين».
ويسمي النجفيون المجلس: (البراني)، والبراني - في اللغة - خلاف (الجواني) نسبة إلى البر والجو، أي خارج البيت وداخله، على غير قياس، ومنه حديث سلمان: (من أصلح جوانبه أصلح الله برانيه) - انظر: محيط المحيط: مادة برر.
ويسمون الجواني: (الدخلاني) نسبة إلى الداخل، على غير قياس أيضاً، فتسمع أحدهم يقول: (أنا ذاهب إلى براني فلان) أي إلى مجلس فلان.

(٣) الأسل Juncus acutus: نبات من الفصيلة الأسلية Juncaceae له أغصان كثيرة دقاق بلا أوراق، سوقه خضراء، ذات أطراف حادة غير متفرعة، ولا خشب لها، ينبت في الماء، أو في الأرض الرطبة بجواره، وتصنع منه الحصر والغرابيل.
ويسمى أيضاً: الغَرَز.
ومن أصنافه: الغضور، وهو المعروف في مصر بالسمار. - المعجم الكبير -: مادة أسل.

وكان من العلماء الذين حضروا مجلسه في سنة من السنوات التي كان يجلس فيها لاستماع شهادة شهود الرؤية السيد ناصر الأحسائي، وكان معه جمع من الطلبة الاحسائيين - وكنت من بينهم -.

وبعد استماع السيد اليزدي لشهادة الشهود أعلن ثبوت الهلال لديه فتوقف السيد ناصر الأحسائي في الأمر لأنه لا يرى حجية الثبوت في حق الآخرين، فطلب مني أن أدنو من السيد اليزدي وأطلب منه أن يحكم بالهلال، فاقتربت منه وطلبته أن يحكم بالهلال لأن من العلماء الحاضرين في هذا المجلس من لا يرى حجية الثبوت في حق الغير، فحكم - أعلى الله مقامه - بالعيد.

عصر النائيني والأصفهاني:

وبعد عصر الكاظمين كان عصر الميرزا النائيني والسيد الأصفهاني - اللذين تقدمت ترجمتهما في أساتذته - حيث توحدت فيهما زعامة الحوزة ورئاسة الطائفة، بعد تفرقها بعد وفاة السيد اليزدي.

وتميز عصرهما بنضج علم أصول الفقه من حيث المنهج على أيدي أَساتذة المدارس الأصولية الثلاث المتعاصرة، وهي:

١ - مدرسة الشيخ محمد حسين الكمباني الأصفهاني (ت١٣٦١هـ).

وعرفت بطابعها الفلسفي، ويرجع هذا إلى أن الشيخ الأصفهاني كان بالإضافة إلى تخصُّصه في الفقه وأصوله حكيماً متألهاً، هيمنت الفلسفة الآلهية بأَبعادها الثقافية المعروفة على آفاقه الذهنية ومنطلقات تفكيره.

٢ - مدرسة الشيخ ضياء الدين العراقي (ت١٣٦١هـ).

وعرفت بطابعها العلمي الذي نأى بها عن اخضاع الظواهر العلمية لمبادىء الفلسفة ونظرياتها، وذلك للفرق بين العلم والفلسفة، وأصول الفقه - كما هو واضح - علم لا فلسفة.

ومن هنا عُدَّ الشيخ العراقي رأس هذه المدرسة - وبحق - المعلِّم الأولَ لعلم الأصول الإمامي.

وقد خرّج منبره أعلام هذا الفن في هذا العصر.

٣ - مدرسة الميرزا محمد حسين النائيني (ت١٣٥٥هـ).

وعرفت بطابعها الجامع بين الطابعين الفلسفي والعلمي، والسائر بين بين.

وبمقتضى نضج المنهج طَرَحَتْ هذه المدارس الثلاث المتعاصرة، كثيراً من الفكر الأصولي القديم، وأضافت كثيراً من الفكر الأصولي الحديث.

وقد امتدت مدة هذا العصر ربع قرن تقريباً، من سنة ١٣٥٠هـ إلى سنة ١٣٧٥هـ، عند استتباب رئاسة السيد الحكيم.

وكان من أبرز أعلام هذا العصر - بالإضافة إلى الأربعة المذكورين:

- الشيخ محمد رضا آل ياسين (ت١٣٧٠هـ).
- الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).
- السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي (ت١٣٨٢هـ).
- الشيخ عبد الكريم الجزائري (ت١٣٨٢هـ). وغيرهم.

وقد حضر سماحة الوالد في هذا العصر استكمالًا للدرس الأعلى، وامتداداً لحضوره السابق في العصر السابق:

- بحث الميرزا النائيني في أصول الفقه.

ولعل اختيار الوالد له من بين زميليه الشيخين العراقي والأصفهاني، يرجع إلى أنه - أعني والدي - عربي حكيم، والعروبة إلى العلم أقرب وأميل منها إلى الفلسفة - كما هو تاريخ رجالاتها العرب -، والحكمة فلسفة تجرُّ صاحبها إليها جراً، وبطبيعة الحال أن من يقع بين هاتين القوتين يكون بين بين، ويهوى الجمع بين الضرتين.

- بحث السيد الأصفهاني في الفقه.
- بحث الشيخ محمد رضا آل ياسين في الفقه.

وقد عرف الشيخ آل ياسين بأنه ذو ذوق عربي عرفي غير صناعي، وعرف بأنه لم يقرأ الكفاية في درس السطح الأصولي، ولعل هذا يرجع إلى ذاك.

وربما كان هذا هو سر اختيار الوالد له، وملازمة درسه، وحضور مجلسه خارج الدرس، حتى كانت العلاقة بينهما من حيث الوثاقة أكثر من علاقة درس.

- الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في الحكمة وعلم الكلام.

نتائج:

ثم وبعد أن أستوفى بغيته من الدرس، وحقَّق هدفه من الالتحاق بالحوزة العلمية النجفية، وهو بلوغة درجة الاجتهاد في الفقه، كر عائداً إلى وطنه الأحساء.

ومن معرفتنا لمنهج الدراسة الدينية في النجف تعرف مجالات ثقافته، فقد كان - كما رأينا - متخصصاً بالفقه الإمامي إلى درجة الاجتهاد.

وكذلك الشأن في أصول الفقه لأنه منهج علم الفقه، فلا بد لمن يجتهد في الفقه من أن يجتهد فيه لينطلق في استخراج الأحكام الشرعية من مصادرها وفق مبانيه الأصولية، فالاجتهاد بالفقه يعني - ضمناً - الاجتهاد بأصول الفقه.

وكان طابع فقاهته عربياً يؤكد على فهم النصّ من خلال فهمه للغة العربية، وهو ابن جزيرتها وبواديها وبيئاتها الفصحى، ويعتمد الذوق العرفي في معرفة الموضوع وملابسات الحكم، فلم يكن الفقيه الصناعي - كما يعبرون في لغة الحوزة -، وإنما كان فقيهاً عربياً عرفياً.

يضاف إليه:

أنه كان العالم المتضلع فيما درسه من مقدمات كالصرف والنحو والبلاغة والمنطق، والمتقن لمشكلاتها، والمستحضر لحلولها.

كشف عن هذا طريقة تدريسه لها مع طلابه، وطريقة طرحها، واثارة النقاش فيها، وادارة الحوار حولها في مجالس العلماء ومحاضر الطلبة، الظاهرة المميزة التي عرف بها - كما سأبينها فيما بعد إن شاء الله تعالى -.

وكان متأثراً إلى حد بعيد في مادة أصول الفقه ومنهجه بأُستاذه الميرزا النائيني، مع ميلٍ يسير إلى بعض آراء الشيخ الكمباني الأصفهاني.

ومن الطبيعي - منهجياً - أن المتخصص في الفقه يكون ذا ثقافة عالية في علمي الحديث والرجال، وهذا ما عرفناه منه في معالجاته للمسائل الفقهية، ومناقشاتها، وابداء الملاحظات عليها، في مجالسه المختلفة والمتعددة.

وكان إلى جانب فقاهته متخصصاً بالحكمة الإلهية (الفلسفة الإسلامية)، وعلم الكلام، متأصلًا في فهم نظرياتهما، متعمقاً في سبر أغوارها.

أبان عن هذا مناقشاته الفكرية، وحواراته التي كانت تدور بينه وبين زملائه وأقرانه، وقد حضرت غير قليل منها، واستمعت لما كان يدور فيها، وبخاصة مجالسه:

- مع السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي في النجف الأشرف، في براني الخطيب السيد حسن القبانجي صهر السيد المذكور.

- ومع الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي في برانيه الخاص في النجف الأشرف أيضاً، عندما كان الوالد يقدم إليها من البصرة للزيارة وتجديد العهد بها.

- ومع الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني في منزلنا بالبصرة، وفي منزله بالمحمرة.

وكل واحد من هؤلاء الثلاثة كان علماً من أعلام علم الكلام والحكمة الإلهيّة.

وقد سمعت منهم - قدست أسرارهم - يشهدون له بالأصالة والعمق فيهما.

وقد قرأنا - فيما مر - أنه تلقى الحكمة الإلهية من الشيخ آل كاشف الغطاء بدرس خاص به، ومن بحث الشيخ المازندراني.

وقد ظهر لي أنه متأثر في الحكمة بفلسفة صدر المتألهين الشيرازي صاحب الأسفار الأربعة.

أما ثقافته العامة فكانت تتمثَّل - في الغالب - في إلمامه بتاريخ السيرة النبوية وسير الأئمة الاثني عشر، إلى قضايا تاريخية عامة أخرى غير محدودة.

وتتمثل أيضاً في التفسير، فقد قرأ كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) للطبرسي كله قراءة تدبر وتمعن، فهضمه وتمثله، ولم يفارق مراجعته، حتى كفَّ بصره في أواخر عمره الشريف.

وكان يتذوق النصوص الأدبية، شعرية ونثرية، ويجيد قراءتها برواء وصفاء، إلّا أنه لا يقوى على نظم الشعر.

أما كتابة النثر الفني فتأتي منه في حدود ضيقة، ويرجع هذا إلى انصرافه وتفرّغه الكامل للعلم، وتحقيق بغيته من التخصص بالفقه وأصوله والحكمة الإلهية.

وربما رجع هذا إلى العرف السائد في الأوساط الدينية، والذي يمثله قول الإمام الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنتُ اليومَ أشعرَ من لبيد

ويمكننا حصر روافد ثقافته في الأمور التالية:

١ - الدراسة:

وقد مر بيانها تفصيلًا.

٢ - المجالس العلمية.

وهي على نوعين:

أ - المجالس التي كانت تعقد بشكل دوري في بيوت العلماء، سواء في النجف أم في غيرها.

فقلما تخلو هذه المجالس من طرح مسألة علمية أو قضية ثقافية، وإثارة البحث فيها وحولها.

وأمثال هذه الاثارات العلمية تفيد تبادل الآراء والأفكار بين الحاضرين والمشاركين في الحوار والبحث.

ومن هذه المجالس التي كان يرتادها في النجف الأشرف:

- مجلس الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي، ويعقد يومياً.
- مجلس السيد محمد سعيد الحكيم، ويعقد صباح كل يوم.
- مجلس الشيخ راضي نصار، وكان يعقد ليلة الخميس من كل أسبوع لقراءة التعزية الحسينية.

ب - المجالس التي هي لقاءات عفوية أو مناسبات، كالتي أشرت إليها من لقاءاته مع السيد التبريزي والشيخ آل راضي والشيخ الخاقاني.

وكذلك كانت له لقاءات مطوَّلة ومتكررة مع الشيخ حبيب آل قرين في مقر اقامته بقرية (گردلان) من ناحية شط العرب بالبصرة.

ولقاءات أخرى بالبصرة مع الشيخ مهدي الحجار(١) في مقر إقامته بالمعقل، أو في مقر إقامة الوالد بقرية (صبخة العرب)، وكانت تتسم هذه اللقاءات - في الغالب - بالطابع الأدبي لما عرف به الشيخ الحجار من هواية أدبية وتعهدٍ مستمر لقضية الأدب والأدباء.

ولقاءات سنوية كانت له مع السيد محمد العلي(٢)، وذلك عندما كان الوالد يمر

---

(١) الشيخ مهدي بن داود بن سلمان الحجار المتوفى سنة ١٣٥٨هـ.
«كان جده سلمان وهابياً ينتمي إلى فخذ الشيخان من عشيرة الجبور العراقية الساكنة في ناحية القاسم وفي الاسكندرية، وكان أجداده ممن سكن الاسكندرية، ثم انتقل سلمان إلى الكوفة سنة ١٣١٨هـ وعمل هناك فلاحاً، وفي هذه الفترة انتقل إلى المذهب الشيعي.
وكان (أبوه) داود أمياً يشتغل باستخراج الأحجار من أنقاض الحيرة القديمة، وبيعها في الكوفة، ومن هنا لقب بالحجار» - الأعيان: ١٠/ ١٤٧-.
وكان من أعلام النجف في الأدب، ومن أبرز رواد النهضة الأدبية الحديثة فيها، أشار بعضهم إلى نشأته الأدبية بقوله: «بدأت قريحته تتفتح عن أشعاره الأولى ولما يبلغ الحلم واستهوته النوادي الأدبية والحفلات العلمية والشعرية في النجف الأشرف، ويمكننا أن نعتبر تلك النوادي مدرسته الأولى، وشاعت جوانب ثقافته فأخذ يشترك في مطارحات الشعراء وأحاديث الأدباء، وقد لمع نجمه وأخصبت شاعريته».
وقال فيه الخاقاني في (شعراء الغري): «عالم فقيه أديب شاعر، أصولي ضليع وهو بحق مكوّن جيل خاص».

(٢) السيد محمد بن حسين العلي من آل السيد سلمان المتوفى سنة ١٣٨٨هـ.
كان فقيهاً مجتهداً، ووكيلاً دينياً مطلقاً. شغل منصب القضاء الجعفري في الأحساء بعد أبيه.
تتلمذ في النجف على الميرزا النائيني والسيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ محمد رضا آل ياسين، وأجيز منه بالاجتهاد.
انظر: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مادة الأحساء.

بالأحساء وهو في طريقه إلى حج بيت الله الحرام، يبدأ زيارته الأحساء بزيارة السيد المذكور في مقر إقامته (المبرز)، ثم يصحبه معه إلى قرية الحوطة، فيمكث معه مدَّة إقامته فيها وفي قرى العمران، وفيها تدور بينهما المدارسة والمناقشة لكثير من المسائل العلمية فقهية وأصولية وغيرها.

وغيرها من لقاءات كثيرة لا يأتي عليها في هذه العجالة حصر.

٣ - المطالعة:

كان - رحمه الله تعالى - ملازماً للقراءة والمراجعة والاستذكار.

كان في كل يوم بعد أن يفرغ من صلاة الصبح وتعقيباتها، وتناول طعام الإفطار، يتناول كتاباً معيناً من مكتبته الخاصة، قد أعده للمراجعة أو المطالعة، فيقرأ فيه حتى يقترب وقت الظهر.

واستمر على هذا حتى بعد أن كفّ بصره وبقي له منه بصيص، فقد كان يستعين مع النظارة الطبية بالمكبرة، وكل هذا لئلا يفارق القراءة، وينقطع عن صحبة الكتاب. (انظر الصورة التالية)



وعلمك من منهل للنبي ... وصولًا إلى آله موردا
خُلقتَ له أنت من آيةٍ ... ومجتهد رائد مهتدى
جهادك في العلم ما شابه ... فتورٌ ولا عائق أبدا
قهرتَ الضنى فالونى فالمشيب ... ورحت تكافح طول المدى
فيا لكَ من مثلٍ للصمود ... ويا لك من قدوة تقتدى[1]

(١) الأبيات من قصيدة «للأب الخالد»، موجودة في المراثي.

وعندما اشتدَّ به مرض السكري وقضى على هذا البصيص المتبقي من بصره كان يستعين على ذلك بأن يُقرأ له وهو يستمع، وكان الذين يقرأون له - في الغالب - أسباطه الثلاثة، السادة من آل السيد خليفة الأحسائي، الحسن والحسين والمرتجى، جزاهم الله عن برهم به، ووفائهم له خير الجزاء.

مكتبته الخاصة

كانت مكتبته مكتبة متخصصة، وأيضاً لا تحتوي إلّا الكتب المراجع، وإليك فهرسها، مع اختصار البيانات:

- مصحف شريف - مخطوط.
- مصحف شريف - مطبوع.

في التفسير:

- مجمع البيان، الطبرسي.
- البرهان، التوبلي.
- الصافي، الكاشاني.
- آلاء الرحمن، البلاغي.
- البيان، الخوئي.

في الحديث:

- الكافي، الكليني.
- روضة الكافي، الكليني - مخطوط.
- الوافي، الكاشاني.
- الوسائل، الحر العاملي.
- غوالي اللئالي، ابن أب جمهور الأحسائي.

في الفقه:

- جواهر الكلام، النجفي.
- الحدائق الناضرة، البحراني.
- تتمة الحدائق - آل عصفور.
- الرياض، الطباطبائي.

- المستند، النراقي.
- المسالك، الشهيد الثاني.
- المدارك، العاملي.
- المبسوط، الطوسي.
- المعتبر، المحقق.
- طهارة آغا رضا المداني.
- طهارة الشيخ الأنصاري.
- المستمسك، الحكيم.
- الروضة البهية، الشهيد الثاني.
- المكاسب، الأنصاري.
- حاشية المكاسب، اليزدي.
- هداية الأنام، الكاظمي.
- الشرائع، المحقق.
- التبصرة، العلامة الحلي.
- العروة الوثقى، اليزدي.
- وسيلة النجاة، الأصفهاني.
- نعم الزاد ليوم المعاد، آل قرين.
- خير الزاد ليوم العاد، الخاقاني.
- خير الزاد ليوم المعاد، الخاقاني.
- سفينة النجاة، كاشف الغطاء.
- قلائد الدرر في مناسك من حج واعتمر، كاشف الغطاء.
- حاشية العروة، الأصفهاني.
- حاشية العروة، آل ياسين.
- حاشية العروة، الحكيم.
- حاشية العروة، الخوئي.
- سؤال وجواب، كاشف الغطاء.

- تحرير المجلة، كاشف الغطاء.
- بلغة الراغبين، آل ياسين.
- حاشية الوسيلة، آل ياسين.
- مرآة الفقاهة، الحسيني.
- منهاج الصالحين، الحكيم.
- دليل الناسكين، الحكيم.
- نهج الفقاهة، الحكيم.
- المسائل المنتخبة، الحكيم.
- المسائل المنتخبة، الخوئي.
- أحسن الحديث في الوصايا والمواريث، كاشف الغطاء.
- النخبة في الحكمة العملية والأحكام الشرعية، الكاشاني - مخطوط.
- رسالة استدلاليّة في الصلاة، اللويمي - مخطوط.
- رسالة عملية في الصلاة، آل عيثان - مخطوط.

في أصول الفقه:

- الرسائل (فرائد الأصول)، الأنصاري.
- كفاية الأصول (حاشية المشكيني)، الخراساني.
- كفاية الأصول (حاشية الخالصي)، الخراساني.
- حقائق الأصول، الحكيم.
- حاشية الرسائل، الاشتياني.
- القوانين، القمي.
- الفصول، الحائري.
- المعالم، العاملي.
- حاشية المعالم، الأصفهاني.
- العناوين، المراغي.
- عناوين الأصول، الخالصي.
- القواعد، الشهيد الأول.

- شرح الكفاية، الأصفهاني.
- شرح الكفاية، القوجاني.
- شرح الكفاية، الرشتي.
- منتهى الأصول، البوجنردي.
- أجود التقريرات، الخوئي.
- فوائد الأصول، الكاظمي.
- الزلال المرشوف في وضع الأسماء والحروف، الحسيني.
- الأصول العامة للفقه المقارن، الحكيم.
- خلاصة علم الأصول، البهائي - مخطوط.

في التراجم والرجال والتاريخ:

- روضات الجنات، الخوانساري.
- تنقيح المقال، المامقاني.
- منهج المقال، الاسترآبادي.
- اتقان المقال، نجف.
- التحفة الفاخرة، اللويمي - مخطوط.
- مروج الذهب، المسعودي.
- الإرشاد، المفيد.
- الايقاد، الشاه عبد العظيمي.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد.
- الأنوار المحمدية، النبهاني.
- الأنوار العلويّة، النقدي.
- حياة أمير المؤمنين، الصدر.
- لواعج الأشجان، الأمين.
- سبائك الذهب، السويدي.

في الدعاء والزيارة:

- الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام.

- عدة الداعي، ابن فهد - مخطوط.
- زاد المعاد، المجلسي.
- الاقبال، ابن طاووس.
- مهج الدعوات، ابن طاووس.
- مفتاح الجنان، مجهول.
- مفاتيح الجنان، القمي.
- مفتاح الفلاح، البهائي.

في الفلسفة والكلام والعرفان والعقائد:

- شرح التجريد، العلامة الحلي.
- شرح التجريد، القوشجي.
- شرح التجريد، اللاهيجي.
- شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري.
- المجلى، ابن أبي جمهور.
- الأسفار الأربعة، ملا صدرا.
- شرح الإشارات، الطوسي والرازي.
- شرح المنظومة، السبزواري.
- القبسات، الداماد.
- المبدأ والمعاد، ملا صدرا.
- الشواهد الربوبية، ملا صدرا.
- المشاعر، ملا صدرا.
- العرشيّة، ملا صدرا.
- الرواشح السماوية، الداماد.
- ارشاد الأمة للتمسُّك بالأئمة، المظفر.
- تنزيه الأنبياء، المرتضى.
- الفردوس الأعلى، كاشف الغطاء.
- الرحلة المدرسية، البلاغي.

- الهدى إلى دين المصطفى، البلاغي.
- نهج الصدق، العلامة الحلي.
- الدين والإسلام، كاشف الغطاء.
- أصل الشيعة وأصولها، كاشف الغطاء.
- المراجعات، شرف الدين.
- الأنوار النعمانية، الجزائري.
- منهاج الشريعة، القزويني.
- اظهار الحقية على فرقة الشيخية، القزويني.
- احقاق الحق، الأسكوئي.
- جوامع الكلم، الأحسائي.
- شرح الزيارة، الأحسائي.
- الفوائد، الأحسائي.
- النخبة في الحكمة العملية والأحكام الشرعية، الكاشاني - مخطوط.
- فوز الدارين في نقض العهدين، الحجّار.



أقدم صورة مشتركة لي معه قدس سره، التقطت في البصرة

المعاجم اللغوية:

- القاموس المحيط، الفيروزآبادي.
- النهاية، ابن الأثير.
- مجمع البحرين، الطريحي.

في الصرف:

- شرح الشافية، الرضي.
- شرح الشافية، النظام.
- مراح الأرواح، مسعود.

في النحو:

- شرح الألفية، ابن الناظم.
- شواهد ابن الناظم، الموسوي.
- شواهد العيني.

- شرح التصريح، الأزهري.
- مغني اللبيب، ابن هشام.
- شرح الكافية، الرضي.
- شرح الكافية، الجامي.
- شرح قطر الندى (حاشية السجاعي)، ابن هشام.

في علوم البلاغة:

- مختصر المعاني، التفتازاني.
- المطوَّل، التفتازاني.
- مفتاح العلوم، السكاكي.

في المنطق:

- شرح الشمسية، القطب الرازي.
- حاشية ملا عبد الله.
- النجاة، ابن سينا.
- مطالع الأنوار، الأرموي.
- المنطق، المظفر.
- قلائد اللآلىء (منظومة في علم المنطق)، الحسيني.

أخرى:

- خلاصة الحساب، البهائي - مخطوط.
- تشريح الأفلاك، البهائي.
- منن الرحمن، النقدي.
- البضاعة المزجاة - الغراوي.
- ديوان السيد حيدر الحلي، ط الهند ١٣١٢هـ.
- بداية الهداية، اللويمي - مخطوط.
- رسالة في التجويد، مجهول - مخطوط.
- منظومة في ظاءات القرآن، الرسعني - مخطوط.
- مجلة المرشد (البغدادية).

- مجلة البيان (النجفية).

- ومن غير شك، أن هذه القائمة تلقي الضوء على نوعيّة مطالعاته التي تمده بالثقافة عن طريق الكتب والتي تذكّره بها.



في مكتبته - قده - بالبصرة، وثالثنا أخي صادق

في الأحساء:

قلت - فيما تقدمه - إن الوالد - قدس الله روحه - عندما أنهى دراسته العليا في النجف الأشرف، وحقّق هدفه بالحصول على درجة الاجتهاد، قفل راجعاً إلى بلاده الأحساء، ليقوم بوظيفة العالم الديني فيها، ونزل بين أهليه قرية الحوطة، وقدموه لإمامة الجماعة في مسجد والده المعروف بينهم بـ(جامع شيخ سلطان)، والتفوا حوله يعضدونه في مهمته الدينية من التوجيه والارشاد وما إليهما.

علماء الأحساء:

وأبرز علماء الأحساء آنذاك، هم:

السيد ناصر الموسوي في مدينة المبرز(١).

(١) السيد ناصر بن السيد هاشم آل السيد سلمان (ت١٣٥٨هـ).
كان فقيهاً مجتهداً وأديباً شاعراً ومرجع تقليد، تلمذ في الأحساء على والده وعلى الشيخ محمد آل عيثان، وفي النجف علي السيد عدنان الغريفي والشيخ محمد طه نجف وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ علي الخاقاني والميرزا حسين الميرزا خليل وآغا رضا الهمداني والملا هادي الطهراني والشيخ محمود ذهب والسيد محمد كاظم اليزدي. واجيز بالاجتهاد والرواية من شيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ مهدي المازندراني والشيخ ضياء الدين العراقي والسيد أبو تراب الخوانساري.

الشيخ محمد الخليفة، في مدينة المبرز أيضاً[١].

الشيخ موسى أبو خمسين، في مدينة الهفوف[٢].

الشيخ عمران السليم، في قرية العمران الشمالية[٣].

وكان جل عوامها أصوليين يرجعون في أمور تقليدهم إلى مراجع التقليد في النجف الأشرف كالميرزا النائيني والسيد الأصفهاني، وفي الأحساء كالسيد ناصر الموسوي.

وإلى جانب هذه الكثرة الأصولية قليل من الشيخية يتركّز في مدينة الهفوف.

وكانوا يرجعون في أمور دينهم لآل الأسكوئي.

ورأس آل الأسكوئي يومذاك الميرزا موسى الأسكوئي القرجه داغي نزيل كربلاء المقدسة، وإليه كان تقليدهم.

ومن المعلوم - اجتماعياً وسياسياً - أن من العوامل المساعدة على نشر الأفكار أن تنطلق من العواصم والمدن الحواضر إلى توابعها وما جاورها، وهذا ما كان من أمر الفكر الشيخي في الأحساء، حيث أخذ يتحرّك داخل الهفوف وخارجها، مما دعا العلماء الأصوليين، وعلى رأسهم السيد ناصر الموسوي أن يقفوا في وجهه ليوقفوا انتشاره.

وكان إلى جانب السيد الموسوي خارج الأحساء حيث راح الفكر الشيخي ينتشر بين الأحسائيين في الكويت الشيخ حبيب آل قرين.

وعندما دخل الوالد الأحساء انضمّ العنصر الثالث إليهما، وكان أقوى الثلاثة شوكة، وأنفذهم في إصابة المرمى، ويعود هذا إلى ما كان يتمتع به - رضوان الله عليه - من قوة شخصيته التي اتسمت بالشجاعة والجرأة والصراحة، ومن مكانة عشيرته (آل علي) في الأحساء، التي كانت لها الهيبة والنفوذ الرئاسي في هذه البلاد.

وقد ألمح الميرزا حسن بن الميرزا موسى الأسكوئي الحائري في كتابه (منظرة الدقائق) إلى موقف الوالد والشيخ آل قرين ضدّهم وضد فكرهم الشيخي بقوله: (من محسن ومسيء وعدو وحبيب).

---

(١) الشيخ محمد بن الشيخ حسين الخليفة (ت١٣٤٨هـ).
من الفقهاء المجتهدين، تتلمذ في الأحساء على السيد هاشم الموسوي وفي النجف على شيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ محمد طه نجف والشيخ علي الخاقاني، وأجيز منهم بالرواية والدراية.

(٢) الشيخ موسى بن عبد الله آل أبي خمسين (ت١٣٥٣هـ)، تتلمذ في النجف على السيد أبي تراب الخوانساري والشيخ حسن مصر الخفاجي وشيخ الشريعة الأصفهاني، وأجيز بالرواية والاجتهاد.

(٣) تقدمت ترجمته.

ومن المفيد قبل أن أشير إلى ظواهر في هذا الصراع الفكري المذهبي تستحق الوقوف عندها أن أعرض بشيء من الإيجاز لنشأة الشيخية:

متى ولدت؟

وأين ولدت؟

وإلى عهد دخولها الأحساء.

وعلى يد من انتقلت؟

وإلى ما يلابس هذا:

فرق الإمامية ومدارسها:

تنقسم الطائفة الإمامية في الواقع القائم والمعاش إلى ثلاث فرق، هي:

١ - الأصولية.

٢ - الأخبارية.

٣ - الشيخية.

وهناك تقسيم آخر يعرب عنه الواقع القائم أيضاً لم يذكره المؤرِّخون بشكل واضح، هو انقسام كل فرقة من الفرقتين الأخبارية والشيخية إلى قسمين، وكالتالي:

- انقسام الأخبارية:

تنقسم الأخبارية على أساس من الاعتراف بالاجتهاد والتقليد وإنكارهما إلى القسمين التاليين:

١ - الأخبارية التي تتَّبع مدرسة البحرين، وهي القائلة بالاجتهاد والتقليد، ومع التقائها والقسم الآخر الآتي في انكار الاجماع والعقل كمصدرين من مصادر التشريع.

٢ - الأخبارية التي تتَّبع مدرسة قرية المؤمنين (آل الميرزا محمد الأخباري المعروفين بأسرة آل جمال الدين)، وتذهب إلى إنكار الاجتهاد، وإلى انكار التقليد لغير المعصوم، أي أنها تحصر التقليد في الرجوع إلى الإمام المعصوم، والفقهاء - في رأيها - رواة عنه ووسائط بينه وبين مقلديه.

وكل قسم من هذين القسمين يمثل فرقة مستقلة وقائمة بذاتها.

- انقسام الشيخية:

وتنقسم الشيخية على أساس من تحديد الطريق الموصل إلى الإمام المعصوم، وتلقي المعلومات عنه إلى القسمين التاليين:

١ - **الشيخية الركنية**: وهم أتباع الحاج كريم خان بن إبراهيم خان القاجاري المتوفى سنة ١٢٨٨هـ، ويقولون بأن الركن الرابع (وهو المرجع الديني النائب عن الإمام) يلتقي الإمام بشكل مباشر، ويتلقى عنه المعلومات المطلوبة.

ومن هنا سُموا بالركنيَّة.

٢ - **الشيخية الكشفية**: وهم أتباع الميرزا محمد باقر الأسكوئي المتوفى سنة ١٣٠١هـ، ويقولون بأن اللقاء بين المرجع الديني النائب عن الإمام، والإمام يتم عن طريق الكشف.

وله سموا بـ(الكشفية).

أوضحت هذا لأصحِّح خطأ وقع فيه الكثيرون حيث يطلقون عنوان (الكشفية) على كلا القسمين، مع أنه مختصٌّ بالقسم الثاني.

وكذلك هنا - كما في الأخبارية - يمثل كل قسم من قسمي الشيخية فرقة مستقلة بذاتها.

وفي ضوئه نقول:

- إن الأصولية والأخبارية تتفقان في أصول الدين وفروعه، وتختلفان في منهج الدراسة الفقهيَّة، وبتعبير أدق في طريقة استنباط الحكم الشرعي الفرعي من دليله.

- وتختلف الأخبارية البحرينية عن الأخبارية الجمالية في الاعتراف بالاجتهاد في الفقه وجواز التقليد للفقهاء، بينما تذهب الأخبارية الجمالية إلى انكار الاجتهاد وحصر التقليد بالإمام المعصوم.

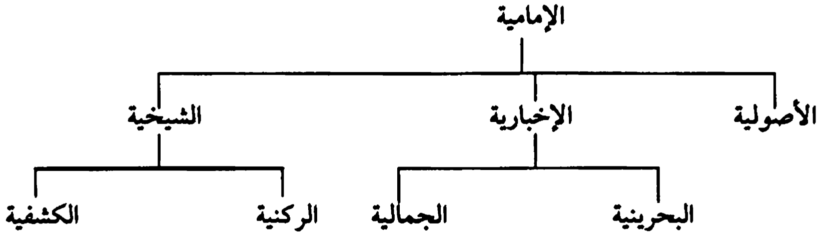
وقد رأيت غير واحد من الباحثين ينسبون إلى الأخباريين جمعاً فكرة انكار الاجتهاد والتقليد.

وهذا - كما رأينا - خطأ آخر ينبغي تصحيحه.

- تختلف الشيخية عن الأصولية والأخبارية في فكرة الاتصال بالإمام المعصوم - كما تقدَّم - وفي أشياء أخرى تتعلق بصفات الإمام المعصوم وشؤونه، أمثال: كيفية ولادته، وحكم دمه وفضلاته، وعلمه، وقدرته، وغيرها مما لا يعنينا - منهجياً - التعرُّض له، لأنه ليس من صميم الموضوع.

- وتختلف الشيخية الركنية والشيخية الكشفية في كيفية الإتصال بالإمام المعصوم - كما ألمحت.

الخلاصة:



وبعد إعطاء هذه الفكرة الموجزة عن موقع الشيخية كفرقة من فرق الإمامية وعلاقتها بها، ننتقل إلى محاولة تعرف ما يرتبط بولادتها ونشوئها.

نشأة الشيخيّة ومراكزها:

تنسب الشيخية إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت١٢٤١هـ)، على اختلاف في واقع ونوعية النسبة:

١ - حيث ذهب بعضهم إلى أنَّ النسبة إليه لأنه المؤسس لها.

٢ - وذهب آخرون إلى أن النسبة إليه لا لأنه المؤسس إذ ليس هو المؤسس الحقيقي، وإنما تلامذته هم المؤسسون الحقيقيون، بل لأن تلامذته كانوا يعزون أفكارهم إليه، ويدعون بأنها مستقاة منها، وتمتد جذورها إليه.

والشيخ أحمد الأحسائي[1] - رضوان الله عليه - من الرجالات المغلقة تاريخياً حيث

---

(١) الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المتوفى سنة ١٢٤١هـ، من عشيرة المهاشير التي تقطن في قرية المطيرفي إحدى قرى الأحساء الشمالية، وكانت موطن أسرته، وفيها ولادته.
وكان من رجالات الشيعة اللامعين الذين أخذوا بأسباب المعرفة والفكر والفلسفة والكلام والفقه والعرفان، هذا إلى جانب تمرسه بالطب والرياضيات والنجوم والكيمياء (الصنعة) وعلم الأعداد والكلمات والحديث والأصول - فلاسفة الشيعة: ١١٣-.
وله الإجازة دراية ورواية من السيد بحر العلوم والشيخ جعفر الكبير والميرزا مهدي الشهرستاني والشيخ حسين آل عصفور والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض.
له من المؤلفات العدد الكبير، ذكرها بكاملها تلميذه السيد كاظم الرشتي في كتابه (دليل المتحيرين) ونقلها عنه السيد الأمين في (الأعيان: ٢/ ٥٩١)، من أشهرها: شرح الزيارة الجامعة، جوامع الكلم، شرح العرشية للملا صدرا، شرع المشاعر للملا صدرا، الفوائد في الحكمة والكلام، شرح الفوائد.

أحيط واقع شخصيته بشيء غير قليل من الغموض، فقد أطراه قوم من العلماء وأثنوا عليه إلى حد المغالاة، وقدحه آخرون من العلماء بأفظع القدح، فوقعت شخصيته الاعتقادية بين غالٍ فيه، وقالٍ له، والنص التالي الذي ينقله السيد الأمين في (٢/ ٥٩٠) يلقي شيئاً من الضوء على ما ألمحت إليه، قال: «قال السيد شفيع الموسوي[١]، في (الروضة البهية في الطرق الشفيعية): الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: كان من أهل الأحساء، وتوطّن برهة من الزمان في يزد، ثم انتقل إلى كرمانشاه بطلب من محمد علي ميرزا بن فتحعلي شاه القاجاري، وسمعت أنه أعطاه ألف تومان لأداء دينه ونفقة سفره إلى كرمانشاه، وجعل له وظيفة في كل سنة سبعمائة تومان، ثم انتقل إلى كربلاء، وتوطّن فيها، وقام مقامه في كرمانشاه ابنه الشيخ علي.

والشيخ المذكور كان ذاكراً متفكراً لا يتكلم غالباً إلّا في العلم والجواب عن السؤالات العلمية أصولًا وفروعاً وحديثاً، وكان مشغولًا بالتدريس، ويُدرّس (أصول الكافي) و(الاستبصار)، ولم نر منه إلّا الخير، إلّا أنَّ جمعاً من العلماء المعاصرين له قدحوا فيه قدحاً عظيماً، بل حكم بعضهم بكفره، نظراً إلى ما يستفاد من كلامه، من انكار المعاد الجسماني، والمعراج الجسماني، والتفويض إلى الأئمة، وغير ذلك من المذاهب الفاسدة، المنسوبة إليه، وما رأيت في كلامه ذلك، إلّا أن الذين يُحكى عنهم استفادوه من كلماته».

ولا تنحصر مثل هذه المواقف - عادةً - في سبب واحد، فربما كان هذا لأنه عرفاني، والعرفانيون - كما هو معلوم - بين مدح المادحين وقدح القادحين، وأوضح مثال لهذا: المولى محسن الكاشاني المعروف بالفيض صاحب (الوافي) و(المحجة البيضاء) و(النخبة في الحكمة العملية)، والشيخ صدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا صاحب (الأسفار

---

(١) السيد شفيع بن السيد علي أكبر الموسوي الجابلقي البروجردي المتوفى سنة ١٢٨٠هـ.
«كان عالماً فقيهاً أصولياً، من مشاهير تلاميذ شريف العلماء المازندراني في الأصول، ومن تلاميذ المولى أحمد النراقي في الفقه».
وكان مقدماً في علمي الحديث والرجال وعلم الأصول، ومدرساً في بلدة بروجرد، معظماً عند أهل عصره، مرجعاً.
يروي عن السيد محمد باقر الطباطبائي والمولى أحمد النراقي.
له من المؤلفات:
- الأصول الكربلائية.
- الروضة البهية في الطرق الشفيعية وهو إجازته لولده السيد علي أكبر.
- مناهج الأحكام في مسائل الحلال والحرام، وغيرها.
انظر: أعيان الشيعة: ٧/ ٣٤٩ - ٣٥٠.

الأربعة) و(المشاعر) و(الشواهد الربوبية) و(العرشية)، والحاج سلطان محمد الجنابذي الملقب بسلطان علي شاه صاحب التفسير الموسوم بـ(بيان السعادة)، وغيرهم، حيث رفعهم أناس إلى أعلى درجات الإيمان، ونزل بهم آخرون إلى أعمق دركات الكفر.

وهذا - فيما أرى - لأن العرفان يعتمد الإشارة وينأى عن العبارة، فالإشاريون يكونون معه لأنهم يدركون المشار إليه، والعباريون يقفون ضده لأنهم يعاملون الإشارة معاملة العبارة، فعندما لا تفهم الإشارة كما تفهم العبارة يقولون ما يقولون.

وربما لأنه انتهج في معالجاته الفلسفية منهج الكرماني الإسماعيلي في كتابه (راحة العقل)[1] من محاولة الجمع بين الدين والفلسفة القديمة، بالتوفيق بين الروايات العقائدية - وفيها الكثير من الإسماعيليات - والنظريات الفلسفية، وهي محاولةٌ النجاحُ فيها غير مضمون.

وربما لعوامل أخرى غير هذه وتلك.

وعلى أية حال، فالشيخ أحمد الأحسائي حينما أعلن عن أفكاره - فلسفية كانت أو عرفانية - أثناء رحلاته من الأحساء إلى العراق وإيران لم يدع إلى تكوين فرقة عقائدية، وإنما شأنه في هذا شأن كل فيلسوف يرى نفسه صاحب نظرية، وكل عرفاني يعتقد أنه صاحب طريقة، يدعو لنشر ذلك.

ولهذا، فالشيخية لم تنشأ على يديه ولا في عصره، وإنما نشأت - كما ذكر غير واحد - على يدي تلميذه السيد كاظم الرشتي الذي استغلّ اسمه ومبهمات عبائره العرفانية والفلسفية لتحقيق ما كان يهدف إليه.

---

(١) طبع بمبي وأعيد طبعه في القاهرة بتحقيق الدكتور مصطفى حلمي والدكتور كامل حسين. يعد من أهم كتب الفكر الإسماعيلي في مجال الاعتقاد.
ومؤلفه هو حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني الملقب بحجة العراقين، من أكابر دعاة الإسماعيلية وكتّابهم، كان يشغل منصب داعي الدعاة للحاكم الفاطمي بمصر، والمسؤول عن الدعوة في المشرق، عرّفه الأستاذ محمد حسن الأعظمي في مقدمته لكتاب (تأويل الدعائم - ص٢٠) بقوله: «شخصية علمية خارقة، يكتنف تاريخ حياتهما الغموض، وفيلسوف كبير، عاش في عصر علمي زاهر، وداع جليل، خط في صفحات الفكر أقوم البحوث وأعمق السطور، وترك للأجيال عدداً من المؤلفات أقل ما يقال عنها إنها كنز وتراث خالد.
يضع دعاة اليمن وعلماء الإسماعيلية أمام اسمه كلمة (سيدنا) مبالغة في تكريمه وتعظيماً لمكانته وقدره، ويعتبره فلاسفة العالم الإسلامي أعظم عالم انتجته المدرسة الفكرية الإسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية».

ومما يشير إلى هذا، النصُ المنقول آنفاً عن السيد شفيع، فإنه يقول فيه: «وأكثر الفساد نشأ من أحد تلامذته السيد كاظم الرشتي، والمنقول عن هذا السيد مذاهب فاسدة لا أظن أن يقول الشيخ بها، بل المنقول أن السيد علي محمد الشيرازي المعروف بالباب الذي يدّعي دعاوي فاسدة، هو سمّاه الباب، وكذا سمّى بنت الحاج ملا صالح القزويني قرة العين، وإن لم يعلم رضاه بما ادعاه الباب وقرة العين، والباب صار سبباً لإضلال جمع كثير من العوام والخواص، وصار سبباً لقتل نفوس كثيرة».

ومتى ركزنا على ارتباط الباب بالسيد الرشتي وتلقيبه له بالباب الذي هو لقب الدليل الأول في سلسلة الأدلاء الإسماعيليين الذين هم أصحاب المراتب في الدعوة الهادية، المكلفون بحمل أعباء تثقيف النفوس ونشر الدعوة في الأقاليم، وهم: الباب. الحجة. الداعي المطلق. داعي البلاغ. الداعي المأذون. الداعي المحصور. الجناح، المكاسر[١]... قد يقودنا هذا إلى القول بأن للسياسة المعادية دوراً في هذا.

ويتأكّد هذا القول إذا عرفنا أن أول من قام بنقل الشيخية من كربلاء إلى إيران هو من الأسرة الحاكمة أسرة قاجار، وهو الحاج كريم خان - كما سيأتي بعده مباشرة -.

وكذاك إذا أدركنا أن ظهور الشيخية كان مزامناً لظهور البابية، ومن مصدر واحد هو السيد الرشتي.

ومن هذا السيد - كما رأينا - كانت البذرة لوجود الشيخية كفرقة، وفي كربلاء.

ومن كربلاء انتقلت على يد الحاج كريم خان تلميذ السيد الرشتي إلى (كرمان) وأصبحت كرمان بعد مدة يسيرة المركز العلمي والديني للشيخيّة الركنية.

ومن هذا المركز راحت تنتشر فدخلت البصرة بواسطة آل المزيدي، ومنهم أبرز علمائها في البصرة - وهم أحسائيو الأصل -، وأشاعوها بين الأحسائيين الموجودين هناك[٢].

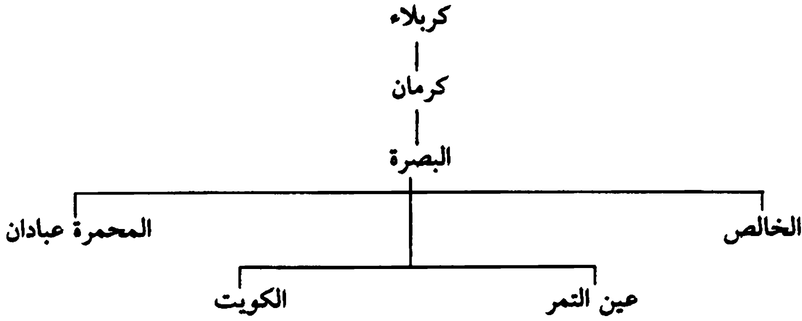
---

(١) انظر: الافتخار للداعي الإسماعيلي أبي يعقوب السجستاني (ت٣٥٣) تحقيق: د. مصطفى غالب (بيروت: دار الأندلس) ص١٨... ولقب الباب - عندهم - يعني: (المفضي إلى الحقيقة).

(٢) كان أول آل المزيدي في البصرة: الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله المزيدي المتوفى سنة ١٣٠١هـ... هاجر إلى البصرة من الأحساء «على أثر الموجات الوهابية التي اجتاحت بلاد الأحساء والقطيف وما والاهما، وما فعلته بأهلها من القتل والظلم والتشريد، ففروا من بلادهم، وتفرقوا في البلدان، فمنهم من سكن بلاد إيران، ومنهم من سكن العراق، وكان ذلك قبل أكثر من قرن من الزمان. =

ومن البصرة انتقلت إلى الخالص وعين التمر (شفاثة) في العراق، وإلى الكويت والمحمرة، ومن المحمرة انتقلت إلى عبادان.

هذه هي رقعتها الجغرافية، وكالتالي:



ومن كربلاء أيضاً انتقلت الشيخية إلى تبريز عن طريق الميرزا حسن الشهير بكوهر المتوفى بعد سنة ١٢٦١هـ وتلميذه الميرزا شفيع التبريزي المتوفى سنة ١٣٠١هـ تلميذي السيد كاظم الرشتي، واستقرت في (اسكوء) عن طريق الميرزا محمد باقر بن محمد مسلم التبريزي المتوفى سنة ١٣٠١هـ، وعلى يديه تم وجود الشيخية الكشفية، وعلى يديه تركزت في أسرته وفي بلدتهم اسكوء.

وعن طرق ابنه الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري، عندما كان مقيماً في كربلاء انتقلت إلى الأحساء عندما التقاه بعض الأحسائيين من أهالي الهفوف الذين كانوا يترددون على كربلاء للزيارة وتأثر بالفكرة واعتنقها.

ومن الأحساء انتقلت إلى الأحسائيين القاطنين في الكويت، والأحسائيين القاطنين في البحرين والأحسائيين القاطنين في سوق الشيوخ بالعراق الذين يعرفون بـ(الجماعة الحسائية).

= فالأسرة المزيدية ممن هاجر إلى البصرة كغيرهم من الأحسائية واستوطن فيها.

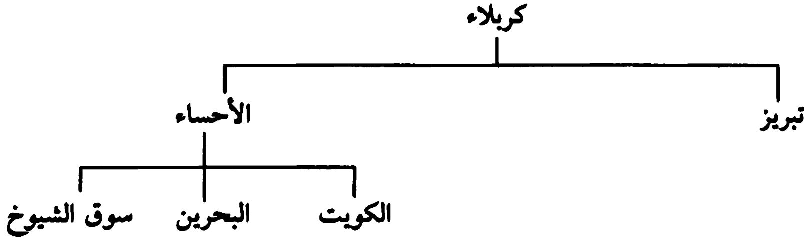
ومنهم جماعة سكنوا الدورق من إيران آنذاك، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الكويت، ولا تزال ذريتهم وأحفادهم موجودين في الكويت» - من رسالة خطية شخصية للسيد عبد الله الموسوي بتاريخ ٣٠ رجب ١٣٠٩هـ عنونها بـ«مختصر من أحوال علماء الأسرة المزيدية وأدبائها الذين هاجروا إلى البصرة وسكنوا فيها».

وبعد وفاة الشيخ حسين المذكور خلفه في وظيفته الدينية ابنه الشيخ محمد حسن المتوفى سنة ١٣٠٧هـ. وخلفه بعد وفاته أخوه الشيخ محمد طاهر المزيدي المتوفى سنة ١٣٣٨هـ، وهو آخر علماء الأسرة المزيدية في البصرة.

وبقيت كربلاء إلى عهد قريب المركز العلمي والديني لهم، ومقره الحسينية المعروفة بـ(حسينية الحسائية)، المقابلة - في موقعها - لمشهد الإمام الحسين عليه السلام.

ثم انتقلت المركزية في أخريات القرن الماضي إلى الكويت، ولا تزال فيه.

فكان انتشارها كالتالي:



ومن هنا ندرك أن الشيخية لم تكن في الأحساء قبل دخولها إليها بواسطة آل الأسكوئي.

وهذا يعني أن الشيخ أحمد الأحسائي لم يكن المؤسس لها.

وتقديراً لو كان هو المؤسس لكان جل الأحسائيين - على أقل فرض - اعتنقوها في أيامه، لما يحملون له من حب واحترام يبلغان إلى حد التقديس.

فعدم قبولها من قبل الأكثر إنما هو لعدم وثوقهم بصحة نسبتها إليه، وأيضاً لما عرفوه فيها من مفارقات عقائدية تسرَّبت من الفكر الإسماعيلي إلى الفكر الإمامي عن طريق الروايات الإسماعيلية التي استطاعت أن تدخل مدوّنات الحديث الإمامية كالكافي والبحار وغيرهما.

ومن المؤسف له أنه لم يقدر لهذه الروايات أن تفرز وتدرس ويشار إلى ما فيها مما يخالف العقيدة الإمامية التي هي امتداد لعقيدة أهل البيت عليهم السلام.

هذا الواقع المعروض تاريخه باختصار، هو الذي دعا الشيخ الوالد والعلماء الأصوليين الآخرين في الأحساء والكويت إلى الوقوف أمام انتشارها.

فكان - رحمه الله تعالى - أوان نزوله الأحساء، المشار إليه، والذي لم يطل أكثر من خمس سنوات، يذهب إلى الهفوف، ويناقش أفكارهم ويهاجمها هجوماً عنيفاً.

وكذلك في كل مكان يحلُّ به وفيه من الأحسائيين من تأثر، أو يمكن أن يتأثر.

وبموقفه البطولي هذا ومواقف العلماء الآخرين من الأصوليين تحجمت الشيخية في حدودها الضيّقة من الرقعة الصغيرة التي تشغلها.

وعندما عاد - قدس سره - من البصرة، وسكن (سيهات) كان يتردد على الأحساء أسبوعياً بطلب من أهلها، وبخاصة أبناء عمه (آل علي) في (القارة)، وكان يُدعى أيضاً من قبل بعض الأصوليين في الهفوف لإلقاء بعض المحاضرات في الحكمة الإلهيّة، يقارن من خلالها الفكر الشيخي بواقع الفكر الإماميّ ويوضح الفرق بينهما.

وكان من نتائج محاضراته العلميّة التوجيهيّة التي كان يلقيها في الهفوف أن عدل غير قليل من الشيخية إلى الأصولية، وقلّدوا السيد الخوئي - قدّس سره -.

ومن خلال الواقع المشاهد نستطيع أن نقول: إنّ الشيخية الأسكوئية (الكشفية) كان فيها -إلى قبل مدّة قصيرة - علماء يدركون فكرها ويحملونه أمثال: الميرزا محمد باقر الأسكوئي، والميرزا موسى وابنه الميرزا علي الأسكوئيين.

أما الآن فليس فيها من هو بمستواهم علمياً.

وأخيراً، وبعد الذي رأيناه وعرفناه لا يعدو أن يكون التمسك بها بعد ظهور ما فيها من مفارقات تبتعد بها عن واقع الفكر الإماميّ إلى حظيرة الفكر الإسماعيلي والاعتقاد الصوفي كفكرتي (الناطق) و(الكشف) اللتين هما عماد الفكر الإسماعيلي والصوفي السني، لا يعدو أن يكون نوعاً من التعصُّب على غير أساس.

أقول هذا لأن الذي يؤمن بأن الفكر الإمامي هو الحق، لا أعتقد بأنه يرى وجهاً حقاً لجموده عليها.

في البصرة

ولتردّده - رحمه الله تعالى - على البصرة مدة بقائه في الأحساء - الفترة المشار إليها - عرف بين علماء البصرة آنذاك، واشتهر بين أهلها.

ولأنّ أبناء قرية (صبخة العرب) - إحدى قرى البصرة - كانوا بحاجةٍ إلى عالمٍ ديني يقيم بين ظهرانيهم، ويقوم بتوجيههم وارشادهم وتعليمهم أحكام دينهم، تقدموا إلى السيد مهدي القزويني - من علماء البصرة آنذاك - في أن يفاتح الوالد - قدس سره - بذلك، وكان الوالد يومها في البصرة.

فتم لهم ما أرادوا، واتصلوا عن طريق السيد المذكور بالمرجع الديني في النجف الأشرف يومذاك، وهو السيد أبو الحسن الأصفهاني، فعيَّنه وكيلًا عنه، وزوَّده بالوكالة المطلقة التالية:

نص وكالة الأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلحمد لله الذي رفع قدر العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء، والصَّلاة والسَّلام على خير خلقه محمد وآله الأصفياء.

أمَّا بعد:

فلا يخفى على سائر أخواننا المؤمنين - وفَّقهم الله تعالى لمراضيه - من خصوص ولدنا العالم التقي والفاضل الورع النقي جناب الشيخ ميرزا محسن - وفقه الله تعالى - فإنه من فطاحلة العلماء وأكابرهم، وممن ثبت عندنا فضله وزيادة علمه وورعه، فقد جعلناه وكيلًا من قبلنا على قبض الحقوق الشرعيَّة، كحق الإمام - عجل الله فرجه أرواحنا فداه - ورد المظالم، ومجهول المالك، والنذر المطلق، وغير ذلك من الأمور الشرعية، وتولي الأمور الحسبية، وفصل الخصومات والمرافعات، فإنه أهلٌ لذلك، ولا بأس بالرجوع إليه في ذلك، وأن الذي يصل إليه مما ذكرناه واصل إلينا، ويده يدنا.

وجل أملي بكم - وفَّقكم الله تعالى - أن تعينوه على إجراء الأمور الشرعيَّة، وأن تمتثلوا كلامه فإنه لا يهدي لغير طريق الحق والرشاد.

وقد أوصيته سلوك سبيل الاحتياط.

والسلام عليه وعليكم ورحمة الله وبركاته.

تحريراً يوم ٨ محرم الحرام سنة ١٣٥٢هـ.

محسن الطباطبائي الحكيم	**الراجي محمد رضا آل يس عفي عنه**	**الأحقر أبو الحسن الموسوي الأصبهاني**
١٠ شعبان ١٣٧٠هـ		

ثم أمضيت هذه الوكالة - كما نرى - من المرجع الديني الشيخ محمد رضا آل ياسين لإرجاعه في التقليد إليه بعد وفاة السيد أبي الحسن الأصفهاني سنة ١٣٦٥هـ.

وأمضيت بعد ذلك من قبل المرجع الديني السيد محسن الحكيم لإرجاعه في التقليد إليه بعد وفاة الشيخ محمد رضا آل ياسين سنة ١٣٧٠هـ.

وهي وكالة عامة ومطلقة، وفيها ما ينص على اجتهاده وبشهادة المراجع الموقعين أدناه، وهي العبارة التالية: «وتولي الأمور الحسبية، وفصل الخصومات والمرافعات، فإنه أهل لذلك، ولا بأس بالرجوع إليه في ذلك».

ذلك أن هذه رخاصة الفصل في المرافعات من اختصاصات ووظائف الفقيه المجتهد.

علماء البصرة:

وكان أبرز العلماء في البصرة يوم سكنها وكيلًا عن السيد الأصفهاني:

١ - السيد محمد بن السيد جعفر آل شبر:

كان من تلامذة الشيخ محمد حسين الهمداني والشيخ جعفر التستري والشيخ إسماعيل السلماني والميرزا محمد حسن الشيرازي المجدد.

وكان بدء تعيينه وكيلًا في البصرة، من قبل الميرزا الشيرازي المجدد. ومن آثاره فيها: بناء المسجد المعروف بـ(جامع العجم) والكائن في محلة يحيى زكريا.

وكان يقيم فيه الجماعة والتعزية الحسينية، كما أنَّ مجلسه كان فيه. ألف وترجم من الفارسية إلى العربية، ولا يزال نتاجه مخطوطاً. توفي سنة ١٣٤٧هـ في البصرة، ودفن في النجف الأشرف.

٢ - الميرزا محمد تقي بن الميرزا حسين جمال الدين من ذرية الميرزا محمد النيسابوري الأخباري:

كان العالم الديني للأخبارية، وكان يقيم الجماعة والجمعة في جامعهم الكائن في محلة أبي الحسن، وكان منزله في المحلة المذكورة، ومجلسه فيها متفرعاً من دار سكانه.

توفي في البصرة سنة ١٣٥٧هـ، وأرَّخ بعضهم وفاته بقوله:

وكان في تاريخه طيعاً   أزلفت الجنة للمتقين

ودفن في البصرة لذهاب علماء هذه الأسرة إلى حرمة نقل الموتى. دفن في المقبرة

المعروفة بمقبرة إبراهيم الخليل، وشيدت على قبره قبة كتب على باب حجرتها الآية الشريفة: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾(١).

٣ - السيد مهدي بن السيد صالح القزويني من أسرة آل الكيشوان الكاظمية:

كان من تلامذة الميرزا الشيرازي والسيد محمد الهندي والشيخ محمد تقي الشيرازي والشيخ محمد طه نجف.

قطن الكويت مدة من الزمن عالماً دينياً، ثم انتقل إلى البصرة بطلب من أهلها للقيام بوظيفة العالم الديني فيها.

له عدَّة مؤلفات، منها:

- بوار الغالين.
- خصائص الشيعة.
- ظهور الحقيَّة على فرقة الشيخية.
- منهاج الشريعة في الرد على منهاج السنة لابن تيمية.
- ضربات المحدثين على الحق المبين.
- غش الركنية.

كان يقيم الجماعة في الجامع الكائن في محلة العروة، والمعروف بجامع السيد ناصر عبد الصمد نسبة إلى السيد ناصر بن السيد أحمد آل السيد عبد الصمد البحراني الذي كان يقيم الجماعة فيه، وبعد وفاة السيد ناصر عبد الصمد سنة ١٣٣١هـ، حل محله بطلب من أهل البصرة السيد عدنان السيد شبر الغريفي نزيل المحمرة آنذاك وأقام الجماعة في الجامع المذكور حتى توفي سنة ١٣٤٠هـ فخلفه السيد مهدي فيه.

وكان مجلسه في ديوانيته المتفرّعة من بيت سكناه في محلة التحسينية. توفي سنة ١٣٥٨هـ في البصرة ودفن في النَّجف الأشرف.

٤ - الشيخ مهدي الحجار المتوفى سنة ١٣٥٨هـ.

تقدمت ترجمته.

٥ - السيد مهدي السويج الأحسائي:

كان العالم الديني للشيخية الركنية بعد الشيخ محمد طاهر المزيدي المتوفَّى سنة ١٣٣٨هـ، وكيلًا عن مرجعهم الديني في كرمان.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٣.

وكان يقيم الجماعة في جامع الشيخ فارس الكائن في محلة الفرسي. ذكر له كوركيس مؤلفاً بعنوان (رفع الاشتباه) طبع في النجف سنة ١٩٢٧م(١).

لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مراجع.

٦ - الشيخ حبيب آل قرين الأحسائي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ.

مرّت ترجمته.

٧ - الشيخ عبد المهدي بن الشيخ إبراهيم المظفر.

ترجمه الزركلي في (الأعلام: ٤/ ١٦٩ ط٤) فقال: «فقيه إماميّ متأدّب، اشتهر في البصرة، وعاش في العشار، وتوفي بها ودفن في كربلاء، ونقل إلى النجف الأشرف. له كتاب ارشاد الأمة للتمسك بالأئمة ط».

كان يقيم الجماعة في مسجدهم المعروف باسم جامع المظفر في العشار، ثم أنشأ مسجداً كبيراً في محلة أم البروم في العشار، وأخذ يقيم الجماعة فيه ليلة في الأسبوع.

وكان مجلسه في بيته بالعشار. توفي سنة ١٣٦٣هـ، ودفن في النجف الأشرف.

٨ - السيد عبد الله بن السيد محمد علي الخليفة الأحسائي:

كان من تلامذة الشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي، والشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري.

تولّى وظيفة العالم الديني الوكيل في البصرة بعد وفاة والده. وكان يقيم الجماعة في المسجد القريب من داره الواقعة في محلة جسر العبيد (الخليلية) والمعروف بجامع حاجي فقير.

وكان مجلسه في حسينيتهم المعروفة بحسينية الخليفة، الواقعة مجاورة لداره.

توفي سنة ١٣٧٤هـ بالبصرة ودفن في النجف الأشرف.

٩ - وكان قاضي الجعفرية فيها آنذاك السيد محمد جعفر الحسيني الشيرازي الحائري المتوفى سنة ١٣٧٧هـ.

وهو من تلامذة المولى محمد كاظم الخراساني، وله من المؤلفات:

- مرآة الفقاهة.

- قلائد اللئالي.

---

(١) انظر: معجم المؤلفين العراقيين: ٣/ ١٠٠.

- الزلال المرشوف في الأسماء والحروف.

- منظومة في المنطق.

١٠ - وأبرز علماء أهل السنة والجماعة فيها وقتذاك الشيخ محمد بن خليفة النبهاني.

ترجم له الزركلي في (الأعلام: ٦/ ١١٦ ط٤) قال: «محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي نسباً، المكي مولداً ومنشأً، المالكي مذهباً، مؤرخ جزيرة (البحرين) في العصر الحديث.

كان من مدرِّسي الحرم المكي، كأبيه، وسافر إلى (البحرين) في أول عام ١٣٣٢هـ فأقام مدة قصيرة، جمع فيها ما تيسر له من تاريخها وسير أمرائها في كتاب سماه (النبذة اللطيفة في الحكام من آل خليفة)، وسافر إلى بغداد، فأشير عليه أن يجعل كتاباً عاماً لجزيرة العرب، فأضاف إليها زيادات، وسماه (التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية)، ونشر الجزء الأول منه، وهو خاص بالبحرين سنة ١٣٣٢هـ.

وسافر إلى البصرة سنة ١٣٣٣هـ وقد نشبت الحرب العامة الأولى، فاعتقله الانجليز، وسلبت منه كتبه وأوراقه، وفي جملتها مسوَّدات تاريخه، وأفرج عنه سنة ١٣٣٤هـ بشفاعة الشيخ عيسى بن علي من آل خليفة، ولم يؤذن له بمغادرة البصرة.

وعاد بعد انتهاء الحرب سنة ١٣٣٧هـ إلى العمل في كتابه، فرتبه على نسق غير نسقه الأول، وزاد فيه كثيراً، وسماه (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) ط سنة ١٣٤٢هـ، في ثلاثة أجزاء يجمعها مجلد واحد، وفي آخر الثاني منها أسماء مؤلفات أخرى له، منها: (مؤنس العزب)، (تذييل سبائك الذهب في أنساب العرب) و(قطب الأزهار في معرفة المعادن والأحجار) و(النخبة النبهانية، شرح المنظومة البيقونية) في مصطلح الحديث، و(التذكرة النبهانية) في أسماء بعض المخترعات والمكتشفات الحديثة، و(ثمرات الخرائط في رسم البسائط).

وتوفي بالبصرة سنة ١٣٦٩هـ.

في صبخة العرب

نشأة صبخة العرب وسكانها:

جاء في مجلة (لغة العرب) - المجلد الثالث لسنة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م، ص١٥٧، نقلًا عن جريدة (الدستور) - العدد ٦٣- : «على مسافة ٤٠ دقيقة من مقر ولاية البصرة في

الجهة الشمالية منها محلة تسمى (الصبخاية) يقطنها خليط من عشائر الغراف[١] يبلغ عددهم نحو الألفين ذكوراً وإناثاً كلهم أصحاب جد ونشاط وعمل دائم. . . وفيها نحو ٧٠٠ بيت».

نشأت هذه القرية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري عندما نزل أرضها أول نازح من منطقة الغراف إليها، وهو رجل اسمه (موح). و(الصبخاية) - كما سمتها المجلة - أحد أسمائها.

وتعرف أيضاً بـ(العرب)، وكان يطلق على الوالد لقب (عالم العرب) نسبة إلى هذا الإسم، وتوجد صورة جماعية لزيارة الشيخ حبيب آل إبراهيم المهاجر العاملي للبصرة، منشورة في مجلة (العرفان) اللبنانية كتب تحتها أسماء المصوّرين فيها، وكان منهم الوالد، وكتب لقبه وبعد اسمه (عالم العرب).

والإسم الرسمي لها هو (صبخة العرب)، ومدرستها تسمى (مدرسة صبخة العرب)، ومستوصفها سمي (مستوصف صبخة العرب) لأنه الإسم الرسمي لها في سجلات الدوائر الحكومية.

وكان من عزم الحكومة التركية إنشاء سد على الفرات أو دجلة لتلافي تأثير تدفّق المياه على الغراف، ولكن «جاءت الحرب العامة بكوارثها فحالت دون إنشاء سدة الكوت، وانتقل العراق من الأتراك إلى الانكليز، ومن هؤلاء إلى العراقيين، والغراف يضمحل سنة بعد أخرى وعشائر الغراف تظعن إلى البصرة وسائر الجهات»[٢].

وكان هذا هو عامل نشوء هجرة أهالي صبخة العرب إليها.

وأيضاً أشار إلى هذا السبب كعامل هجرة حسن العلوي في كتابه (الشيعة والدولة القومية في العراق) - ص ٢٥٠ -، قال: «والغراف كما يصفه عبد الرزاق الحسني (سرّة العراق)، عظيم البركة، حتى قيل إنَّ مجراه هو مجرى دجلة القديم، وتمتد على جانبيه أعظم مزارع الحبوب في المنطقة والتي كانت تصدر انتاجها إلى معظم بلدان أوروبا.

وحول الغراف تعيش قبائل شيعية عربية انقطعت إلى الزراعة منذ عهد قديم، وحتى إذا أخذ بالجفاف لترسُّب مياه الفيضانات، مما سبب ارتفاعاً في قعره وانخفاضاً في كميات مياهه لعدم عناية إدارة الري فيه، بدأت جموع الفلاحين تنزح عنه».

---

(١) جاء في (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ٢٥٢) ما نصه: «وتقطن على الغراف القبائل العربية الشيعية الضخمة ذوات البطون والأفخاذ والعدة والعدد كآل سراج وميّاح وبني ركاب وآل حُميّد والشويلات والعبودة وبني زيد والبوسعد وبني سعيد وخفاجة وآل إزيرج وآل إبراهيم وبني مالك، وغير ذلك كعُكيل والقراغول ممن هم أقل عدداً من أولئك».

(٢) م. ن.

فكان أن هاجر إليها من سأشير إليهم من أبناء ناحية الغراف التابعة لولاية الناصريّة (المنتفك) والساكنين على ضفتي نهر الغراف الممتد من الكوت حيث يلتقي بنهر دجلة، إلى الناصرية حيث يلتقي بنهر الفرات فيوصل بين الرافدين.

وهو من مشروعات الريّ التي عملتها الحكومة لاستصلاح الأراضي بين المدينتين المذكورتين، وكان أكثر ما يزرع فيها الحبوب كالحنطة والشعير.

ويرجع سكان هذه القرية (صبخة العرب) في أصولهم العرقية وأنسابهم إلى:

- خفاجة.
- العبودة.
- بني زيد.
- البوصالح.
- بني ركاب.
- بني شهاب.

وكان الرئيس العام آنذاك - أو كما يسمونه شيخ العموم - لعشيرة خفاجة الشيخ صكبان العلي، وللعبودة الشيخ خيون العُبيد، وللبوصالح الشيخ بدر الرُميّض.

وكان لكل من الأخيرين دور تاريخي معروف أيّام الاحتلال الانكليزي، يمكن تعرفه من كتاب (الكويت وجاراتها) لديكسون، وغيره من الكتب التي أرخت للاحتلال الانكليزي لأرض العراق.

ويمارس أبناء هذه القرية أعمالهم في مدينة البصرة، ويغلب عليها البناء وتجارة المواشي.

وكانت ظاهرة الأمية والتخلُّف المدني هي السائدة فيهم وعليهم، فكانوا يرسفون في بعض التقاليد والعادات غير المرضية، شأنهم في هذا شأن عامة العشائر العراقية آنذاك.

مجلس الوالد ودوره الديني والمدني:

ويوم نزلها الوالد - رحمه الله تعالى - كان فيها مسجد واحد، وثلاث حسينيات لكل من خفاجة والبوصالح والعبودة.

وإلى جانب المسجد أشاد أهل القرية بيتاً للوالد يضم مجلساً كبيراً. والوالد - كما سنعرف - كان دقيقاً في تنظيم شؤون حياته، وشديداً في الالتزام بما يقننه من نظام.

ومن هذا أن جعل مجلسه العام من الساعة الواحدة غروبية ليلًا، وحتى الساعة الرابعة.

وكان ما يدور في مجلسه لا يخرج عن دائرة الإرشاد والتوجيه وتعليم الأحكام الشرعية، لأنه لا يسمح أن يدور فيه غير هذا.

وبهذا استطاع أن يكرّس هذا الوقت من كل يوم للتثقيف.

وبتأثير ما ألقاه من معلومات استطاع أن يرفع من مستوى الكثيرين ممن كانوا يحضرون المجلس، ثقافياً، وأن ينتشلهم من وهدة التخلف الثقافي الديني إلى مستوىً كانوا يضارعون به - وقد يتفوقون - أقرانهم ولداتهم من سكان المدينة، فأصبح فيها المجمع من المتعبدين عن معرفة والمتدينين عن فقه.

أما ما أشرت إليه من عادات غير مرضية، والتي كانت تكون في المناسبات العامة كالأعياد وأمثالها، استطاع القضاء عليها بأن جنّد وجوه وكبار كل عشيرة من العشائر التي مرَّ ذكرها لمكافحتها وتحت قيادتها وبتوجيهه.

وتم له ما هدف إليه من تغييرها إلى عادات دينية محببة.

وكان هذا خلال السنة الأولى من نزوله بين ظهرانيهم.

ومن آثاره أيضاً أن سعى لدى الدولة بتطوير القرية مدنياً، فذهب لأجل هذا إلى بغداد لمقابلة المسؤولين في الوزارات المعنية ثلاث مرات.

وجاء من نتائج هذا:

١ - أن أوصل إليها الماء العذب عن طريق نصب خزان إسالة ماء كبير في القرية.

٢ - وفتحت في القرية مدرسة أولية، تحولت بعد مدة إلى ابتدائية، ثم أنشئت إلى جانبها مدرسة متوسطة.

٣ - وفتح مستوصف صحي.

٤ - ثم عبّد وزفّت الطريق الذي يربط القرية بمركز المدينة.

وكان يوم افتتاح وتدشين إسالة الماء يوماً مشهوداً في القرية، حيث أقامت متصرفية اللواء حفلًا كبيراً بالمناسبة حضره كبار المسؤولين في اللواء وأعيان المدينة.

وكانت لسماحة الوالد فيه كلمة بالمناسبة، ضمنها ترحيبه بالحاضرين وشكره بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن أهالي القرية للمسؤولين الذين ساهموا في هذه المشروعات الحيوية، ألقاها بالنيابة عنه الأستاذ سلمان العبدال من أبناء القرية، وهو موظف إداري في مؤسسة سكك حديد الحكومة العراقية.

وكانت ديوانية الوالد - طيّب الله ثراه - نهاراً - في أغلب الأيام - ملتقى العلماء ومنتدى تبادل المعلومات واثارة المسائل العلمية للنقاش والحوار والبحث.

وأغلب من كان يزوره رداً على زيارته لهم:

- الشيخ حبيب آل قرين.
- السيد مهدي القزويني.
- الشيخ عبد المهدي المظفر.
- الشيخ مهدي الحجار.

غير الذين ينزلون على ضيافته قادمين من النجف الأشرف، ومن الأحساء والقطيف والبحرين وغيرها.

وغير الولائم التي كان يقيمها على شرف عالم مقيم وآخر قادم، فيكون فيها مجلسه المنتدى العلمي العامر والحافل.

ومنها: الوليمة الكبرى التي أقامها على شرف السيد ناصر الموسوي الأحسائي عند قدومه البصرة من النجف الأشرف متوجهاً إلى الأحساء. والتي دعا إليه أكابر علماء البصرة وأكابر أعيانها ووجهاء القرية، فكانت - بحق - من أروع المناسبات، ومن أحفل اللقاءات العلمية، بما دار فيها من أحاديث، وبما جرى من تعارف بين الضيف الكريم والمدعوين.

وممن أتذكره من الضيوف الذين نزلوا عليه في القرية وعمر بهم مجلسه العلمي السيد باقر الشخص الأحسائي والخطيب السيد شرف التوثيري الأحسائي وغيرهما ممن لا تحضرني أسماؤهم الآن.

كما أتذكر أنه كان يلتقي كثيراً السيد عيسى كمال الدين (ت١٣٧٢هـ) شقيق الشاعر المشهور السيدجعفر الحلي، وهو زعيم ديني من زعماء الاصلاح، في مقره بمحلة الصبخة الكبيرة في البصرة الذي فرضت عليه فيه الإقامة الجبرية، ويدور الحديث بينهما في لتاريخ السياسي العراقي والتاريخ العام إلى شيءٍ من الأدب العربي وشؤون عالم النجف الأشرف، وما إلى هذا.

الصلح بين آل قرين والقزويني

كان الشيخ حبيب آل قرين الأحسائي عند عودته من النجف الأشرف وقبل رجوعه إلى قرية (گردلان) في البصرة، قد سكن الكويت عالماً دينياً ومرجع تقليد للأحسائيين الأصوليين المقيمين في الكويت.

وكان السيد مهدي القزويني الكاظمي - هو الآخر - بعد عودته من النجف الأشرف وقبل سكناه البصرة قد سكن الكويت عالماً دينياً للعجم المقيمين في الكويت.

وكانا - السيد والشيخ - العالمين البارزين في الكويت، فكان المتوقع أن يشد كل منهما أزر الآخر للنهوض بأعباء الوظيفة الدينية التي أنيطت بكل واحد منهما.

ولكن قوماً من ذوي السوء، ولدوافع قد تكون شخصية مغرضة، وقد تكون سياسية مخرّبة، وشوا بالشيخ عند السيد - زوراً وبهتاناً - في أنه يعتنق العقيدة الشيخية، فشن السيد على الشيخ حملة هجوم عنيفة، وألف في النيل منه كتابه الموسوم (بوار الغالين) - المطبوع سنة ١٣٣٢هـ -.

وكان موقف الشيخ من هذا، أن اعتصم بالصمت إخماداً لنار الفتنة، وحفاظاً على وحدة الكلمة، ووقوفاً بوجه المغرضين أن يصلوا إلى أهدافهم الدنيئة.

وانتقل السيد إلى البصرة - كما ألمحت - وسكن في محلة العروة، ثم في محلة التحسينية.

وانتقل الشيخ إلى البصرة أيضاً، وسكن في قريته المعروفة بـ(گردلان)، والواقعة في الضفة الشرقية لشط العرب.

والبصرة، منذ أن أسست هي ملتقى الأفكار المختلفة والمخالفة، ومصطرع الأيديولوجيات المتنوعة.

وقد يرجع هذا إلى طبيعة بيئتها المناخية، وربما عاد إلى طبيعة موقعها الجغرافي الذي يشكل نقطة التقاء لحضارات شتى.

ولعل تفسير تسميتها (البصرة) بأنها تعريب للعبارة الفارسية (بس راه) التي تعني (وراء الطريق)، لأنها تقع على حافة الطرق البرية التي تربط جزيرة العرب بالعراق وبما وراء النهرين، وعلى حافة الطرق البحرية التي تربط العراق وجزيرة العرب ببلاد الهند وسواحل البحار، يؤيد ما ذكرت.

ومن طبيعة هكذا ملتقيات كما تجلب إليها البضاعات التجارية المادية، وتتفاعل على أرضها بيعاً وشراءً، تجلب إليها الأفكار والآراء، وتتفاعل فيها أخذاً وعطاءً، وصراعاً يهدف إلى بقاء الأقوى أو الأصلح.

وحين نزلها الشيخ والسيد كانت لا تزال على وضعها من احتوائها للأفكار المتعددة المتضاربة، فقد كان فيها آنذاك اتباع الأديان السماوية الثلاثة بفرقهم ومذاهبهم المختلفة.

ويبدو أن السيد كان من المتخصصين والمتفرغين للمنازلة الفكرية، فقد كان يصارع في أكثر من جهة، ومؤلفاته في الردود تعرب عن هذا، ففيها الرد على الملحدين مثل (حلية النجيب) و(حيلة اللبيب) في الرد على الماديين.

وفيها الرد على المسيحيين مثل (حي على الحق) في رد كتاب (المسيح في الإسلام) لبعض النصارى، و(لسان الحق) في الرد على أحد النصارى.

وفيها الرد على أهل السنة مثل (منهاج الشريعة) في الرد على كتاب (منهاج السنة) لابن تيمية، و(هدى الغافلين إلى الدين المبين) في الرد على ابن حزم الأندلسي الظاهري.

وفيها الرد على الأخبارية مثل (ضربات المحدثين على الحق المبين).

وفيها الرد على الشيخية الرُكنية مثل (غش الركنية وغفلة البرية)، و(بهتان الركنيّة).

وفيها الرد على الشيخية الكشفية مثل (ظهور الحقية على فرقة الشيخية)، وغيرها.

ومن الطبيعي عندما يحل مثل السيد القزويني في مثل بيئة البصرة يزداد نشاطه ويكثر انتاجه في النقد والرد لتعاضد الشخصية والبيئة على ذلك.

ومن هنا استمر السيد القزويني في مهاجمة الشيخ آل قرين، فصار الشيخ جبهة، من جبهات منازلاته الفكرية.

وتضخم الموقف لمساعدة بيئة البصرة على ذلك، فرأى سماحة الوالد - قدس سره - وهو صديق لكل من طرفي الموقف الشيخ القريني والسيد القزويني أن يدخل بينهما لاصلاح ذات بينهما، فاختار - كما سمعت ذلك منه رحمه الله - الخطيب الشيخ عبد الحميد الهلالي[١] والأستاذ محمد جواد جلال[٢]، ليكونا معه حاضرين وشاهدين على ما يدور من حوار بينه وبين كلٍّ من طرفي الموقف.

---

(١) الشيخ عبد الحميد بن إبراهيم الهلالي الأحسائي «كان من خطباء المنبر الحسيني المشهورين بقوة الحافظة وسلامة اللغة ورواية المأثور والمتواتر من السنة الشريفة وأخبار أهل البيت انظر: الشيخ الهلالي: سيرة مثلى وعطاء مستمر بقلم الأستاذ محمد سعيد الطريحي تقديماً للملحمة العلوية نظم أخينا العزيز الخطيب المجدد الشيخ جعفر الهلالي نجل المترجم له ولد الشيخ عبد الحميد في البصرة، وفيها نشأ خطيباً موفقاً حتى عد من كبار خطبائها، ثم انتقل إلى النجف الأشرف مجاوراً حتى توفاه الله تعالى سنة ١٤٠٦هـ. وكان الشيخ الهلالي من تلامذة الوالد المقربين لديه، فقد درس عليه النحو والصرف من خلال شرح قطر الندى لابن هشام وشرح ألفية ابن مالك لابن الناظم، والفقه من خلال تبصرة المتعلمين للعلامة الحلي وشرائع الإسلام للمحقق الحلي.

ترجم له مفصلاً الحاج جواد آل رمضان في كتابيه (الكشكول) و(مطلع النيرين في ذكر أعلام الحسا والقطيف والبحرين).

(٢) كان الأستاذ جلال في مبدأ أمره خطيباً حسينياً، ثم تحول إلى معلم فمدرس، وذلك عندما فتحت الحكومة العراقية الهاشمية المدارس الابتدائية وجعلت التعلم فيها إلزامياً احتاجت إلى العدد الكثير من المعلمين، فأخذت تدعو المتعلمين من أئمة المساجد وخطباء المنبر إلى التعليم فيها. فعُين أولاً معلماً ابتدائياً ثم مدرساً متوسطاً فثانوياً، واستمر على هذا حتى سن التقاعد. =



صورة الأستاذ محمد جواد جلال بين عدد من طلابه في ثانوية البصرة

فبدأ بمقابلة السيد القزويني ومفاتحته بالسعي للصلح بينه وبين الشيخ آل قرين.

وبدأ - قدس سره - حديث الصلح مع السيد بقوله: ما الذي تأخذه على الشيخ آل قرين؟

قال: اعتقاده معتقد الشيخية!

قال: لو أثبتنا لك بالوثائق المصدَّقة التي لا تقبل الرد أن اعتقاده لا يختلف عن اعتقادنا ماذا سيكون موقفك منه؟

قال: هو الحل الذي سيؤدي إلى الصلح من غير ريب!

وأشهد - يرحمه الله - مرافقيه الخطيب الهلالي والأستاذ جلال على المحضر.

وذهبوا إلى گردلان يمخرون عباب شط العرب بزورق شراعي عشاري، وقابلوا

= وانتدب بعد ذلك لالقاء محاضرات في مادة النحو والصرف بكلية الآداب جامعة البصرة.
كان أبرز أدباء البصرة في عصره شعراً ونثراً وخطابة، فلا يقام حفل في أية مناسبة أدبية أو ثقافية أو دينية إلاّ وكان الأستاذ جلال خطيبه اللامع.
وكان كثيراً ما يدعى لإلقاء محاضرات عامة في مختلف المناسبات وشتى المؤسسات الثقافية والدينية.
وأسس جمعية الرابطة الثقافية في البصرة، وجعل مقرها في بستانه بمحلة العروة، وتولى رئاستها.
ولقب - عن جدارة واستحقاق - عميد الأدب البصري.
ونشر له أكثر من كتاب، أهمها (فلسفة الإمام) المنشور حلقة في سلسلة حديث الشهر التي كان يصدرها في الكاظمية الأستاذ عبد الأمير السبيتي.
وكان الأستاذ جلال من تلامذة الوالد، فقد درس عنده حاشية ملا عبد الله في المنطق، وكشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد في علم الكلام.
توفي - رحمه الله تعالى - في أوائل القرن الخامس عشر الهجري.

الشيخ القريني، وفاتحه الوالد بموضوع الاصلاح بينه وبين السيد القزويني، فرحّب بذلك مستبشراً، ليقضي على الفتنة التي امتدَّ أوارها وبازدياد من الكويت إلى البصرة.

فطلب الوالد منه أن يكتب معتقده بخطه ويختمه بختمه، فأجاب وعادوا بالجواب وثيقة مدونة بخط يده وممضاة بختمه الرسمي إلى السيد القزويني.

وعندما اطّلع السيد القزويني على الوثيقة تراجع عن موقفه، وصعد المنبر ظهر يوم الجمعة في مسجده المعروف بمسجد السيد ناصر عبد الصمد، وبعد أن أنهى مقدمة خطبته بالبسملة والحمدله والثناء على الباريء تعالى بما هو أهله والصلاة على نبينا محمد وآله، أثنى على الشيخ حبيب آل قرين ثناءً عاطراً، وقال - فيما قال من ثناء - «لو كان الأئمة المعصومون ثلاثة عشر لقلت: الشيخ آل قرين هو الإمام الثالث عشر».

وجمع الوالد بينهما في مجلسه، ثم أقام كل واحد منهما للآخر وليمة كبرى في داره.

وتمَّ الصلح بينهما وانتهى ما كان إلى أخوة ووئام.

وفي سنة ١٣٥٨هـ توفي السيد القزويني، وانتقل الشيخ آل قرين إلى الأحساء بطلب من أهلها ليقوم بوظيفة المرجع الديني بعد وفاة السيد ناصر الموسوي (ت١٣٥٨هـ)، وبقي في الأحساء إلى أن توفاه الله تعالى سنة ١٣٦٣هـ.

في مدينة البصرة

وفي أوائل الستينات ابتاع الوالد لنا داراً في مدينة البصرة بمحلة المجصَّة.

فكان يقضي نهاره فيها، وليله في القرية، وتحول بهذا مجلسه العلمي من القرية إلى المدينة، وأخذ العلماء من البصرة وخارجها يفدون إليه فيها.

وقد استقبل فيها المرجع الديني الشهير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، عندما مرَّ بالبصرة قادماً من إيران إلى النجف، وأقام له حفلًا تكريمياً كبيراً حضره العلماء الوكلاء في البصرة آنذاك.

كما استقبل فيه المرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي عند مروره بالبصرة قادماً من النجف إلى إيران.

والسيد الخوئي - دام ظله - هو آخر من أرجع إليه الوالد في التقليد، وذلك بعد وفاة السيد الحكيم سنة ١٣٩٠هـ، وتوكل عنه بالوكالة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه وأفضل بريته محمد وعترته الطاهرين:

وبعد:

فلا يخفى على أخواننا المؤمنين - وفقهم الله تعالى لمراضيه - أن جناب العالم الفاضل والمهذب الكامل ملاذ الأنام حجة الإسلام الورع التقي الثقة المعتمد الشيخ ميرزا محسن - أيّده الله تعالى وسدَّد خطاه - مأذون من قبلنا في التصدي للأمور الحسبية المنوطة بإذن الحاكم الشرعي، ووكيل عنا في صرف مقدار حاجته المعاشية مما يقبضه من حق الإمام عليه وعلى آبائه الكرام أفضل التحية والسلام، والزكوات، والمظالم، والنذور المطلقة، والكفارات، وصرف نصفها في مواردها المقررة الشرعية، وإيصال الباقي إلينا لإقامة الحوزات العلمية.

وينبغي للمؤمنين القيام بما يحق له من الإعزاز والإكرام والتبجيل والاحترام، فإنه أهل لذلك.

وأوصيه - دامت تأييداته - بملازمة التقوى، وسلوك سبيل الاحتياط، فإنه ليس بناكب عن الصراط من سلك سبيل الاحتياط، وأن لا ينسانا من صالح الدعوات.

والسلام عليه وعلى سائر إخواننا المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

٢٢/ع٢/ سنة١٣٩٠هـ

أبو القاسم الموسوي الخوئي

ووكيل عنا في صرف مقدار حاجته المعاشية مما يقبضه
من حق الامام عليه وعلى آبائه الكرام افضل التحية والسلام
والزكوات والمظالم والنذور المطلقة والكفارات
وصرف نصفها في مواردها المقررة الشرعية وايصال الباقي
الينا لاقامة الحوزات العلمية وينبغي للمؤمنين القيام بما
يحق له من الاعزاز والاكرام والتبجيل والاحترام
فانه اهل لذلك واوصيه دامت تأييداته بملازمة
التقوى وسلوك سبيل الاحتياط فانه ليس بناكب
عن الصراط من سلك سبيل الاحتياط وان لا ينسانا
من صالح الدعوات والسلام عليه وعلى سائر اخواننا
المؤمنين ورحمة الله وبركاته ابو القاسم الموسوي الخوئي
٢٢/ ع ٢ سنة ١٣٩٠



«صورة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في بيتنا بالبصرة أثناء زيارته له»

تبادل الزيارات العلمية:

واعتاد أكثر من واحد من العلماء التردد على البصرة، وكانوا في كل مرة يقدمون إلى البصرة يزورون الوالد ويزورهم في محال اقاماتهم، ويدعوهم لتناول طعام الغداء عنده.

وفي كل لقاء يثار النقاش حول مسائل مختلفة من الفقه وأصوله والفلسفة الإلهية وعلم الكلام أو من علوم أخرى ملابسة لها.

وأتذكر منهم:

- السيد علي شبّر (ت١٣٩٣هـ)

وكان ينزل في منزل السيد عباس بن السيد محمد شبر من أبناء عمومته في محلة يحيى زكريا.

- الشيخ عباس المظفر

وكان ينزل في العشار في محلة التميمية عند أحد معارفه.

- الشيخ محسن المظفر (ت١٣٧٩هـ)

وكان ينزل في العشار في دار ابن أخيه الشيخ محمد حسن بن الشيخ عبد المهدي المظفر (ت١٣٨٨هـ).

- الشيخ إبراهيم الكرباسي (ت١٤٠٧هـ)

وكان ينزل في منزل السيد شمخي الشطري بمحلة الجمهوريّة، وهو كبير أهالي الشطرة المقيمين في البصرة.

- الشيخ محمد طاهر الخاقاني (ت١٤٠٦هـ)

وكان ينزل في دار السيد هاشم السيد حسين في محلة أبي الحسن.

- الشيخ سلمان الخاقاني (ت١٤٠٨هـ)

وكان - هو الآخر - ينزل في دار السيد هاشم المذكور، وهو - أعني السيد هاشم - من أهالي المحمرة الذين هاجروا منها بسبب ضغط الشاه رضا بهلوي على المتدينين، وسكنوا البصرة، وكان أهل المحمرة يسمون هؤلاء بالمهاجرين.

وأتذكر ممن كانوا يمرون بالبصرة قادمين من النجف إلى ديار أخرى، أو قاصدين النجف من ديار أخرى، ونزلوا ضيوفاً على الوالد، أو يزورونه لوجودهم في البصرة، ويعمر المجلس بهم علمياً:

- الشيخ عبد الحسين شحتور، عند ذهابه إلى حج بيت الله الحرام، وهو من علماء سوق الشيوخ، وكان معترفاً له بالاجتهاد.

- الشيخ عبد الله السبيتي، وهو من علماء لبنان، وكان مقيماً في الكاظمية، له مؤلفات، منها:

- تحت راية الحق «في الرد على كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين المصري».
- والمباهلة.
- أبو ذر الغفاري.
- سلمان الفارسي.
- عمار بن ياسر. وغيرها.

وتحت إشرافه أصدر ابنه الأكبر عبد الأمير السبيتي في الكاظمية سلسلة (حديث الشهر)، وهي مجموعة حلقات من كتب صغيرة تصدر شهرياً، ومما صدر منها حسبما اتذكر:

- المختار من شعراء الأغاني، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.
- أباة الضيم، الشيخ جعفر النقدي.
- شاعر العقيدة السيد الحميري، السيد محمد تقي الحكيم.
- الأخلاق عند الإمام الصادق، الشيخ محمد أمين زين الدين.

حجر بن عدي، الشيخ عبد الله السبيتي.

- فاطمة الزهراء، السيد محمد جمال الهاشمي.
- أم سلمة، الأستاذ زكي بيضون.
- خديمة أم المؤمنين، الشيخ عبد الله العلايلي.
- الإمام الصادق ملهم الكيمياء، الدكتور محمد الهاشمي.
- سكينة بنت الحسين، الأستاذ توفيق الفكيكي.
- فلسفة الإمام، الأستاذ محمد جواد جلال.

- السيد راضي آل السيد عثمان من علماء الناصرية، عند ذهابه إلى إيران لزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام.

- السيد باقر الشخص، عند رجوعه من الأحساء، وهو من العلماء الأحسائيين القاطنين في النجف الأشرف، وكان من أساتذة الحوزة العلمية المعروفين، ومعترفاً له بالاجتهاد.

- الشيخ علي آل عيثان، عند رجوعه من الأحساء، وهو من العلماء الأحسائيين المجاورين بكربلاء المقدسة والأساتذة المرموقين في حوزتها العلمية، ومن المجتهدين.

- الشيخ محسن الخليفة، قادماً من العتبات المقدسة في العراق متوجهاً إلى الأحساء، وهو من علماء الأحساء في المبرز وأئمة الجماعة فيها.

- الشيخ عبد الله بن الشيخ محسن الخليفة الأحسائي، قادماً من النجف في طريقه إلى الأحساء، وهو من علماء الأحساء في المبرز، وأحد أعضاء هيئة التمييز الجعفري في الأحساء.

- الشيخ باقر أبو خمسين، عند رجوعه إلى الأحساء، وهو من علماء الهفوف في الأحساء والأدباء الأحسائيين، والقاضي الجعفري في الأحساء.

- الشيخ فرج العمران القطيفي، قادماً من العتبات المقدسة في العراق وإيران، في طريقه إلى القطيف.

وهو من علماء القطيف وأدبائها المرموقين، وله مؤلفات كثيرة، منها:

- موسوعته (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية).

- و(الروضة الندية).

- و(ثمرات الارشاد). وغيرها.

وأشار إلى إحدى زياراته في كتابه (الأزهار الأرجية: ٥/ ١٧١) بقوله: «في يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر المؤرخ (شهر شوال من سنة ١٣٧٣هـ) توجهنا إلى زيارة العلامة الشيخ ميرزا محسن الأحسائي في منزله العامر في جسر العبيد، أنا والشيخ حسين وعبد المهدي.

وفي أثناء توجهنا إليه استقبلنا السيد النجيب السيد حامد بن العلامة السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد أحمد السويج، فأدخلنا محله في المسجد الجامع، فشربنا عنده القهوة، ثم قدم لنا السيارة وحضر معنا إلى منزل الميرزا محسن، فبقينا عنده إلى العصر، وتناولنا الطعام عنده وقت الظهر، ومعنا السيد حامد، شكر الله سعيه.

وقدّمت للميرزا نسخة من (ثمرات الارشاد).

ولما صار العصر قدّم لنا الميرزا سيارة، وأتينا إلى منزلنا في العشّار».

- الشيخ محمد علي العمري، وهو العالم الوكيل في المدينة المنورة، ومن أصدقاء الوالد المقرَّبين لديه.

- الشيخ أحمد أبو حليقة الأحسائي، من علماء الهفوف في الأحساء ثم انتقل إلى إيران في يزد ثم قم تاجراً، وتوفي هناك.

- الشيخ أسد حيدر، صاحب الموسوعة (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة).

- الأستاذ علي الخاقاني، صاحب مجلة (البيان) النجفية المعروفة، وقد كتب عن هذا في مجلته (البيان: السنة الثالثة: العدد ٦٥ - ٦٦، ص٥٠٠)، قال - تحت عنوان (مع العلامة الفضلي) -: «والعلامة مرزه محسن الفضلي شخصية ثمينة، أجمع المعظم على حبها، فقد تحلّى بصفات يحتاج صاحبها إلى قابلية وهدوء نفسي كما حصل عليه، فهو مرن لأبعد حد، لا يغضب على الأكثر، ويكثر من الزيارات والتودد لأصدقائه، أو باسلوب أجلى، يتفقد أصحابه أكثر مما يتفقدونه، لا يكاد يمر عالم أو أديب على البصرة إلّا والعلامة الفضلي يبدؤه بالزيارة على تقدمه في السن والعلم.

خلوق بدون تكلف، لا يريد السوء بأحد.

تعرفت عليه قبل عشرين عاماً يوم أن كان في النجف يحضر محاضرات الإمام النائيني، ويدرّس الفقه والأصول.

ولقد تمشت المعرفة والصلة معه إلى أبعد من هذا الحد، فقد تلمذ على جدي المرحوم الشيخ علي الخاقاني، واقتدى برأيه، كما اقتدى به معظم أهالي الأحساء والبحرين آنذاك، وبذلك واصل حبه ولطفه، وتجلى ذلك في زيارتي للبصرة عام ١٩٤٥م عندما اعتكفت في (المكتبة العباسية) مائة يوم أو تزيد في دار المشايخ آل باش أعيان العباسيين.

كان حضرته في خلالها لا يبرح زيارتي إن لم يكن في كل يوم، فبين يوم وآخر، كأن له ولداً عزيزاً يندفع إلى استطلاع أحواله بدافع نفسي.

بهذا الخلق العالي أخذت أواصل حبي له وأتحرّى مجالسه عند ترددادي على البصرة في كل عام، فتراها لا تخلو من معالجات علمية دينية وأخلاقية على طريقة أرباب الفضيلة قبل سنين.

وحواره في الحديث لم يخرج عن حدود الأدب والاتزان، فهو مستمد من طبعه الوادع، يعالج الموضوع معالجة يبن المجاملة والحق طمعاً بالاستمرار الذي يفضي إلى إطالة الوقت والاطلاع الزائد.

اقتدى بسيرة الأوائل، وتحصن بالتعفف، واكتفى من دنياه باليسير، وابتعد عن حب الظهور، وتجنب الدعاية الكاذبة».

- السيد أمان القطيفي المتوفى سنة ١٣٦٥هـ.

- السيد كاظم بن السيد علي الحسيني الخضري (ت١٣٧٠هـ).

كان عالماً فاضلًا وخطيباً حسينياً، واعظاً، ومن أبرز أمثلة ونماذج التقوى والورع، والعفة والنزاهة.

وممن يثق بالوالد وثوقاً تاماً في علمه وتقواه، ومن آثار هذا الوثوق أن رحل من بلدته (الخضر) إلى (البصرة) بعد وفاة الميرزا حسين النائيني الذي كان يرجع إليه في أمور تقليده، ليأخذ رأي الوالد فيمن يرجع إليه بعده، فأرشده الوالد - في حينه - إلى تقليد الشيخ محمد رضا آل ياسين، لأنه كان يرى أعلميته بالنسبة إلى معاصريه.

كان هذا السيد الجليل يدعى إلى البصرة سنوياً من قبل بعض التجار من آل الحجاج (جمع حاج) لقراءة التعزية لمدة عشرة أيام.

وكان مدة إقامته في البصرة يلتقي الوالد ويلتقيه إن لم يكن يومياً ففي أكثر هذه الأيام العشرة.

- الشيخ محمد أمين زين الدين، وهو من العلماء الفضلاء، والأدباء الكتّاب الكبار، أصدر عدة مؤلفات، منها: (مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية) و(الأخلاق عند الإمام الصادق)، و(العفاف بين السلب والإيجاب) و(إلى الطليعة المؤمنة)، والموسوعة الفتوائية القيّمة (كلمة التقوى) التي كتبها لعمل مقلديه في البحرين وغيرها، حيث يحتل الآن مركز المرجع الديني الوحيد للأخباريين.

- الشيخ علي زين الدين (ت١٤٠٦هـ) شقيق الشيخ محمد أمين زين الدين.

كان من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ومن أبرز من اشتهروا بتدريس كتاب (كفاية الأصول) حيث تخرج به العدد الكبير من طلاب الحوزة النجفية.

- وغيرهم.

مجلس الجمعة

طلب بعض الأساتذة البصريين من الوالد أن يجلس صباح كل جمعة مجلساً علمياً، تعالج فيه بعض المسائل والقضايا العلمية.

ووافق سماحته على ذلك، وتم انعقاد المجلس في الموعد.

وكان الأستاذ المبّرز فيه محمد جواد جلال، فكان أكثر الحاضرين عطاءً في طرح التساؤلات، واثارة المشكلات، للحوار والمناقشة.

ويليه في المجال نفسه السيد طاهر أبو رغيف، وكان حضوره بعد تقاعده من الوظيفة، وعند تفرُّغه للعمل الثقافي. وكان هو الآخر من تلامذة الوالد المقربين عنده، فقد قرأ عليه (شرح الباب الحادي عشر) في العقيدة، وجملة من المسائل الفقهية الفتوائية من خلال كتاب (منهاج الصالحين) للسيد الحكيم.

وقد أصدر هذا السيد مدة تفرغه، وقبل أن يغتاله البوليس البعثي بدهس سيارة من سياراتهم له يوم ٢٦/٥/١٩٧٧م، أصدر العديد من المؤلفات من أهمها:

- التوبة والعفو الإلهي، الذي ردَّ فيه على السيد أمير محمد القزويني في كتاب (الغفران مع التوبة).

وبه اشتهر في الأوساط العلمية، وقرظه له غير واحد من العلماء.

- مع الأستاذ خروفة في شرحه لقانون الأحوال الشخصية، وهو رد الشيخ علاء الدين خروفه الموصلي القاضي السنّي في البصرة، وعنوان كتابه كاملًا (شرح قانون الأحوال الشخصية رقم (٨٨) لسنة ١٩٥٩م: يتضمن مقارنة القانون العراقي مع قوانين البلاد العربية وبيان الأحكام المماثلة في الشرائع الإسلامية واليهودية والمسيحية وفي القانون الروماني والقانون الفرنسي، طبع بجزئين في بغداد سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣م.

وأحياناً عندما لا يطرح شيء، يقوم الوالد نفسه باثارة بعض المشكلات العلمية أو الفلسفية أو الفكرية بعامة.

كان هذا المجلس - وبحق - من المجالس الثقافية الخاصة المفيدة. وقد استمر انعقاده حتى مغادرة الوالد البصرة إلى الكويت فالخبر.

في الزبير

وكان الوالد بعد أن ينفض عقد المجلس - المشار إليه فيما تقدم - حوالي الساعة العاشرة زوالية صباحاً يغادر البصرة إلى الزبير ليصلي الظهرين إمام جماعة في جامع الحسائية.

وكان بعض الأحيان يعقب الصلاة بشيء من الوعظ والارشاد من على المنبر.

وكان يجلس قبل الصلاة في ديوانية أبناء الحاج عيسى العيسى الحرز الأحسائي للإجابة على أسئلة المستفسرين الدينية ممن اعتادوا ارتياد هذه الديوانية أو غيرهم.

وقد تربى على يديه جماعة من الشبان المقيمين في محلة الحسائية من الأحسائيين ومن أبناء العمارة، فكانوا من أوعى وأخلص الدعاة إلى الله تعالى.

وللأسف، حيث تعرض بعضهم للسجن من قبل الحكومة العراقية البعثية وبعض للتعذيب حتى مات تحت وطأته، وآخرون للإعدام.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١)



التقطت هذه الصورة في البصرة بتاريخ ٣/ ٥/ ١٩٥٠م.

وتضم عن يسار الوالد السيد عباس البطاط والسيد ناصر البطاط وهما من سكنة حي الحكيمية ثم ولده أخي عبد الجليل فالشيخ حسين الفيلي إمام جامع الصحاف في الكويت فالحاج عبد الوهاب السلمي من سكنة محلة الخليلية، والثالث عن يمينه هو عبد الله العلي من سكنة كوت الدُخيّل في صبخة العرب ومن منسوبي بلدية البصرة.

أسفاره وتنقلاته

الديار والمشاهد المقدسة:

كان - رحمه الله تعالى - مدمن حج وزيارة، فقد حج أكثر من ثلاثين حجة، وكان يقول: إنه لن يتوقف عن الذهاب إلى الحج ما كان في البدن استطاعة صحية على ذلك، وكما قال، لم ينقطع عن الحج إلّا عندما استفحل به الداء وأقعده عن الحركة التي يستطيع معها السفر.

وكان وجوده في الديار المقدسة أيام الحج مفيداً في تعريف كثير من العلماء بالمواضع من مشاعر وغيرها، ومفيداً في الرجوع إليه لاثبات هلال ذي الحجة.

أما الزيارة، فكان في كل سنة يحج أو يعتمر يتشرف بزيارة مرقد رسول الله ﷺ، ومراقد الأئمة المعصومين عليهم السلام والأولياء والمؤمنين في المدينة المنورة.

(١) سورة البروج، الآيتان، ٨، ٩.

ووفاء للصداقة كان في كل مرة يزور المدينة المنورة يزور صديقه فيها الشيخ محمد علي العَمْري، وكان العمري بدوره يرد عليه الزيارة بزيارة، ويدعوه لتناول الغداء عنده.

كما كان - رحمه الله تعالى - لا يبارح مجلس العمري في الصباح، وكعادته عندما يحل مجلساً من مجالس العلماء يعمره بالأحاديث العلمية والدينية المفيدة.

وأيضاً لم تفته زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة ليلة النصف من شعبان من كل سنة.

وربما زاره في يوم عاشوراء.

وزيارة كربلاء تستدعيه زيارة بقية العتبات المقدسة في العراق، فيزور مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، ومرقد الإمامين الكاظميين عليهما السلام في بغداد، ومرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء.

وربما زار مرقد الولي السيد محمد بن الإمام الهادي عليه السلام في ضاحية مدينة بلد.

وقد يزور مرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي وقبور الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين بحضرته في (المدائن) المعروفة بـ(سلمان باك).

وفي كل مرة يزور النجف يعرج على الكوفة لزيارة مرقدي الشهيدين مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة رضوان الله عليه، وللصلاة في مسجد الكوفة، ولصلاة الاستجارة في مسجد السهلة.

وزار مرقد الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد ومرقد أخته السيدة فاطمة بمدينة قم عدة مرات، ربما تجاوزت العشر.

وزار مرقد السيدة زينب بدمشق مرة واحدة، وزار في هذه السفرة شهداء مرج عذراء حجر بن عدي الكندي وأصحابه رضوان الله عليهم، والأماكن المقدسة في (القدس) و(الخليل) وكان في كل مرة يزور فيها النجف الأشرف يزور المرجع الديني؛ والمراجع الذين عاصرهم وأرجع إليهم في التقليد، هم:

- السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت١٣٦٥هـ).
- الشيخ محمد رضا آل ياسين (ت١٣٧٠هـ).
- السيد محسن الحكيم (ت١٣٩٠هـ).
- السيد أبو القاسم الخوئي[1].

(١) توفي السيد الخوئي عام (١٤١٣هـ).

وكانت زيارته لكل من الشيخ آل ياسين من قبل أن يكون مرجعاً، وفاءً لحق الأستاذية وعلاقة الصداقة.

وكذلك زيارته للسيد الخوئي كان من قبل أن يكون مرجعاً، تقديراً لحق الزمالة الدراسية، ووفاءً لعلاقة الصداقة.

كما كان حريصاً على زيارة كل من:

- الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

- الشيخ عبد الكريم الجزائري (ت١٣٨٢هـ)[١].

- الشيخ مرتضى آل ياسين، وهو شقيق المرجع الديني الشيخ محمد رضا آل ياسين، . . . كان بالإضافة إلى بلوغه مرتبة الفقاهة أديباً من أدباء النجف الأشرف، وكاتباً لامعاً من كتّاب الشيعة.

---

(١) كان من العلماء الزعماء، حضر في الفقه على الشيخ محمد طه نجف، والسيد محمد كاظم اليزدي، وفي أصول الفقه على الشيخ محمد كاظم الخراساني.

كان يباحث خارجاً في منزله - الكائن في عقد (طريق) الجزائري من محلة العمارة - ويحضر بحثه ثلة من العلماء والطلاب العرب.

وشارك قائداً ومستشاراً في مقاومة الاحتلال البريطاني للعراق وعمل هو ورفاقه على إقامة الحكم الوطني في العراق.

قال فيه الشيخ محمد رضا الشبيبي: «كان من الأقطاب الذين دارت عليهم رحى الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م، وكان عضداً اعتضد به الثوار، كما كان عوناً لكبار العلماء الذين صدرت عنهم الأحكام المعروفة في وجوب الدفاع عن حوزة البلاد وكرامتها وتحقيق حريتها وسيادتها وحقوقها المشروعة.

لم تكن سلطات الاحتلال خلال استفحال الأزمة قبل الثورة وبعدها تحسب حساباً لأحد من المعنيين بالشؤون العامة كما كانت تحسب حسابها للشيخ الجزائري، فكان هو الكابوس المزعج الجاثم على صدور الحكام السياسيين، وذلك لأسباب، منها: ذكاؤه الوقاد، ومنها: تشبعه بروح الثورة على الاحتلال والمحتلين، وكم حاولوا استبعاده عن المجالس والمؤتمرات، بل حاولوا إبعاده فيمن أبعد من أحرار العراق، وذلك لحنكته ولتمكنه من التبليغ والتعبير عن أماني الشعب في ذلك الحين بأساليب منطقية قوية، بل كانت معظم وسائل الاحتجاج والمطالبة والاستنكار والكتب المشتملة على رغائب العراقيين في الحرية والاستقلال من ترسله على الأكثر» - أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠-. وكان في حياته المعيشية من الزهاد والمتعففين القانعين بالكفاف.

وتربط الوالد به روابط الصداقة الحميمة، فكانت زياراته له ورد زياراته للوالد تأكيداً لهذه الرابطة الشريفة.

- السيد محمد سعيد الحكيم (ت ١٣٩٤هـ).

وهو ابن عم المرجع الديني السيد محسن الحكيم، كان من أصحاب المجالس العامة، ويتمتع بمكانة الزعيم بين العوام من أبناء النجف الأشرف، يرجعون إليه في حل خصوماتهم، كما كان السيد محسن الحكيم يُرجع إليه في القيام بالاصلاح بين الوافدين من أبناء العشائر العراقيّة.

هذا إلى جانب ما عرف به من فضيلة علمية عالية.

- الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي (ت١٣٨٤هـ).

كان من أبرز العلماء العرب في النجف الأشرف في الفقه وأصوله والحكمة الإلهية وعلم الكلام.

وكان بالإضافة إلى هذا من أدباء النجف الأشرف وشعرائها المعروفين. له من المؤلفات: شرح كفاية الأصول - لا يزال مخطوطاً -.

- السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي (ت١٣٨٧هـ).

كان من المرشحين للمرجعية في حينه، ومن الذين عرفوا في تضلُّعهم في الحكمة وعلم الكلام.

له من المؤلّفات:

- بغية الهداة في شرح وسيلة النجاة «في الفقه الاستدلالي».

- منهاج العمل «رسالة فتوائية لعمل مقلديه».

وعلى عادة الوالد - قدس سره - كان في كل مجلس يحلُّ به من مجالس هؤلاء العلماء يحوّله إلى مجلس علمي ثقافي مفيد بما يطرح فيه من مسائل علمية، وبما يثير من مشكلات فكرية، يتبادل فيها المعلومات بينه وبينهم.

وكما كان الوالد يزورهم في مجالسهم كانوا يردون إليه الزيارة في المنزل الذي يقيم فيه.

ففي منزلي - بدء ذهابي إلى النجف - زاره الشيخ آل كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا آل ياسين والسيد جواد التبريزي والسيد محمد سعيد الحكيم والشيخ مرتضى آل ياسين.

وآخرون غيرهم، منهم:

الشيخ عباس الرميثي والشيخ عباس المظفر والشيخ إبراهيم الكرباسي والشيخ محسن المظفر والسيد باقر الشخص والشيخ محمد علي الخمايسي، وصديقه المخلص له السيد علي البكاء، وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم الآن.

وفي الكاظمية كان يزور الشيخ راضي آل ياسين (ت١٣٧٢هـ) وهو شقيق المرجع الديني الشيخ محمد رضا آل ياسين، ومؤلف كتاب (صلح الحسن)، والسيد أحمد الكيشوان وهو شقيق السيد مهدي القزويني نزيل البصرة، وكانا يزورانه في محل نزوله، وتدور بينهم المسائل العلمية كالعادة.

والتقى في دمشق بالسيد حسين مكي إمام الحرم الزينبي وعالم الإمامية بسورية، وهو من الفقهاء المجتهدين، والمؤلفين الإماميين.

التقاه أكثر من مرة مدة إقامته بدمشق، وكان مجال اللقاءات بينهما علمياً أيضاً.

مدن أخرى:

وزار غير المشاهد المقدسة كلّا من:

- سوق الشيوخ:

ونزل فيها بدار خالنا السيد هاشم السيد عيسى البطاط، وهو وجه السادة آل البطاط في مدينة السوق.

ويرجع هؤلاء السادة من حيث النسب إلى موالي الحويزة من قبيلة السادة المشعشعيين.

وكان مدة وجوده في السوق يلتقي بالشيخ عبد الحسين آل شحتور، وهو من العلماء المعترف لهم بالاجتهاد.

ومن آرائه الاجتهادية حرمة شد الرحال لزيارة غير مراقد المعصومين.

وإخال أنه استند في هذا الرأي إلى ما جاء في (الوسائل: ٥/ ٤٤١) تحت عنوان (باب عدم استحباب السَّفر إلى زيارة شيء من القبور غير قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام): عن «محمد بن علي بن الحسين في (الخصال) وفي (عيون الأخبار) عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ياسر الخادم، قال: علي بن موسى الرضا عليه السلام: لا تشد الرحال إلى شيء من القبور إلّا إلى قبورنا، ألا وإنّي مقتول بالسم ظلماً، ومدفون في موضع غربة، فمن شدَّ رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه، وغفر له ذنوبه».

والرواية - ظاهراً - معتبرة.

وقد تحول مجلسه ومجلس الخال السيد البطاط بوجود الشيخ آل شحتور ووجود الوالد إلى مجلسين علميين.

كما كانت الزيارة متبادلة بينه وبين المشائخ آل حيدر علماء السوق.

- **منطقة المحمّرة:**

كان يقصد فيها (الجزيرة) المعروفة بـ(جزيرة الحاج صلبوخ) حيث يقطن فيها آل المؤمن الأحسائيون.

وكذلك يقصد (البريم) حيث يقطن فيها آل أبي عريش الأحسائيون ومن إليهم من الأحسائيين.

ويمرُّ بالمحمرة في بيت الحاج عبد الجبار المؤمن والحاج أحمد الزيد عديلية في المصاهرة.

وهذه الزيارة تكاد تكون دورية في كل سنة تقريباً.

وعند وصوله إلى المحمرة يبادر بزيارة صديقه الشيخ محمد طاهر الخاقاني، ثم يزور الشيخ عبد المحسن الخاقاني، ومن بعده ابنه الشيخ سلمان الخاقاني، وآل السيد عدنان الغريفي: السيد محمد علي آل السيد عدنان والسيد محمد علي آل السيد غياث.

ولقاؤه مع الشيخ محمد طاهر الخاقاني - على العادة - من لقاءاته الأخرى به في البصرة لقاء حافل بالمعطيات العلميَّة لما يدور فيه من معالجات ومناقشات فكرية مثمرة.

حادثة الهلال في البصرة:

ليست المرجعية عند الشيعة الإمامية كالمرجعية الدينية في الأديان والمذاهب الأخرى، ذلك أنها لا تقتصر على وظيفة الإفتاء في الموضوعات البعيدة عن السياسة أو التدخل في شؤون الدولة.

وإنما تقوم بالإضافة إلى قيامها بالوظيفة المذكورة بدور القيادة التي ترعى شؤون المسلمين، وخاصة الشيعة الإمامية في جميع مجالات حياتهم حتى المجال السياسي منها.

فالمرجع الديني الإمامي يحاسب الحكومة على تصرُّفاتها المصادرة لحقوق المواطنين، وربما يتفاقم الموقف بينه وبين الحكومة بما يؤدي إلى العمل على الإطاحة بها واقامة حكومة أخرى تلتزم العدل في التعامل مع المواطنين.

وقد ألمحت إلى هذا - من طرف خفي - الجاسوسة الانكليزية المس بِلْ بقولها: «أما أنا شخصياً فأبتهج وأفرح أن أرى الشيعة الأغراب يقعون في مأزق حرج، فإنهم من أصعب الناس مراساً وعناداً في البلاد»[1].

---

(١) انظر: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، للنفيسي ١٩٩.

ومن شواهد هذا ما ذكره جعفر الخليلي في كتابه (هكذا عرفتهم ١/ ١٠٢) - أثناء ترجمته للسيد أبي الحسن الأصفهاني -، ونصه: «وعرضت قضية انتخاب النواب لتأليف أول مجلس تأسيسي للعراق فأفتى العلماء بتحريم دخول معركة الانتخاب والترشيح لدخول المجلس نواباً ما لم ينجل الموقف ويؤيد الانكليز أن ليس هناك شيء اسمه (وصاية) أو (انتداب) أو (معاهدة).

وتأزم الموقف، وكان السيد أبو الحسن من أشد العلماء تمسُّكاً بهذا الرأي، وكان يرى في مخالفته مخالفة للشرع الإسلامي وخروجاً على تعاليمه، حتى آل الأمر إلى نفي العلماء الروحانيين وإخراجهم من العراق إلى إيران».

كذلك عرفت المرجعية الدينية الإمامية بوقوفها في وجه النفوذ الامبريالي ببلاد المسلمين.

وبرقية وِلْسنْ إلى وزير الهند في ١٠/ ١٢/ ١٩١٨م ترمي إلى تأكيد النفوذ الامبريالي والقضاء على موقف المرجعية من اللذين أشرتُ إليهما، تقول البرقية: «إن نظري هو أن المناطق الاستراتيجية في الشرق الأوسط تقع في بغداد لا في القفقاس، فإذا شجعنا فكرة السيادة العربية مقابل السيادة الأوروبية التي انتزعت من الاتراك بالدماء البريطانية والثروة البريطانية سنحرم أنفسنا من المنافع الاستراتيجية التي نحصل عليها باحتلال مركز الأعصاب هذا.

لقد تمكّنا باحتلال ما بين النهرين أن ندق اسفيناً في العالم الإسلامي، وبهذا حلنا دون تجميع المسلمين ضدنا في الشرق الأوسط»[1].

وهذا وذاك يجعل الحكومة وذوي النفوذ من الأجانب أن يحسبوا كل الحسابات لمثل هذه المواقف من المرجعية.

من هنا كانت الحكومة العراقية، ومن ورائها الامبريالية العالمية تتحين الفرص المواتية والساعات السوانح للتقليص من نشاط المرجعية السياسي، وتحجيم دورها في التقليل من سعة نفوذها وبُعد تأثيرها.

فكان أن حانت فرصة متوقعة، وهي توزع المرجعية بعد وفاة السيد أبي الحسن الأصفهاني سنة ١٣٦٥هـ الذي كان المرجع العام للشيعة الإمامية في العالم كله، فتوزعت في العراق بين كثيرين، وكذلك الشأن في إيران.

ففي العراق كان في النجف ما يقرب من العشرة مراجع، أبرزهم:

---

(١) انظر: العراق شهادة سياسية، لحسين جميل ٤٣.

- الشيخ محمد رضا آل ياسين (ت١٣٧٠هـ).
- الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٢هـ).
- السيد حسين الحمّامي (ت١٣٧٩هـ).
- السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي (ت١٣٨٢هـ).
- السيد محسن الحكيم (ت١٣٩٠هـ).
- السيد محمود الشاهرودي (ت١٣٩٣هـ).

وهو أمر غالبي عادة، فإذا توحدت المرجعية تفرقت بعد ذلك، ثم تتوحد بعد التفرق.

وكانت المرجعية في تفرقها المشار إليه تتجمع لتتوحد في مرجعية السيد الحكيم.

وتم هذا فأصبح السيد الحكيم بعد مدة ليست بالطويلة المرجع العام للشيعة الإمامية.

وتفرق المرجعية - بطبيعة الحال - يستلزم عادة تفرق وتعدد الوكلاء خارج مركز المرجعية.

وهذا هو الذي حصل في البصرة، فكان وكلاء المرجعية فيها كالتالي:

- سماحة الوالد، كان وكيلًا عن آل ياسين.

- السيد أمير محمد القزويني الذي شغل منصب أبيه السيد مهدي القزويني كان وكيلًا عن آل ياسين.

- السيد عبد الحكيم الصوافي، الذي شغل منصب الشيخ مهدي الحجار في المعقل، كان وكيلًا عن آل ياسين.

- السيد سعيد الحكيم الذي شغل منصب عمه السيد باقر الحكيم في العشار - وهو من أسرة أخرى غير أسرة الحكيم المرجع -، كان وكيلًا عن السيد الحكيم.

- الشيخ محمد حسن المظفر الذي شغل منصب أبيه الشيخ عبد المهدي المظفر في العشار، كان وكيلًا عن السيد الحمّامي.

- السيد عباس شبر الذي شغل منصب أبيه السيد محمد شبر، كان وكيلًا عن الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

فحصل أن ارتأت الحكومة العراقية أن تقوم بتجربة عزل المناطق عن مركز المرجعية، ومن ثم استقلالها بذاتها.

ولما أشرت إليه سابقاً من أن طبيعة البصرة كموقع ومجتمع تساعد على استقبال وتقبل المعتقدات المختلفة ونشوء الفرق وحدوث التفرقة، كانت البيئة التي اختارتها الحكومة لتجربة عزلها عن المرجعية. فعملت الجهات السياسية المعنية بذلك من وراء الكواليس.

وارتأت أن تكون عينة التجربة استقلال المناطق عن المرجعية في إثبات هلال عيد الفطر.

ومهدت لهذا ببث الفكرة في أوساط المتدينين وتحبيبها في نفوسهم حتى لاقت هوى وصدى بالقدر الذي قدرت الجهات المعنية أنه كافٍ لإجراء التجربة.

فهيأت بشكل غير مباشر أن يجتمع الوكلاء في جامع العجم الذي هو بإدارة السيد عباس شبر القاضي الجعفري.

وتم الإجتماع ليلة الثلاثين من شهر رمضان بحضور الوكلاء التالية أسماؤهم:

- السيد عباس شبر من البصرة
- السيد أمير محمد القزويني من البصرة
- الشيخ محمد حسن المظفر من العشار
- السيد سعيد الحكيم من العشار
- السيد عبد الحكيم الصوافي من المعقل

ومركز البصرة والعشار والمعقل هي المناطق الثلاث الكبرى في محافظة البصرة، والمنظورة دينياً.

وحضر الشهود الذين أعدّوا للمهمة على حين غرّة من الناس، وأدلوا بشهاداتهم المزورة برؤية الهلال.

وأعلن السيد أمير محمد القزويني اصالة عن نفسه ونيابة عن زملائه الوكلاء الحاضرين ثبوت الهلال واعتبار غده عيداً.

كان هذا في الوقت الذي لم تُدَّعَ رؤية الهلال في المناطق والمدن الأخرى من العراق، ولم يحدث أي شيء يفيد الثبوت في النجف الأشرف لدى المراجع.

وتساءل الكثيرون من الناس في البصرة عن موقف الوالد - قدس سره - وجاءوا يهرعون إلى بيته في المدينة، وإلى بيته في القرية، وكنا نجيبهم بأن غداً من شهر رمضان.

وتراجع بعضهم فأمسك ونوى الصيام، واستمر آخرون على الافطار.

وكادت تكون فتنة لولا أن ستر الله باعلان المراجع في النجف الأشرف موقفهم بكل صراحة، حيث جاءت فتاواهم بأن اليوم الذي أعلنه هؤلاء الوكلاء عيداً ليس بعيدٍ وإنما هو تمام عدة شهر رمضان.

ومن أشهرها فتوى الشيخ آل ياسين، وكانت بلزوم القضاء على من أفطر.

ومن أقواها وقعاً وأشدها تأثيراً فتوى السيد الحكيم، وكانت بلزوم القضاء والكفارة، ومختومة بقول: (ولا حول ولا قوة إلّا بالله).

وتلقى المراجع في النجف الأشرف موقف الوالد - قدس سره - بكل إكبار وتقدير، وعلموا أنه اللغم الذي انفجر ففجر معمل التجربة وأفسدها.

وقد يتساءل هنا عن موقف الأخبارية والشيخية من هذا.

المعروف عن الشيخية الركنية الموجودين في البصرة أنهم يعملون بالتقية في الحكم بالعيد.

وقد رأيتهم خلال المدة غير القصيرة التي عاصرتهم فيها وعايشتهم يصومون ويفطرون مع الدولة.

وكان عالمهم الوكيل يومذاك هو السيد عبد الله الموسوي الذي شغل منصب السيد محمد السويج بعد وفاته.

وكذلك هو الشأن عند الأخبارية الجمالية، وكان عالمهم آنئذٍ الميرزا عباس جمال الدين الذي شغل منصب أبيه الميرزا محمد تقي جمال الدين بعد وفاته.

أما الأخبارية من أتباع مدرسة البحرين - وكان عالمهم في حينه ولا يزال الشيخ محمد أمين زين الدين[١] - فلم يفطروا لعدم ثبوت الهلال عند الشيخ زين الدين، ولعدم الحكم به من أي مرجع من المراجع في النجف الأشرف.

والحمد لله أن كانت هذه التجربة من التجارب التي لم يقدر لها النجاح، ولكنها تركت وراءها ذيولًا من الآلام بسبب بعض التصرُّفات الانتقامية التي أرى الصفح عن ذكرها أَجحى.

معركة توحيد المرجعية

بعد نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨م، التي ذهب ضحيتها عشرة ملايين قتيل وعشرون مليون جريح، وعندما تقدمت الجيوش الانجليزية نحو العراق بغية إنهاء الحكم العثماني واحتلال العراق، كان لمراجع الدين الإمامية في النجف الأشرف دور مهم ومشرّف في الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية لأنها دولة مسلمة وضد الانجليز لأنهم غير مسلمين.

---

(١) الشيخ محمد أمين زين الدين توفي سنة ١٤١٩هـ.

فقد أعلنوا الجهاد ضد الانجليز وجهّزوا الجيوش لذلك.

يقول الشيخ آغا بزرك في كتابه (طبقات أعلام الشيعة - ترجمة السيد محمد سعيد الحبوبي أبرز قادة الجهاد آنذاك) مشيراً إلى هذا: «ولما دخل الانجليز البصرة، وأعلنت الحرب العامة، واشترك الأتراك بها، ونادوا بالنفير العام، ساهم في ذلك العراقيون، ونهض معظم علماء الشيعة للجهاد، وأفتوا بوجوبه والدفاع عن بلاد المسلمين ومحاربة الانگليز، وهاجت عشائر العراق هيجاناً غريباً، ولم يكتف المجتهدون بذلك، بل خاضوا المعارك بأنفسهم، وهم:

- شيخ الشريعة الأصفهاني.
- والسيد علي الداماد.
- والمترجم له (السيد محمد سعيد الحبوبي).
- والمولى محمد حسين القمشهي الكبير.
- والمولى محمد حسين القمشهي الصغير.
- والسيد محمد حسين الشاه عبد العظيمي.
- والشيخ باقر حيدر.
- والسيد أبو القاسم الكاشاني...

وغيرهم الكثيرون...

وهناك فريق من العلماء منعهم عن المشاركة بأنفسهم عجزهم وهرمهم وتوقفُ أعمال الشيعة عليهم، وهؤلاء بعثوا أولادهم نيابة عنهم، منهم:

- شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي، فقد بعث ولده الميرزا محمد رضا.
- وكذا السيد محمد كاظم اليزدي، فقد بعث ولده السيد محمد.

وغيرهما كذلك.

وقد أبلى الجميع بلاءً حسناً، جزاهم الله خير الجزاء.

وكان المترجم له (السيد الحبوبي) من أشدهم اهتماماً، وأكثرهم حماساً، فقد قاد جيشاً جراراً، وعسكر به في (الشعيبة)، وقد بلغ عدده تسعين ألف مجاهد - على ما سمعته في تلك الأيام -.

ولما اندحرت الاتراك عن مراكزها، وآل أمرها إلى الانسحاب والجلاء عن العراق بعد عراك طويل، واندحر جيشه مع ما اندحر من جيوش المجاهدين في يوم الشعيبة

المشهور عاد المترجم له إلى ناصرية المنتفك لاستنهاض العشائر وحثّهم على الحرب من جديد، ففاجأه الأجل في النّاصرية غصة وكمداً، فحمل إلى النجف بتشييع عظيم، ودفن حيث مقبرته المشهورة في الصحن الشريف، فكان لوفاته في العراق كله صدى أسف عظيم.

وكان ذلك في أوائل شعبان سنة (١٣٣٣هـ) وتسابق أعلام الأدب لرثائه، ومنهم العلامة الشيخ جواد الشبيبي فقد رثاه بقصيدة مطلعها:

لـواء الـديـن لُفَّ فـلا جـهـادُ وباب العلم سُدَّ فلا اجتهادُ»

- انتهى المطلوب من كلامه زيد في علوّ مقامه -.

إن هذا الموقف أعطى الانكليز بشكل خاص والغربيين بعامة درساً في أهمية دور الشيعة في المجتمع الإسلامي، الأمر الذي ينبغي أن يحسبوا له كل حساب، وأن يعدوا العدة في أن لا يقف الشيعة العائق أمام النفوذ الامبريالي.

وتكرر الموقف في ثورة العشرين (١٩٢٠م)، التي قامت تدعو إلى الاستقلال وإنهاء الاحتلال الانكليزي للعراق وجلاء الجيوش الانكليزية عنه، ليؤكد التجربة أمام الانجليز الغزاة، لا سيما بما كان يحمل من وثائق جريئة وصريحة ومجسدة لموقف الشرع الإسلامي من الإحتلال الكافر.

تلك الوثائق التي أصدرها قائد الثورة وزعيم الحركة المرجع الديني العام الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي.

وأولى هذا الوثائق، الفتوى التي أصدرها عندما «حمل الانكليز الشعب العراقي على انتخاب معتمد الحكومة البريطانية (السر برسي كوكس) رئيساً للحكومة العراقية، فإنه - أعلى الله مقامه - شعر بالحيلة المدبرة من المستعمر وعرف المغزى، وانكشف له المخبّأ، فعند ذلك أصدر فتواه وأبدى رأيه الصائب»[1].

ونصها:

«إن المسلم لا يجوز له أن يختار غير المسلم حاكماً عليه».

«فكانت الصيحة الأولى للثورة»[2] و«أقامت العراق وأقعدته لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس»[3].

---

(١) طبقات أعلام الشيعة: ترجمة الشيرزاي.

(٢) الأعلام للزركلي: ترجمة الشيرازي.

(٣) طبقات أعلام الشيعة: ترجمة الشيرازي.

وكانت الوثيقة الثانية الخطاب الذي وجهه المرجع الشيرازي إلى الشعب العراقي بعد الاجتماع السري الذي عقده مجلس الشورى والذي «تقرر فيه أن يكتبوا إلى السلطة البريطانية يطالبونها بانجاز ما وعدت به من تحقيق استقلال العراق، فإن لم يجدوا ما يرضيهم بدأوا بالعمل».

وكتب الشيرازي إلى رؤساء القبائل الإمامية في السماوة والرميثة بالتهيؤ للثورة إذا تصلب الانجليز ورفضوا طلبات العراقيين.

ثم كتب رسالة عامة ابتدأها بقوله: (إلى إخواننا العراقيين)، يقول فيها:

«إن إخوانكم في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها اتفقوا على القيام بمظاهرات سلمية.

وقد قامت جماعات منهم بتلك المظاهرات، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق - إن شاء الله - بحكومة إسلامية.

فعليكم أن توفدوا مندوبيكم إلى بغداد للمطالبة بهذه الحقوق.

وإياكم والإخلال بالأمن، أو التشاجر فيما بينكم.

وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم».

وتتابعت الوفود إلى بغداد، وعمدت السلطات البريطانية إلى المطل، ثم إلى الأخذ بالشدة، فكان من جملة فتاواه:

«إن المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين، وعليهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز من قبول مطالبهم»(١).

هذه الوثائق وأمثالها، وكذلك المواقف التطبيقية لها جعلت الحكومة العراقية ومن يدعمها من الحكومات الامبريالية أن يحسبوا كل الحساب.

ورأينا - سابقاً - كيف حاولت الحكومة العراقية تحجيم نفوذ المرجعية وتقليل سلطتها الشرعية بعزل المناطق المرتبطة بها عن مركز المرجعية.

وبعد تلك المحاولة جدت محاولة أخرى، عرضت هذه المقدمة تمهيداً لها، وهي:

إن الحكومة العراقية عندما رأت توجه المرجعية إلى التجمع والتوحد في زعامة السيد محسن الحكيم، وهو من رجالات الجهاد ضد الإحتلال البريطاني، ورجالات الدعوة إلى استقلال العراق.

---

(١) الأعلام للزركلي: ترجمة الشيرازي.

وهذا يعني أنه كان ذا وعي سياسي، وممن كونتهم التجارب وحنكتهم المواقف.

وهكذا شخصية قد تستثمر تفردها بالمرجعية وتجمع السلطة الشرعية فيها لغير صالح الامبريالية.

ف«في سنة ١٣٣٢هـ عندما قاد السيد الحبوبي جمهور المسلمين في العراق في جبهة الناصرية ضد الإحتلال الانكليزي، استصفى الحبوبي السيد الحكيم لنفسه وصحبه معه وأولاه ثقته.

وبعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني (سنة ١٣٦٥هـ) اتجهت إليه الأنظار.

وكان السيد البروجردي قد حل في (قم) فتقسمت المرجعية بين السيد الحكيم في النجف والسيد البروجودي في قم، حتى وفاة السيد البروجردي (سنة ١٣٨٠هـ) فاستقلّ بالمرجعية بعده»[١].

أقول: عند ذلك ذهبت الحكومة العراقية والمخابرات الانجليزية تخطط وتنفذ في أن لا يكون السيد الحكيم المرجع العام.

وبدأ التنفيذ بعد وفاة الشيخ رضا آل ياسين (سنة ١٣٧٠هـ)، حيث انطلق عملاء المخابرات يضغطون - بشكل مباشر وغير مباشر - على الطبقة الثانية من العلماء في النجف، والذين بيدهم - في الغالب - ترشيح الفقيه المجتهد للمرجعية، في أن يعلنوا رفضهم لمرجعية السيد الحكيم.

واحتدمت المعارك داخل النجف وخارجها لسانياً، وربما يدوياً بين المؤيدين لزعامة السيد الحكيم وبين المعارضين لها.

وكان الوالد - رحمه الله تعالى - ممن أرجع بعد وفاة الشيخ آل ياسين إلى السيد الحكيم.

ورجع بعض الوكلاء في البصرة إلى السيد الشيرازي، ومثّل الحملة المعادية لزعامة السيد الحكيم في البصرة، ونال الوالد شررٌ من موقفه المعارض، إلّا أن الوالد لأنه كان يعرف عوامل المعارض ويعلم بأهداف المعارضين لم يأبه به.

وأتذكر أنَّ الوالد التقى في النجف بعض أصدقائه، وكان من قادة المعارضة، ودار الحديث بينهما على أشده، وعندما نبهه الوالد إلى أنه متأثر من حيث لا يدري أو لم يقصد، بموقف أحد أقربائه وهو يعلم أنه ذو ارتباطات مشبوهة، انسحب من المناقشة، ولاذ بالصمت.

---

(١) أعيان الشيعة: ٩/٥٦ ط١٤٠٦هـ.

وفي الصحن الشريف التقى الوالد صديقاً آخر من رعيل المعارضة، وسأل الوالد: لمن أرجعتم جماعتكم في التقليد؟

وأجابه الوالد: إلى السيد الحكيم.

فقال بالحرف الواحد: عارضنا أن لا يكون السيد أبو الحسن الأصفهاني وكان، والآن نعارض أن لا يكون الحكيم، ويكون.

وفارقه الوالد وهو يقول: إنّهم يريدون، والله يريد، ولا يكون إلّا ما يريد الله.

وفي هذا الوقت أصدرت الحكومة بطريق غير مباشر منشورات ضد السيد الحكيم بعنوان: (الوهابية في فتاوى الحكيم)، محاولة عن طريق نشرها العدول بالناس عن التوجُّه إليه.

ورأى السيد الحكيم أن لا يرد عليها بنفسه، ورد عليها الشيخ الأميني صاحب كتاب (الغدير) الشهير، بمنشورين، وكذلك رد عليها استاذنا السيد محمد تقي الحكيم عميد كليّة الفقه الأسبق - وهو من أسرة المرجع الحكيم - بمقال نشره في جريدة (الهاتف) البغدادية.

وبقيت المعارضة قائمة، واستمرَّ نشاطها بين مد وجزر حسب سوانح الظروف، حتى وفاة السيد آغا حسين البروجردي سنة ١٣٨٠هـ.

حيث استقلّ السيد الحكيم بالمرجعية العامة للشيعة الإمامية في العالم، وعندها أخذ المعارضون يتراجعون.

ولكن وضعت لهم خطة أخرى هي الالتفاف حول السيد الحكيم والتأثير عليه.

إلا أنهم لم يقووا على ذلك لأن شخصية السيد الحكيم كانت لمّاحة وقوية في إطار مرونة إلى حدود القدرة الوافية على الشد والارخاء في التعامل مع أمثال هؤلاء.

أما في البصرة فكل الذين كانوا يرجعون في التقليد للشيخ آل ياسين رجعوا إلى السيد الحكيم وثوقاً بالوالد واعتماداً على رأيه لمعرفتهم بمستواه العلمي العالي والذي هو فوق مستوى جميع الوكلاء البصريين آنذاك، ولنزاهته ولزومه تقوى الله في السر والعلن.

المعركة مع الشيوعية:

لعل خير تعريف موجز للشيوعية ووافٍ بايضاح مفهومها وتعداد أهدافها وبيان ركيزتها الأولى (البيان الشيوعي)، وأهم أحزابها في العالم، هو ما ورد في (موسوعة المورد ٣/ ٦٧ ط١).

ولأنه كذلك فضلّت أن أكتفي به في تعريف الشيوعية تمهيداً لمعركتها في العراق مع الدين والمتدينين ونصه:

١ - «**الشيوعية** Communism: نظرية سياسية بنيت على أساس المساواة المطلقة والملكية الجماعية لوسائل الانتاج والسلع الاستهلاكية.

ومن هنا كانت بشكلها الحديث امتداداً للاشتراكية Socialism. والشيوعية الحديثة تعتبر الإنسان كائناً اقتصادياً، منكرة بذلك مختلف أشكال الدين والميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة Metaphxsics، وتطالب بأن تكون السيطرة على الدولة وعلى النشاط السياسي كلّه في أيدي العمال، وتؤمن بالصراع الطبقي Class Struggle أي الصراع على السلطة بين البورجوازية أو الرأسمالية - بوصفها الطبقة المستغِلة - وبين البروليتاريا Proletariat أو طبقة العمال والكادحين - بوصفها الطبقة المستغَلة -، وترى أنَّ تاريخ المجتمعات البشرية لا يعدو أن يكون صراعاً بين الطبقات.

أما الهدف الأبعد للشيوعية الحديثة فهو السعي لإقامة مجتمع بلا دولة.

وأياً ما كان فمفهوم الشيوعية عريق في القدم، وبحسبنا أن نشير هنا إلى أن أفلاطون ألمح في كتابه (الجمهورية The Republec) إلى أن الملكية الخاصة تتعارض مع الخير الأسمى.

ويعتبر (البيان الشيوعي) منبثقَ الشيوعية الحديثة، في حين يعتبر (الاتحاد السوفياتي) أول دولة اشتراكية أو شيوعية في العالم.

وبعد الحرب العالمية الثانية انضمت إلى المعسكر الشيوعي دول أوروبا الشرقية، ثم قامت الصين الشعبية عام ١٩٤٩م، ولكن الشقاق ما لبث أن وقع بين الدولتين في الستينات من القرن العشرين بسبب من اتهام الصينيين للسوفيات بالانحراف وايثار التعايش السلمي مع الدول الرأسمالية».

٢ - «**البيان الشيوعي** Communist Manifesto: بيان أصدره عام ١٨٤٨م كارل ماركس Marx وفريدريك انجلز Engels وضمّناه أول تحديد لمبادىء الشيوعية الحديثة، ونداءً إلى عمّال العالم يدعوهم إلى التعاون والاتحاد.

وسرعان ما أصبح هذا البيان أحد الركائز الرئيسية التي قامت عليها الأحزاب الاشتراكية والشيوعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي العقود الأولى من القرن العشرين».

٣ - «الحزب الشيوعي Communist Party: اسم يطلق على كل حزب بروليتاري قائم على أساس من الماركسية اللينينية، ويعتبر الحزب الشيوعي الروسي الذي أسسه لينين Lenin عام ١٩١٨م، بعد نشوب الخلافة بين البلاشفة Bolsheviks والمناشفة Mensheviks، والذي عدل اسمه عام ١٩٥٢م ليصبح (الحزب الشيوعي السوفياتي) أقدم هذه الأحزاب على الإطلاق.

وقد انشق هذا الحزب بعد وفاة لينين إلى جناحين:

- جناح ستالين Stalin.
- جناح تروتسكي Trotsky.

ونشب بين الجناحين صراع مرير كُتبت فيه الغلبة لستالين.

وإثر وفاة ستالين جاء خروشوف Khrushchev فشجب الستالينية، ورأى فيها ضرباً من (عبادة الشخصية).

وإلى جانب الحزب الشيوعي السوفياتي ظهرت في بلدان مختلفة من العالم أحزاب شيوعية قوية، منها:

- الحزب الشيوعي الصيني.
- والحزب الشيوعي اليوغسلافي.
- والأحزب الشيوعية في دول الكتلة الشرقية.
- والحزب الشيوعي الإيطالي.
- والحزب الشيوعي الفرنسي.

والأحزاب الشيوعية تتعاون عادة ابتغاء تحقيق أهدافها المشتركة، ولكنها كثيراً ما تتصارع وتتنابذ وتختلف في الاجتهادات والمفاهيم.

وبعض الأحزاب الشيوعية اليوم موالٍ لموسكو، وبعضها موالٍ لبكين، وبعضها ذو نهج مستقل عن كلا المعسكرين».

وامتداداً لهذه الأحزاب وجدت الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية، ومنها الحزب الشيوعي العراقي، وهو من أقدم الأحزاب العراقية، نشأ سرياً على يدي يوسف سلمان يوسف - من صابئة الناصرية - ورفاقه في العمل السري.

وكان يوسف هذا يلقب بـ(فهد) كأسم حزبي، وهو الذي عناه الشيخ عبد المنعم الفرطوسي بقوله:

أَنَّى يَعمُّ الأَمنُ في بلدٍ بهِ (فهدٌ) يسود و(عفلقٌ) يتزعَّمُ

وصدر له:

- قضيتنا الوطنية.
- مستلزمات كفاحنا الوطني.

وأهم الأسباب التي ساعدت على دخول الشيوعية إلى العراق وانتشارها بين صفوف شعبه من أبناء الطبقة الفقيرة:

١ - دكتاتورية الحكم.

٢ - الاقطاع.

٣ - الطبقية الاجتماعية الواسعة.

٤ - كثرة المجتمعات الفلاحية.

وقبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م كان في العراق أكثر من حزب سري، منها:

- الحزب الشيوعي، وكان يملك قاعدة شعبية عريضة.

- حزب البعث العربي الاشتراكي.

- حركة القوميين العرب.

- جماعة الاخوان المسلمين

أما الإحزاب المجازة فأهمها:

- حزب الاتحاد الدستوري.

- حزب الأمة الاشتراكي.

- حزب الاستقلال.

- الحزب الوطني الديمقراطي.

وكان النشاط على الساحة الشعبية الوطنية للأحزاب السرية.

ووصل النشاط السري للأحزاب السرية إلى القواعد العسكرية العراقية ببغداد وبقية المدن العراقية الكبرى، وخشيت المخابرات الانجلوكية من مغبّة الأمر، فراحت تخطط لإجهاض الثورة المتوقعة.

فكان أن حدثت الثورة، وقامت أول جمهورية عراقية، وأعطي الحزب الشيوعي قيادتها في أوساط الجماهير الشعبية، وأعطيت له الحرية التامة في أن يسفر عن حقيقته، وأن يمارس نشاطه علناً.

فنزلت إلى الأسواق مختلف المنشورات الثقافية الشيوعية من كتب ودوريات شهرية وأسبوعية ويومية.

وتعاقب خطباؤه على المنابر لالقاء المحاضرات في الثقافة الشيوعية وكان من بين ما نُشر، الكتب التالية:

- البيان الشيوعي.

- رأس المال، كارل ماركس.


الفقيد في الزي الديني الأحسائي

- أساليب القيادة، ماوتسي تونج.
- دروس الثورة، لينين.
- رسائل من بعيد، لينين.
- القضية الوطنية، ستالين.
- واجبات الشيوعيين، لينين.
- المفهوم المادي للتاريخ، بليخانوف.
- أسس اللينينية، ستالين.
- المادية الديالكتكية والمادية التاريخية، ستالين.
- إلى فقراء الريف، فالديمير ايليا، لينين.

وغيرها كثير جداً.

وبهذا الفسح الواسع للمجال أمام الشيوعيين أن يصرحوا بحقيقتهم استطاعت المخابرات الانجلوكية أن تمهد لاجهاض الثورة الوطنية، ومن ثم الاستيلاء التام على مقاليدها.

وعندما أسفرت الشيوعية أمام رجالات الدين ومراجع التقليد في النجف الأشرف عن وجهها العدائي للدين والمتدينين، دخلوا معها معترك الصراع الفكري بين الشيوعية والإسلام.

فشكلت (جماعة العلماء) سنة ١٩٥٩م في النجف، باشراف المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم.

واختير الشيخ مرتضى آل ياسين معتمداً لها.

وألفت له لجنة توجيهية برئاسة الشيخ مرتضى آل ياسين وعضوية كل من:

- السيد محمد تقي بحر العلوم.
- الشيخ حسين الهمداني.

وكان بقية أعضائها هم العلماء التالية أسماؤهم:

- السيد علي الخلخالي.
- السيد مرتضى الخلخالي.
- الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي.
- الشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي.



أثناء الصلاة

- السيد محمد باقر الشخص.
- الشيخ محمد رضا المظفر.
- الشيخ خضر الدجيلي.
- الشيخ محمد تقي الايرواني.
- السيد موسى بحر العلوم.
- السيد إسماعيل الصدر.
- الشيخ حسن الجواهري.

ومارست نشاطها من خلال الأعمال التالية:

١ - إصدار منشور أسبوعي يوزع على نطاق واسع داخل العراق وخارجه، ويذاع من إذاعة الجمهورية العراقية.

وكان المنشور يكتب من قبل السيد محمد باقر الصدر، ويلقيه عن طريق الإذاعة السيد هادي الحكيم من خطباء المنبر الحسيني، ومن أسرة المرجع الحكيم، ويطبع ويوزع عن طريق البريد وبأيدي المبعوثين الذين ترسلهم الجماعة إلى المناطق العشائرية، ومع الوفود التي تؤم النجف الأشرف للزيارة.

٢ - اصدار نشرة أسبوعية باسم (الأضواء)

وكان يكتب افتتاحيتها بعنوان (رسالتنا) السيد محمد باقر الصدر، إلا آخرها كتبها الشيخ محمد مهدي شمس الدين لسفر السيد محمد باقر الصدر إلى الكاظمية، وتحت مراجعته.

وألفت هيئة تحريرها واصدارها من:

- السيد محمد حسين فضل الله.
- الشيخ محمد مهدي شمس الدين.
- الشيخ محمد رضا الجعفري.
- الشيخ كاظم الحلفي.
- عبد الهادي الفضلي.

وقد أسهمت إسهاماً كبيراً في نشر الفكر الإسلامي، وملء الفراغ العقائدي الذي كان يعاني منه أبناء العراق، وفي نقد الشيوعية فلسفةً اعتقادية ونظاماً اقتصادياً، فكوّنت حولها جيلاً مسلماً رسالياً واعياً.

٣ - اصدارات مكتب الأضواء من كتب، أمثال:
- فلسفتنا، السيد محمد باقر الصدر.
- اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر.
- الإسلام: ينابيعه... مناهجه، غاياته، الشيخ محمد أمين زين الدين.
- مشكلة الفقر: دراسة تشريعية على ضوء الاقتصاد الإسلامي، عبد الهادي الفضلي.

وغيرها.

ثم أصدر المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم فتواه الشهيرة ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد

لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد وترويج للكفر والالحاد، أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك، وزادكم إيماناً وتسليماً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم

١٧ شعبان ١٣٧٩هـ

أصداء الفتوى:

فكانت الصوت الثائر الذي ألهب الموقف وأجّج الحماس في الجماهير المؤمنة لمطاردة الشيوعية في كل بقعة وصقع.

وإليها وإلى مفعولها القوي يشير الدكتور الشيخ أحمد الوائلي بقوله:

حتى تداركنا كالرعد منطلقاً صوت الفتاوى على أفواه من زأروا
دوّى بها نفر من خير قادتنا عند الخطوب فمرحى أيها النفر
فانجاب ليل وولت ظلمة ومشى ضوء ورفرف فتح أبلج نضر(١)

٤ - حفز الجماهير المؤمنة إلى إقامة الاحتفالات الكبرى بمناسبة ميلادي الإمامين علي والحسين عليهما السلام، وكان كل احتفال يقام تظاهرة جماهيرية، وحملة ثقافية كبرى.

---

(١) الموسم: ٢ - ٣/ ٤٦١ السنة الأولى: ١٩٨٩م.

وكان دور العلماء خارج النجف الأشرف التجاوب مع النجف في كل مواقفها.

وقام الوالد - رحمه الله تعالى - بدوره في هذا المجال على أفضل ما يرام.

فكان يهاجم الفكر الشيوعي في كل مجالسه في الصبخة والبصرة والفيحاء والجزيرة، ومن فوق المنبر يوم الجمعة في الزبير.

برقية شجب الاشتراكية

كانت نتائج المعارك النضالية الفكرية التي قادها علماء الإمامية في النجف وخارجها وبمؤازرة علماء السنة في بغداد وخارجها أن تقلص ظل الشيوعية، وخسر الشيوعيون قاعدتهم الشعبية العريضة.

ولكن - ويا للأسف - حققت - سياسياً - المخابرات الأنجلوكية بسرقة ما توصل إليه النضال الإسلامي، أهدافها في إجهاض الثورة الوطنية، وتحويل مسرى الاتجاه الوطني العراقي إلى خدمة الامبريالية بسيطرة حزب البعث العربي الاشتراكي الذي راح يطارد كل الذين شاركوا من قريب أو من بعيد في ضرب الشيوعيّة، مما دعا العلماء أن يحاولوا معاودة النشاط الفكري السياسي في ضرب الاشتراكية التي يتبناها حزب البعث العربي الاشتراكي.

وكان منه أن أبرقوا إلى السلطة في بغداد بشجب الاشتراكية، وطلبوا من وكلائهم خارج النجف تأييد برقيتهم ببرقيات مماثلة.

ولكن - وللأسف - لم تستجب لهم إلّا البصرة، فأبرق العلماء الوكلاء فيها برقية إلى بغداد بشجب الاشتراكية وتأييد المرجعية في النجف الأشرف.

ولكن المخابرات الانجلوكية كانت على أتمّ الأهبة لصد التحرك الإسلامي، فكان ما كان من أحداث رهيبة مطاردةً وسجناً وتعذيباً وإعداماً، وافعالاً أخرى يندى منها جبين الشرف، وتنزوي عندها الكرامة حياءً وخجلاً.

وكان نصيب علماء البصرة الذين وقّعوا على برقية الشجب أن استدعتهم السلطة المحلية واحداً واحداً وأطالت الحديث والحوار معهم وعيداً وتهديداً.

وخطت الخطوة الأولى نحو محاولة تسفير الوالد لأنه غير عراقي، فبعث سماحته - قدس سره - إليّ في النجف رسالة مع الحاج سُفَّيح العبدال من أهالي صبخة العرب، يطلعني فيها على مجريات ذيول البرقية ومقدمات التسفير، فغادرت النجف - فوراً - إلى بغداد، وذهبت بمعية السيد مرتضى العسكري عميد كلية أصول الدين إلى منزل الوزير الدكتور عبد الحسن زلزلة، وأطلعناه جلية الأمر، فوعد بأن سيكلم السيد صبحي

عبد الحميد وزير الداخلية، وكذلك زودني استاذي الوزير الدكتور عبد الرزاق محي الدين برسالة إلى محافظ البصرة، وأوقف أمر التسفير عن التنفيذ.

ووضع جميع العلماء المراجع والوكلاء تحت المراقبة السرية المشددة والمكثّفة، مما استدعى السيد الحكيم أن يعتزل الناس في داره بالكوفة.

مغادرة العراق:

بعد أن توفي السيّد الحكيم يوم ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٩٠هـ اشتدت وطأة الضغط على الجميع، واندفعت المخابرات الانجلوكية عن طريق واجهاتها السلطوية في تتبع العاملين في سبيل الدعوة إلى الله، بما ليس للعاملين قِبَلٌ على مقابلته ومقاومته.

فخرج الكثير من العراق، وكان من الذين خرجوا الوالد - رحمه الله تعالى -.

وكان هذا بعد أن أصيب بمرض السكري الذي أتى على بصره حتى لم يبق منه إلّا بصيص ضئيل كان يستخدمه في مواصلة القراءة والمطالعة بمعونة النظارة الطبية والمكبرة.

في الكويت:

حط رحله في الكويت لفترة يستريح فيها، ثم يواصل طريقه إلى مدينة الخبر.

وكان يلتقي فيها أكثر الأحيان في ديوانية الحاج يوسف الشمالي حيث توجّه إليه هناك من قبل الحاضرين المسائل الدينية ويجيب عليها.

وكان أكثر من يدير الحوار بطرح الأسئلة شاب من آل الشمالي يحمل شهادة الدكتوراه، لا يحضرني اسمه الآن.

وكان يذهب - قدس سره - بين فينة وأخرى إلى منطقة الدوحة حيث يوجد عدد من أبناء صبخة العرَب الذين نزحوا إلى الكويت للعمل، وكعادته - رحمه الله تعالى - يعمر المجلس بالتوجيه الديني والارشاد إلى طريق الله تعالى، والإجابة عن الأسئلة الشرعية التي توجه إليه.

في سيهات:

وكما مر، عندما اشتدت وطأة حكومة حزب البعث العربي الاشتراكي العراقية على علماء الدين بعامة والشيعة منهم بخاصة، وأخذت تتبعهم بالاعتقال والسجن والاعدام والترحيل، خرج الوالد - قدس سره - من العراق مع من خرج من العلماء وغيرهم.

وغادر البصرة إلى الكويت، ومكث فيها مدة. ثم غادر الكويت إلى مدينة الخبر وبقي فيها مدة. وغادرها إلى الأحساء.

ثم استقر به المقام بعد هذا التطواف في سيهات، وابتنى له بيتاً فيها من قيمة البستان الذي ورثه عن أبيه.

فكان مجلسه فيها المركز والمنتدى الذي يلتقي فيه العلماء والطلّاب من أهالي القطيف وسيهات وصفوى والدمام، وتبحث وتناقش فيه مختلف المسائل الدينية من فلسفية وكلامية وفقهية وأصولية وما إلى ذلك.

هذا بالإضافة إلى مجلسه العام الذي يقصده عامة الناس للاستفادة منه في ما ينفعهم من شؤون الدين وما يحتاجون إليه من أحكام تطبيقية.

وكان مدة سكناه في سيهات يتردد على الأحساء، وبخاصة الهفوف والقارة والحوطة من مدنها وقراها بدعوة من أهاليها للاستفادة منه علماً وتوجيهاً.

واستمرَّ - قدس سره - على هذا النمط من السلوك حتى في مدة مرضه الذي توفي فيه، والتي امتدت ما يقرب من ثلاث سنوات.

وفاته

رحيله، تشييعه، مرقده، أصداء الرحيل:

عندما اشتدَّ به المرض أدخل مستشفى الدكتور محمد فخري في مدينة الخبر ثم نقل إلى مستشفى الملك فهد الجامعي بالخبر أيضاً، وفيه اكتشفت اصابته بالورم الخبيث المعروف بالسرطان.

وبعد هذا انتقلت مراجعته من المستشفى المذكور إلى مستشفى الظهران التابع لشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو).

وعندما ثقل به المرض أدخل مستشفى أرامكو المذكور يوم الاثنين ٩ ذي القعدة سنة ١٤٠٩هـ.

وفي مساء يوم الجمعة ١٣ ذي القعدة - ليلة السبت ١٤ من ذي القعدة في الساعة الحادية عشرة زوالية انتقلت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى راضية مرضية بعد قرن من الزمن أو ما يقرب منه قضاه في خدمة الله تعالى والعمل بما يرضيه.

وفي صباح يوم السبت ١٤ ذي القعدة أعلن عن الوفاة والتشييع، ونقل الجثمان الطاهر إلى مغتسل سيهات، وحضر علماء المنطقة ووجهاؤها.

وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر حمل الجثمان الطاهر على الأكف في موكب مهيب حضره علماء القطيف وسيهات وصفوى والدمام، ومن الأحساء، وخطباء المنبر الحسيني، وجمع غفير من جماهير المنطقة رجالًا ونساءً.

وكان يوم تشييعه يوماً مشهوداً من أيام سيهات.

وسار الموكب حتى جامع المهدي حيث وضع النعش، وأقيمت الصلاة عليه من قبل الشيخ منصور البيات إمام جامع الإمام علي بالقطيف ومن علمائها المبرزين، ثم من قبل الشيخ عبد الحميد الخطي القاضي الجعفري بالقطيف ومن علمائها البارزين وشيخ أدبائها.

ثم حمل النعش المطهر وسط بكاء الجماهير وحسراتها على سيارة اسعاف تابعة لجمعية سيهات الخيرية إلى المدينة المنورة، ومعها سيارة أخرى فيها من أفراد الأسرة وآخرون مواسون حيث لم يُرغب في زيادة عدد السيارات لأسباب أمنية يفرضها الظرف.

وتم دفن الجثمان الطاهر في مقبرة البقيع عند قبور أهل البيت عليهم السلام في الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد ١٥ ذي القعدة، بحضور الشيخ محمد علي العمري عالم الشيعة في المدينة المنورة، وقام بالتلقين ولده الشيخ كاظم العمري.

وأقيم عزاء الأسرة في حسينية الأسرة في قرية الحوطة بالأحساء، والمعروفة بحسينية العبّاد، ولمدة أسبوع.

وحضر العزاء علماء الأحساء وسيهات والقطيف وصفوى والدمام ومختلف طبقات المجتمع في المنطقة الشرقية، ووفود جاءت من خارجها من البحرين وقطر والأمارات العربية المتحدة والكويت وعرعر وجدة والرياض والمدينة المنورة، وغيرها.

وتعاقب خطباء المنبر الحسيني من أهالي المنطقة يؤبنون الفقيد العظيم، ويعزون أسرته وأبناء المجتمع في المنطقة بفقده.

وفي الأيام الأولى للعزاء أعلنت إذاعة طهران العربية نبأ الوفاة، وقد سبّب لنا هذا الاعلان بعض الشيء من المشكلة تغلبنا عليه بالحكمة والتعقل.

وأقيمت له مجالس العزاء في النجف وكربلاء والبصرة والزبير من العراق، وفي طهران وقم من إيران، ومن قبل الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا وبريطانيا وفي حي السيدة زينب بدمشق، وفي القطيف وسيهات والأحساء، وغيرها.

جزى الله القائمين بها خير الجزاء، وأثابهم عليها بأفضل ما يثيب العاملين لتعظيم شعائره تعالى وتقدس.

وأرخ وفاته الشيخ عبد الكريم الزرع القطيفي بقوله:

ذقـنـا الأمـرَّ عـلى الأمـر   مـذ غـاب والـيـنـا الأغـر
ذو الـفـضـل والـعـلم الـذي   بـالاجـتـهـاد قـد اشـتـهـر
فـضـليُـنـا أعـظـمْ بـه   عَـلَـمـاً أتـانـا مـن هَـجَـرْ
يـا صـاح فـانـدبْ مـحـسـنـاً   مـا طـار طـيـر واسـتـقـر
وانـحَـبْ عـلـيـه ولُـذْ بـه   أرخ (لـه غـاب الـقـمـر)

١٤٠٩هـ

وأرخها أيضاً الشيخ محمد بن الشيخ حسن الجزيري الأحسائي من قصيدة له في تأبينه بقوله:

أرخْ (فـقـيـد الـديـن مـرزا مـحـسـنٌ   يـعـلو الـسـمـاء لـلجـنـان يـرسـلُ)

١٤٠٩هـ

وكذلك، أرّخ وفاته الخطيب العلامة السيد هاشم محمد هاشم الشخص بهذه الأبيات:

لا تـسـل عـمـا أصـاب   فـلـقـد جـل الـمـصـاب
رُزِىء الـديـن بـفـقـد الـ   ـعـالـم الـحـبـر الـمـهـاب
(مـحـسـن الـفـضـلي) قـضـى   ومـضـى دون إيـاب
كـان بـدراً مـشـرقـاً   فـتـوارى فـي الـتـراب
قـلـت فـي الـتـاريـخ (آه   بـدره الـمـحـسـن غـاب)

١٤٠٩هـ

سر العبد مع ربه

أود أن أذكر هنا حادثتين وقعتا ترتبطان بالمناسبة، احداهما قبل وفاته، والأخرى والجثمان الطاهر في طريقه إلى المدينة المنورة.

أما الأولى فقد وقعت لي، وخلاصتها:

قبل وفاته - رضوان الله عليه - بثلاثة أشهر تقريباً التقاني شخص وقال لي: إنَّ موت والدك سيقترن وموت السيد الخميني وموت عالم آخر، يموت السيد الخميني ثم يموت العالم الآخر، وبعدهما يموت والدك، ومدة الاقتران شهر.

وفعلًا وقع ما قال، فقد مات السيد الخميني في نهاية شوال لسنة ١٤٠٩هـ، ومات بعده السيد علي الفاني وهو من المراجع والأساتذة في النجف ثم في قم، وبعدها في ١٣/ ١٤ ذي القعدة توفي الوالد.

سبحان الله، ما أصدق هذا القائل.

والثانية: ذكرها لي أولادنا والآخرون الذين كانوا معهم برفقة الجثمان الطاهر، وخلاصتها:

إنَّ سيارة الاسعاف التي كانت تقلُّ الجنازة، بعد أن اجتازت منطقة الرياض متجهة إلى القصيم قارب وقودها على النفاد، ووقفت عند أقرب محطة، ومن الاتفاق أنها كانت خالية من البنزين، فاستمرت السيارة بالسير بغية الوصول إلى المحطة الثانية التي بعدها، ونفد ما فيها من بنزين قبل الوصول إلى المحطة الثانية بمسافة طويلة، ربما كانت قريباً من ٨٠ أو ٩٠ كلم.

فتوقفت السيارة، وصار راكبوها في حيرة من أمرهم، فطلبوا من سيارة مرَّت بهم شيئاً من البنزين، ولأنه لم يوجد في سيارتهم ولا في السيارة الأخرى انبوب لنقل البنزين عادوا في حيرتهم وغادرتهم السيارة.

وبينما هم كذلك إذ أقبلت عليهم من البادية سيارة ووقفت عندهم وناولهم صاحبها وعاءً من المطاط مملؤاً بالبنزين من دون أن يطلبوا منه، وذهب لتوه بعد أن تناولوه منه شاكرين له تفضله، وأفرغوا البنزين بسيارتهم وساروا بها، وكان بالمقدار الذي أوصلهم إلى المحطةِ التي أمامهم.

ما أعظم الإيمان!! إنه السر بين العبد وربه.

وحادثة ثالثة رويت لي بعد تدوين ما تقدم، نقلها أكثر من شخص يوثق به عن المضمد الذي حضر عنده (قدس سره) في غرفته الخاصة به في المستشفى أثناء وفاته.

وخلاصتها: أن المضمد رأى ما يشبه الجسم من النور يخرج منه وبشكل منقطع، صاعداً إلى أعلى.

تعالى الله ما ألطفه بأوليائه.

شخصيته

تحدثت فيما سبق عن العوامل التي ساعدت على تكوين شخصيته العلمية.

ومن الطبيعي أن تكون الأسرة التي ولد في وسطها وترعرع، واشتد عوده وأينع، أهم العوامل المساعدة على تكوين شخصيته بما تحمل من سمات وظواهر.

وأسرته من الأسر الدينية المتعبدة، فأبوه من الرجال الذين عرفوا بالتقوى والسلوك الديني المستقيم، وأمه كانت من النساء الصالحات المتعبدات.

فنشأ - رحمه الله - في جو عامر بالعبادة التي تمتّن العلاقة بالله تعالى، وبالسلوك الصالح الذي يهدي إلى الصراط المستقيم.

وقد انعكس هذا على سلوكه ليكشف عن تأثر شخصيته في تكوينها به.

ومن هنا كان العلم والتقى من أهم سمات وعناصر شخصيته - قدس سره -.



في بيتنا بالبصرة مع ولديه صادق وفاضل

آثاره العلمية

يتمثل ما خلفه - رحمه الله تعالى - من أثر علمي وثقافي في المجالات التالية:

١ - مجال التدريس:

ويتمثل هذا الأثر في مشاركته بتدريس العلوم الشرعية ومقدماتها، في النجف الأشرف، والبصرة، وسيهات، لجمع من طلبة العلوم الدينية، ومنهم من أصبح من العلماء الكبار والخطباء البارزين.

وقد أشير في تراجم بعض تلامذته إلى هذا، كالذي جاء في ترجمة الخطيب الحسيني الشيخ عبد الحميد الهلالي من كتاب (خطباء المنبر الحسيني) للمرجاني، وغيره.

٢ - مجال المحاضرات العام:

ويتمثل هذا الأثر فيما كان يلقيه في مجالسه وغيرها من موضوعات ثقافية عامة. وكان هذا - في الغالب - في البصرة والأحساء وسيهات.

٣ - مجال التأليف:

خلف - قده - النتاج التالي:

أ - إجازة للشيخ حسين بن الشيخ فرج العمران القطيفي.

ب - إجازة للشيخ محسن المعلم الجارودي القطيفي.

ج - إجازة للشيخ علي الزواد السيهاتي.

د - بحوث متفرقة في الفقه الاستدلالي وأصول الفقه والحكمة الإلهية.

هـ - رسالة في كيفية وأعمال حج التمتع.

و - رسالة في نسب آل عباد.

ز - عصمة القرآن من الزيادة والنقصان.

٤ - آراؤه العلمية:

لكثرة لقاءاتي العلمية به للاستفادة من تحليلاته وتوجيهاته وآرائه أحفظ شيئاً من آرائه العلمية في بعض المسائل، منها:

أ - ذهابه إلى أن النية في الأعمال العبادية تتمثل في الداعي المحرك للعبد إلى القيام بالفعل العبادي. وهو رأي مشهور فقهائنا.

وقد أشرت إلى هذا في كتابي (دروس في فقه الإمامية - بحوث تمهيدية).

ب - قوله بنجاسة الكتابيين، وأيضاً هو قول مشهور فقهائنا.

ج - تجويزه الإحرام من جدة بالنذر على اعتبار أن من لم يمر بأحد المواقيت الخمسة التي وقّتها رسول الله ﷺ يكون ميقاته أدنى الحل، ويشمل هذا من يقصد جدة فيجوز الإحرام منها بالنذر، لأنه إحرام ممّا قبل الميقات.

وعلى هذا الرأي غيرواحد من فقهائنا، منهم السيد محسن الحكيم.

د - يذهب إلى أَنَّ قرن المنازل هو الموضع المعروف الآن (السيل الكبير) الواقع على طريق الطائف - الحوية مكة المكرمة.

وقد ذكرت هذا في بحثي عن تحديد موقع قرن المنازل.

هـ - يرى أن الزوجة لا ترث من تركة زوجها المتوفى إلا من العروش، وهو الرأي المشهور لفقهائنا.

و - يذهب إلى القول بالنظرية الكلامية المعروفة بنظرية الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد.

ويصححها بنظرية العقول الطولية المعروفة في الحكمة الإلهية. ويذهب إلى هذا الرأي غير واحد من علمائنا، منهم:

- الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه (الفردوس الأعلى).

- السيد محمد حسين الطباطبائي في كتابيه (بداية الحكمة) و (نهاية الحكمة).

ز - ذهابه إلى القول بأن علم الإمام إرادي.

وهو رأي غير واحد من علمائنا أيضاً، منهم السيد أبو القاسم الخوئي[1] فقد قال بهذا في كتابه (البيان في تفسير القرآن).

إلى غيرها مما يطول البحث بذكرها.

صفاته السلوكية:

تميز - قدس سره - وامتاز عن كثير من الناس ببعض الصفات السلوكية التي تمكنت فيه تمكن الغريزة، وتحكّمت في سلوكه تحكم الفطرة.

ويرجع هذا إلى عاملين أساسيين في حياته تعاضدا فتكاملا في تعزيز هذه الصفات فيه، هما:

- عامل الوراثة:

وهو ما أشرت إليه سابقاً.

- عامل الرياضة:

وأعني به ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة، بقوله: «وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزالق».

هذه الرياضة التي تتطلب من الإنسان إرادة قوية وتصميماً حدياً لا يقبل التراجع أو التخاذل.

فقد كان - رضوان الله عليه - ذا عزم لا تلويه عما يعزم عليه صوارم الظروف، ولا تثنيه عن تحقيق مراده نوازع النفوس.

وكان له بهذا ما أراد أن يروض نفسه عليه من صفات حميدة، هي:

---

(١) توفي سنة (١٤١٣هـ).

الإخلاص والصدق:

كان من المخلصين لله تعالى فيما يعملون.

وكان يردد دائماً الكلمة المأثورة: «صانع وجهاً يكفيك الوجوه».

فكان تعامله دائماً مع الله تعالى، فلا تتعدد وجوهه في التعامل، ولا تتلوّن اتجاهاته في السلوك.

وكان إلى جانب هذا الاخلاص صادقاً فيما يعمل، لا يعرف المواربة ولا تعدد الميول أو تصنعها.

وباختصار:

إن ما وقفت عليه من خلال معايشتي له بما يزيد على نصف قرن من الزمن كان مخلصاً لله قولّا وعملًا، وصادقاً فيما ينطق ويفعل، وبواقعية ووضوح.

الشجاعة:

وكان - رحمه الله تعالى - شجاعاً في القول والفعل أيضاً، فلا يرهب أحداً مهما عظم في أعين الناس أن يقول كلمة الحق في وجهه. وكذلك كان لا تأخذه لومة لائم في أن يقف موقف الحق.

فهو - بما خبرته المدة التي عشتها معه - كما قال الإمام علي عليه السلام في أخ له في الله: «وكان ضعيفاً مستضعفاً فإن جاء الجد فهو ليث غاب وصلّ وادٍ».

وشواهد هذا كثيرة جداً، وقد مر شيء منها، وعند الذين يعرفونه بما يحملون عنه من انطباع يكفي شاهداً لهذا.

الكرم:

وهي الخصلة التي ورثها من المحيط الذي نشأ فيه حيث كان مجتمعاً عشائرياً.

فكان يهب كل ما يملك لمعوز وفد عليه، أو إنسان كريم انقطع به السبيل، وإذا لم يجد ما يهب، اقترض وسد حاجة المحتاج.

ولا إخال أحداً ممن يعرفه لا يعرف ذلك عنه.

التواضع:

وهو الخلة الشريفة التي عرف بها العلماء، فكان - يرحمه الله - يحنو على الصغير، ويحترم الكبير، متضائلًا أمام الله تعالى، منكراً لذاته رضاً لله تعالى وتقدّس.

إلّا أن تواضعه في حدود الكرامة فلا يصل إلى الذل للناس، لأن الذل للناس من سوء الظن بالله الذي هو أهل الكبرياء والجبروت وأهل العزة والمنعة.

ولم أعرف عنه أن ذل لإنسان مهما كان ذلك الإنسان قوياً أو كبيراً.

كان يترسَّم في تواضعه الكلمة القائلة: «من تواضع لله رفعه».

فكان لهذا مهاباً من قبل الناس هيبة احترام لا هيبة خوف.

وسلام على سيدنا أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام حيث يقول: «من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان، فليخرج من ذُلِّ معصية الله إلى عز طاعته».

الوفاء:

كان وفياً لأصدقائه ومعارفه بتمام ما في هذه الكلمة من محتوى.

فلم يقصّر في واجب اجتماعي، ولم يتكاسل عن أداء حق اجتماعي، فقد رأيته على كبر سنه، وضعف بدنه، يسارع إلى حضور كل المناسبات الاجتماعية، للذين بينه وبينهم علاقة ودية، أياً كان لونها أو نوعها.

وقد عرف عنه هذا جميع الذين عاشروه أو عايشوه عن قرب.

الزهد:

كانت موارد المال مفتوحة أمامه، ومن حِلِّهِ، وبغير شبهة، فكان يعفُّ ويترفع، قانعاً بالقليل منه، قدر ما يسد الفاقة، ويؤدي المطلوب.

صغرت الدنيا في عينيه، وحقّرها إلى حدود أن عادت لا تقوى أن تخدعه، وإلى حدود أن أصبح سيد نفسه يأمرها كما يشاء وينهاها كما يريد.

لله أنت:

قد رفضت الدنيا وعندك منها مورد عَفٌّ، وخيرٌ عميمُ
مثلت في عينيك غراً خدوعا حلوها مُرٌّ، والصحيح سقيمُ
فتركت الدنى وأنت نقيٌّ جسدٌ طاهرٌ، وقلبٌ سليمُ
لم تدنسك شبهة أو حرام من حطام أكْلُهُ مسمومُ
فضربتَ المثال للزهد حيّاً يهتديه من للصلاح يرومُ

كان مدة حياته الطويلة هذه لا يملك غير ثوبين إذا توسخ أحدهما لبس الآخر، ولا يستبدلهما إلّا بعد أن يبليا ويعودا لا يمكن لبسهما، وغير عباءة واحدة صيفية، وأخرى شتوية، لا يستجدهما إلّا بعد أن يكونا مما لا ينتفع به في الارتداء.

وهكذا الأمر في سائر ملابسه وشؤون حياته الأخرى.

ومات - يرحمه الله - عن ثوبين باليين، وغترتين مثلهما، وعباءتين شتوية وأخرى صيفية، صارعتا الأيام من أجل البقاء فأبليا منها، وأبلت منهما.

وهذا - كما رأيتُ ورأى غيري - لا يتأتى إلّا لمن روّض نفسه على القناعة، والاقتصار على القل من الحلال للابتعاد عن حمى الحرام مخافة الوقوع فيه.

قوة الذاكرة:

وهي سمة وهبها الله إيَّاه، فقد استمر على وعيه وتذكره حتى لأعقد المسائل العلمية ولأغمض اشكالاتها إلى آخر أيام حياته.

وقد لمس هذا كل من كان يتردد عليه من علماء المنطقة ومثقفيها.

الجدية:

كان جاداً في كل أعماله، لا يعرف التهاون أو التكاسل أو التواني، وجاداً في التزام ما ألزم نفسه به من سلوك كنظامة في المأكل والمشرب والملبس والمنام وغيرها.

الواقعية:

وكان واقعياً إلى أبعد حدود الواقعية والصراحة، لا يعرف اللف أو المواربة أو التحايل.

وكان امثولته في هذا - كما كان يقول - الصحابي العظيم أبا ذر الغفاري.

كما كان يتمنى دائماً أن يحيا حياة أبي ذر في واقعيته وزهده وخلوصه للحق، وأن يخرج من الدنيا، كما خرج منها أبو ذر خلواً من حطامها وتبعاته، وأن يحشر مع أبي ذر في آخرته.

ظواهر في حياته:

ألمحت - قبل قليل - إلى أنه - رحمه الله تعالى - كان جاداً في كل أعماله، وفي التزام ما ألزم به نفسه، وهنا أعقب بأن جديته الصارمة المشار إليها قد حوّلت بعض أنماط سلوكه إلى ظواهر مميزة في حياته عرف بها، وعرفت به، منها:

نظامه في الأكل والشرب والنوم:

كان دقيقاً جداً في تنظيم أكله وشربه من حيث الوقت ومن حيث نوعيتهما وكميتهما.

فكان باستمرار ينهض مبكراً، يصلي صلاة الصبح في أول حلول وقتها، وبعدها يعقّب ويستمر في تعقيبه حتى تطلع الشمس، فيتناول افطاره، ولا يتعدى في نوعيته وكميته عن ربع رغيف خبز مع قليل من الجبن البلدي وكوبين صغيرين من الشاي.

وعندما يضحي الضحى يتناول ثلاث رطبات أو تمرات مع كأس صغير من اللبن.

ثم بعد أن يصلي الظهر في أول وقتهما يتناول غداءه وهو قليل من الرز مع قليل من اللحم السليق المعروف بالتشريب أو ماء اللحم.

وينام حوالي ربع ساعة، ثم يتناول كوبين صغيرين من الشاي.

وكذلك بعد أن يصلي العشائين في أول وقتهما يتناول عشاءه، وفي الغالب لا يتعدى أن يكون ربع رغيف من الخبز مع قليل من اللبن الرائب وأمثاله من الادام.

التزامه بالساعات السعيدة:

كما كان شديداً في التزامه في أن لا يعمل أي عمل جديد كتغيير ملبس، أو قيام بسفر - ولو كان قصيراً أو قريباً - وأمثالهما إلّا في ساعة من الساعات السعيدة.

كان يتشاءم من الساعات النحسة، والأيام الكوامل سواء كانت كوامل أسبوع أو كوامل شهر أو كوامل سنة.

معتمداً في هذا على الأخذ بالروايات الواردة في الموضوع المذكور.

وهو بهذا يقتفي أثر السيد نعمة الله الجزائري الذي هو الآخر قد عرف بكامل الالتزام بسعود الساعات والأيام وتجنب نحوساتها.

الاستخارة:

كان أيضاً كثير الرجوع إلى الاستخارة، سواء كانت بالسبحة أو بالقرآن الكريم.

وشأنه في هذا شأن أكثر العلماء.

الاحتياط:

وكان أيضاً شديد الالتزام بسلوك سبيل الاحتياط في تصرُّفاته عامة.

وترسم الاحتياط - كما هو معلوم - من أهم ظواهر الورع في الدين. وإلى هذا يشير الأثر المشهور: «ما تنكب الصراط من سلك سبيل الاحتياط».

وهو الأخذ بالأثر الآخر المشهور: «أخوك دينك فاحتط له».

شغله المجالس بالمسائل العلمية:

تقدم أن ذكرت في أكثر من موضع أنه - رحمه الله تعالى - لا يحل في مجلس، وفيه أحد من أهل العلم عالماً أو طالباً، إلّا ويشغله بالحوار العلمي لمسألة من المسائل العلمية الدينية أو المناقشة لقضية من القضايا العلمية أو الأدبية أو الفلسفية.

وقد عرف بهذا لدى كل من يعرفه من العلماء والطلاب.

وقد سجل هذه الظاهرة أخونا العزيز الشيخ جعفر الهلالي في مرثيته الآتية بقوله:

يا راحلًا كم زها بالعلم مجلسه ... عبر السنين يجلّي حسنه الكَلِمُ
ما ضَمَّ شخصكَ نادٍ كنتَ تألفه ... إلّا ولاح به للعلم مستنمُ
تثيرها بين أهل الفضل في شغفٍ ... مسائلًا حولها الآراء تحتدمُ
حتى يعود بها النادي مُدارسةً ... للعلم، ما لفضول القول فيه فمُ
هاتيك منك سجايا كنتُ أعرفها ... ما قصّرت بك عن اتيانها قَدَمُ
لله دَرُّكَ ما أسماكَ من عَلَمٍ ... للعلم عشتَ وفيه كنتَ تُحتَرَمُ

شغله أوقات فراغه بالقراءة أو التفكير:

كما أنه كان لا يحب أن يترك وقته بمرّ فراغاً دون أن يشغله بما يفيد منه.

وأكثر ما كان يشغل به أوقاته القراءة سواء كانت مطالعة أو مراجعة، أو التفكير في مسألة علمية يقلب أطرافها وعناصرها بالتحليل والنقد والاستنتاج.

إدمانه الحج والزيارة:

ومن هذه الظواهر إدمانه الحج والزيارة - كما مر أن ذكرت هذا - فقد حج كثيراً واعتمر كثيراً، وزار مراقد المعصومين كثيراً.

وهو بهذا كسائر الناس المؤمنين من الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

تتبعه أحوال المسلمين:

وكان حريصاً على معرفة أحوال المسلمين في العالم، فكان يطلب ممن حوله من أهله وذويه أن يستمعوا له الأخبار من الاذاعات العربية، وأن يقرؤوها من الصحف اليومية.

حرصه على قضاء حوائج الناس:

وآخذاً بما روي في هذا المجال بما يثاب به من يتصدّى لقضاء حاجات المؤمنين كان حريصاً على ذلك.

وقد رأيته في آخر سنيه - مع كبر سنه وضعف قواه البدنية - لا يتوقف عن تلبية مؤمن يطلب المساعدة، فيقوم بقضائها له.

وبعد: فهذا آخر ما يحضرني - في هذه العجالة - من معالم سيرة أبي وظواهر شخصيته.

أرجو أن أكون قد وَفَّيت بها له، ووَفيّتُ بما هو المقصود.

والحمد لله رب العالمين وأخيراً: أضرع إلى الله تعالى أن يرحمه ويرحمنا به، وأن يرزقنا شفاعته يوم الدين.

اللهم ظلله برضوانك وغفرانك لقاء ما قدم في سبيلك من أعمال بر وخير واحسان، كما وعدت - سبحانك - العاملين من أجلك وفي سبيلك، إنك لا تخلف الميعاد.





من صوره القديمة

المراثي

في ما يليه مراثٍ شعرية، وأخرى نثرية، تفضل بها أخوة أعزة، مشاركة منهم لنا في المصاب الجلل، وتقديراً للفقيد الجليل في شخصيته ومآثره.

وإذ أعتز بتدوينها في هذا القسم من الكتاب للتاريخ والذكرى، أتقدم لهم بجزيل الشكر وخالص التقدير.

فقيد العلم والتقوى

العلامة الخطيب الشيخ جعفر الهلالي[1]

ماذا سيكتبُ في تأبينك القلم ... وفي فؤادي أضحى يحفر الألم
وها هو الجرح مني يستحيل لظىً ... من المصاب وركن الصبر منحطم
غداة يخبرنا الناعي بفاجعةٍ ... هوى بها من ذرى عليائنا علم
يا للمقادير كيف استنزلت أسداً ... عن بُرجه، فتهاوى العزُّ والشَّمم
قد غاب ذاك الذي كان المنار لنا ... على الطريق، فغابت بعده الهمم
مضى فغادر دنيا الحق ثاكلةً ... من بعده، فالعلى والمجد يخترم
طوى الحياة وللأخرى مشى ولِهاً ... مودّعاً شيَّعته الأدمع السُّجُم

* * *

إنا إلى الله... أمرٌ لا مردٌّ له ... فللمنيةِ ما تسري بنا القَدَم
يومان للمرء في الدنيا تُلازمه ... والعمر بينهما، بدء، ومُختَتَمُ
والفضل في العمر أن يحى الصلاح به ... ومن ثمار جناه تصطفي الأُمَم
وهكذا (محسنُ الافضال) كان لنا ... عين القلادة، فهو العيلم الضَّخم
كم قد أفاد وكم أعطت مواهبُه ... للناس، فهو عظيم وكفُّه دِيَم
قد كان والحق دواراً بحكمتهِ ... فكلّ قطرٍ له من فضلهِ قِسَم

* * *

يا راحلًا كم زهى بالعلم مجلسه ... عِبرَ السِّنين يجلي حُسنه الكَلِمُ
ما ضمَّ شخصك نادٍ كنتَ تألفه ... إلا ولاحَ به للعلم مستنمُ
تثيرها بين أهل الفضل في شَغَف ... مَسائلًا حولها الآراء تحتدم

---

(١) جمع بين الثقافتين الجوامعية والجامعية وجدد في الخطابة الحسينية شكلاً ومضموناً، وبرز شاعراً عرفت له المحافل في العراق وغيرها مواقفه المشرفة.

حتى يعودَ بها النادي مُدارسةً ... للعلم، ما لفضول القول فيه فم
هاتيك منكَ سجايا كنت أعرفها ... ما قصرت بكَ عن اتيانها قَدَم
لله درُّك ما أسماك من عَلَمٍ ... للعلم عشت وفيه كنتَ تحترم

* * *

يا راحلًا وإن امتدَّت به مُدَدُ ... من الحياة، فتلكَ الأحبرُ الفُعم
كنتَ البقيةَ من تأريخ كوكبةٍ ... عاشت، وللحق ما تأتي وتعتزم
واكبته عُمُراً ما فيه منقصةً ... لطالبيه، ولم يعلق به وصَمُ
حصَّنت ذاتك بالتقوى تُزينُها ... وللكرامةِ في بُرد التُّقى عصَمُ
وما طلبتَ ظهوراً في الحياة وإن ... بدا لها منك ذاك الفضل والكرم
وكنت للخُلُق العالي تجسِّدُه ... وفي الخلائق ما تحيى به الأمم
وللتواضع كم مثَّلت جانبَه ... وذاك للعلم ميراث ومتسم
وللصراحةِ تُبديها بلا كَلَفٍ ... وكنت فيها بنهج الحقِّ تعتَصِمُ
هذي هي المثل العليا تعشقها ... قلبٌ لديك تُوفَّى عندها الذمم

* * *

يا راحلًا قد قرأنا في مسيرته ... روحَ الجهاد بما يُبنى به العِظَمُ
ولستُ أنسى لدى (الفيحاء) مأثرةً ... مِن صُنع جُهدك فياضاً بها الغُنُم
أحييتَ جيلًا توارى العرف مُستتراً ... في ساحهِ، واستبدَّ الجهل والسأم
بهِ قفزت إلى علياء ساريةٍ ... مِن الأمان فعادَ الوضع ينتظم
وقمتَ تُصلح مِن تلكَ النفوس ولم ... تعبأ، وإن كثرت مِن حولك الأزم
حتّى أقمت سلوكاً طاب منبته ... وذاك منكَ عطاء فضله عمَم
مَن يَصنع الخيرَ لم يَعدم جوازيه ... وعندَ ربك ما تجزى به النِّعَم
ومن صنيعكَ والأيام شاهدةٌ ... بما أقول وعندي فيه مُلتزَم
نُهوضُ شُخصكَ للاصلاح مُبتدراً ... لم تألُ جهداً لدى من راح يختصمُ
أطفأت نائرةً كادت تشبُّ لظىً ... لدى (عميدين) فيما تصنعُ التُّهَم
حيث (الحبيب) الذي أفضاله عُرِفت ... في (گَرْدلان) وما للفضل مُكتتَمُ
وحيث وافت إلى (المهدي) زعنفةٌ ... مكذوبةٌ عندها الأخبار والكلم
شمَّرتَ عن ساعد الاخلاص مُبتغياً ... إصلاحَ بينهما، في خطوك الحِكَمُ
وكنتَ منتصراً حقاً لمظلمةٍ ... أثارها من لأهل العلم قد ظلموا
حتى كشفت عن الأبصار غاشيةً ... منها توالت على قلبيهما سُدُم

وحزتها - حين وافت منك - مكرمةً ولـلـمـكـارم أهـلوهـا ومـا عُـدِمـوا

* * *

(أبا عماد) عزاءً بالمصاب فقد أتتكَ قافيةٌ أوحى بها الألم
سكبتُها من شغافِ القلب مرثيةً (بالأربعين) ونار الحزن تضطرم
صبراً وإن جَلَّتِ البلوى بفقد أبٍ أضحى له الدين والإسلام ينثلم
ففي الجنان له من روضها خَلَدٌ وفي الدُّنا عندنا من ذكره نَغَمُ
ما ماتَ مَن (أنت) من أبنائه خلفٌ وفي (محمد) والباقين معتَّصَمُ
وهل سينشر ذاك الوردُ غير شذًى ذاكِ تَعَطَّرُ منه القاعُ والنَّسَم
ومن تَطيبُ أصول من أرومتهِ فقد زكى بفروع منه تبتَّسِم
وفي الختام تقبل مِن أخي ثقةٍ بعضَ الوفاء وما للحق مختتمُ

■

عاش قرناً

الأستاذ محمد سعيد الجشي[1]

عاش قرناً كالكوكب الوضّاء ساطعاً في حنادس الظلماء
في إئتلاف كطلعة الفجر إشـ ـراقاً سخياً كالجدول المعطاء
لم يدنس تقواه جمع حطام فهو الطهر سيرة الأولياء
طاهر الذيل عاطر الذكر شهم ونقي كالصفحة البيضاء
حجة في الأنام في فيض علم علم خافق بهيُّ الرواء
خطبه أحزن الربوع (فبالاحـ ـساء) نوح و(الخط) رجع بكاء
ومصاب الخليج فيه عظيم (فأوال) و(الخط) (كالأحساء)
وكسى (البصرة) الحزينة منه ليلُ حزن بمأتم لعزاء
فقدت فيه للصلاة إماماً هادياً في صباحه والمساء
ذلك المسجد الحزين ينادي أين مصباحه وتالي الدعاء

---

(١) من أبرز شعراء القطيف المعاصرين، اتسم شعره بالأصالة والمعاصرة وعرف من بين لداته بتخليد أحداث المنطقة فيما كتب ونظم، وقد جمع شيئاً من هذا في ديوان خاص ماثل للطبع.

أين منه الإمام في وسط المـ ـحراب يدعو في رقة وبهاء
ثلمة لا تسد يا رب رحماك توارت عنا شموس ضياء
أين تلك الأعلام في (الخط) و (الأحساء) بنوداً خفاقة في الفضاء
قد تواروا مثل النجوم عن الأفق وغابوا خلف الفضاء النائي

* * *

أيها الراحل الكريم سلاماً ما عرفناك غير وجه نقاء
حين خف السرير ضجت جموع من رجال تبكي وحشدُ نساء
قد حملناك في السرير كشمس قد تغطت ببردة خضراء
وتعاليتَ في الفضاء كنجم ساحباً مئزراً من العلياء
وتساميتَ للخلود بأرض هي مثوى (الأئمة النجباء)
ضم ذاك الأديم خير ضجيع وسليل من (فاطم الزهراء)
في ثرى (طيبة) حللتَ بأرض شمخت رفعة على الجوزاء
عند مثوى (الرسول) خير رسول سيد الرسل خاتم الأنبياء
في رحاب (البقيع) جنب (إمام) وشهيد في زمرة الشهداء
فهو العلم في الحياة خلود وصعود للذروة الشماء
ما حياة الشعوب من غير علم؟ إنه العلم منقذ الجهلاء
فعزاءً يا أنجم العلم فيه وإليكم ذويه حسن عزاء
إن فقدتم به ملاذاً وكهفاً فهو حقاً من أفضل العلماء
قد فقدنا به تراثاً من العلـ ـم أميناً من خيرة الأمناء

* * *

من ربوع القطيف دمعةُ حزنٍ وادكارٍ بموقف لوفاء
من يوفي الشموس حق سناها أو يوفي الغدير حق عطاء
ليس بدعاً إن قلت فيه قصيداً بمديح مدبَّج أو رثاء
فلقد كان (للقطيف) محباً ومجلًا للنخبة العلماء
كان دوماً يشيد بالفضل فيها ويوالي الثناء تلو الثناء
فسلام عليه في جنة الخلـ ـد بأفياء جنة فيحاء
وإليكم مني تحية قلب مفعم بالولاء صدقِ الولاء

الفقيه الزاهد

العلامة الشيخ عبد الحميد الشيخ منصور المرهون(١)

صعدتْ إلي أوج الخلود روحٌ سمتْ فوق الحدودِ
ضاقتْ بها الدنيا فعا دتْ نحو خالقها الورودِ
كبرتْ على الدنيا فنا داها ارجعي نحوي وعودي
عودي إليَّ لكِ الرضى في خير صحب من عبيدي
فمضت ولم تملك متاعاً من طريف أو تليدِ
وكذا يروح الصَّالحون بلا قديم أو جديدِ
للعلم والأعمال ترأب ليس للقصر المشيدِ
في الذكر والاذكار تسـ ـهر لسي في وتر وعودِ
لسعادة الإنسان تعمل ليس للعيش الرغيدِ
ولربما أتت المنية في ركوع أو سجودِ

* * *

هذا أبو الهادي مثال الطهر والهدي الرشيد
قرناً من الدنيا قضاه وهو في جهد جهيدِ
في العلم والتعليم والإر شاد بالرأي السديدِ
لله دره عاش هذا العمر في نسك وجودِ
يهدي القلوب من العمى يحيي النفوس من الجمودِ
فإذا جلست له رأيت لديه معراج الصعودِ
فعليك إن رمت السعادة قول هل لي من مزيدِ
روضات جنات مجالسه فيا روضات عودي
يا حبذا تلك المجالس يومها سعد السعودِ
فيها أبو الهادي الزعيم بدون وعد أو وعيدِ
فيها أبو الهادي المهاب بدون نار أو حديدِ

---

(١) من أشهر خطباء المنبر الحسيني في القطيف وأطرافها ومن أقواهم في تحليل السيرة وأعمقهم في تصوير المأساة.

فيها أبو الهادي المطاع   بلا سلاح أو جنودِ
هو هكذا في العارفين   ذوي النباهة والجدود
لكنه في غيرهم   هود ثوى في قوم هودِ

* * *

كرهوا الصراحة فيه فاعتز   لوا الفرات إلى الصعيدِ
وبقى زماناً بينهم   مع قربه مثل البعيدِ
حتى مضى واحسرتاه   على الفرائض والحدودِ
يا حسرة الدنيا على   عمد المعالي والعميدِ
واحسرتاه على العلوم   لفقده يا عين جودي
جودي بدمعك فهو في   علمائنا بيت القصيدِ

* * *

وإذا مضى فإلى البقيع   يزف جثمان المفيدِ
فمن الرسول وآله   في عالم الأرواح نودي
نودي عليه بجسمه   وبروحه يا روح عودي
فينا ارجعي معنا ارتعي   في جنة الفردوس سودي
هذا جزاؤك فابشري   بجوار غفار مجيدِ

* * *

بشرى أبا الهادي مضيـ   ـت إلى الأسرة والورودِ
وتركت بعدك جهبذاً   أسداً تولد من أسودِ
علامة حبراً به   تبقى حياتك في الوجودِ



فضائل الفضلي

الحاج محمد بن حسين الشيخ علي آل رمضان الأحسائي(١)

أرى هجراً والثكل في وجهها بادي ... تروح وتغدو في ثياب حداد
أنافت على أحسائها بدموعها ... فسلها على من حزنها المتمادي
فإما بنوها غالهم حادث الرّدى ... جميعاً وإلا فالفقيد أبو الهادي
نعم بأبي الهادي أصيبت فارهقت ... بتقريح أجفان وتقطيع أكباد
لقد فجعت بالميرزا محسن الذي ... سل البيد كم غنى بإحسانه الحادي
سل البصرة الفيحا وسل قبلها الحسا ... وسل بعدها الأهواز والسهل والوادي
تجبك فللفضلي ما بين أهلها ... فضائل جلّت أن تحاط بتعداد
فضائل تروى للتأسي وتقتدى ... وفي سير الأمجاد خلقٌ لأمجاد
وفي كل أرض من مريديه أمةٌ ... وقد فاز كلٌ منهمُ بمزاد
ومن أجلهم ضحى العظيم بنفسه ... لنشر صلاح أو لدرء فساد
فأنفق قرناً في جهاد ثماره ... طوائل جاءت من طويل جهاد
فكان لهم علماً وجاهاً وثروةً ... شريعة ورّادٍ ونجعة روّاد
فيا عاشق العليا ويا طالب الهدى ... ويا من يرى التقوى سبيل رشاد
تعلم وسر في الناس سيرة محسن ... لتحمد واعرف ميزة الفضل للبادي
وإلا فخل العلم فهو أمانة ... ثقيلة أعباءٍ كثيرة أبعادِ

* * *

ألا في سبيل الله من كان علمه ... منارة إشعاع ودعوة إرشادِ
فقد غابَ غابُ العلم والحلم والتقى ... وغيب عن شرع الهدى خير استادِ
وخلّف فينا عاطر الذكر وانتهت ... حياة امرىء أعطى عطاء جوادِ
وإن لم ينل من دهره قدر نفسه ... فتلك لعمري عادة الزمن العادي
وأي عظيم نال إنصاف دهره ... فعاش ولم يمكر به ويعادي
وما حاملٌ للعلم حباً بنادم ... وإن هو ألفاه بسوق كسادِ
وما عيب در ظل في صدفاته ... دفيناً ولم ينظم عقوداً لأجياد

---

(١) من أبرز شعراء الأحساء المعاصرين وأكثرهم تسجيلاً شعرياً لتاريخها ومآثر رجالاتها.

وما الدر محتاج لنظم يزينه ... ولا حسنه إن صار عقداً بمزداد
هي الشمس لو عن ضوئها عمي الورى ... لما ضرّها والضوء مكتمل بادي
هم الناس لم يسعد بهم عظماؤهم ... ولولاهم لم يعرفوا طعم إسعاد

* * *

بني الفضل يا أبناء ذي المجد والعلا ... علي ويا أنجال ذي الفضل عبّادِ
عزاءً وإن جل المصاب فإنه ... هو الموت حتمٌ لا فداء ولا فادي
وما خصكم عمّ الجميع وهذه ... مشاعرنا من أجلكم ذات إيقاد
وأم العلا فيكم ولودٌ وما مضى ... لكم سيدٌ إلا أتتكم بأسيادِ
وبعدَ أبي الهادي سيأسو جراحكم ... ويخلفه فيكم خليفته الهادي



فقيد العلم الإلهي

الفاضل الشيخ عبد الكريم آل زرع[1]

أبكي إذا انتابني وجد على وجدي ... ومدمعي ساجماً يجري ولا يجدي
لكنه ثائر جمراً إذا نوبٌ ... قد ادلهمت فمن عين إلى خدِ
أبكي وما حيلتي إلا الدموع إذا ... شبَّ الحشا بضرام الموت والبعد
كلاهما وقعه بالقلب ذو أثر ... مشج بليغ كماضٍ مرهف الحدِ
كلاهما - يا لطيفاً بالورى - قدرٌ ... وليس في الناس من يقوى على الرد
أما النوى فهو مرٌ لا هناء به ... منحل الجسم قاس لاهب الفود
والموت - رحماك ربي - لا يرق إلى ... طفل بريء رضيع بعدُ في المهدِ
ولا شباب فتيّ يافع نضر ... حلو الشمائل من وجه ومن قد
ولا مخدرة في الصون آمنة ... تحنو على من تربيه من الولد
ولا إلى رجل عذب المقال له ... على دروب التقى مجبولةً أيدي
ولا لشيخ جليل القدر معتمد ... دعامة للعلا والعز والمجد

(١) من الثلة الصاعدة من شعراء القطيف والسائرين في هدي الدرس الديني فيها.

فذا فرند الردى يسعى بلا كلل   قد يخطىء اليوم لكن في غدٍ يردي

فمذ رأيت بني حواء كلهم   لم يبق باق بها من سالف العهد

علمت أن سهام الموت مشرعةٌ   وكل سهم بها يرنو إلى فرد

ولو تطوق عنها ذو قوى ملك   فما بمقدوره شيء على الصد

فالناس لن يخلدوا حتى وإن هرموا   لا بد من هادم اللذات والسعد

لكنما دأبه المعتاد قصد ذرى   الله كيف الذرى تنقاد للوأد

لا يسأم الموت من تكرار عادته   يختار أفضلنا الماسة العقد

يختار من ركزوا أُس الفخار لنا   بالعلم والجود والأخلاق والزهد

فلست أعلم لِمْ يختارُ خيرتنا   ولا نراه لهم دوماً على رصد

هل أن ذلك منهمُ فهي منيتهم   أن يجرعوا الكأس من صاب على عمد

وذاك أنهم ملوا البقا معنا   مستبشرين بمرأى الحور والولد

أم أنَّ أرواحهم من قدسها أنفت   أن تستقر بجرم العظم والجلد

ونحن نرمقهم حين الأفول وما   نسطيع ذوداً، ولا نفعاً من الذودِ

إن الردى بدليل طالب فئة   كانوا من الشيب أم كانوا من المرد

فكلما غال سيف الموت نور فتى   سطا وأبلغنا جرحاً إلى الكبد

حتى بقينا على خوف نصد إلى   أحبابنا نظرة التوديع .والبيد

ونسأل النفس في ساعات رؤيتهم   من المنية تفشى أو به تودي

أم ذلك العبقري الفذ عالمنا   أم للكريم دنت والصالح الجعد

من منهم أنشبت فيه مخالبها   نمضي نواريه بالآهات في اللحد

تسير سيراً حثيثاً قط ما وهنت   ولا استشارت ولا أبدت ولن تبدي

حتى أغارت مساً مغتالة قمراً   بل دونه البدر في كنه وفي رفدِ

فقلت تقسين لا نقوى عليك فما   قلوبنا مثل جلمود من الصلد

لو أنت سامعة لي - قلت مبتهلًا   ردي ولا تقربي أهل الحجى ردي

أما علمت بهذا اليوم من خطفت   يداك ليتهما في حلقة القيد

لقد خطفت إماماً عالماً علماً   وذا مساع إلى الإصلاح والرشد

خطفت عالمنا الشيخ الجليل أبا   محمد محسن الفضلي ذا الأيدي

في أعصر الناس زادت جاهليتهم   والجهل يسعى لهدم الحق والهد

قالت هو الشيخ بدر يستضاء به   يحنو يعلّم يدعو للهدى يهدي

أدري به صنع المعروف أفضله ... وذو الوجاهة ممَّا عنده يسدي
أدري به عاملًا ما كَلَّ ساعده ... والجهد في نهجه من أفضل الجهد
أدري به بطلًا في الحق ذا ثقةٍ ... بالله لا ينثني من صيحة اللدِّ
أدري به راية للحق هادية ... ما القوم إن غاب عنهم حامل البند
أدري به عالماً في الفقه مجتهداً ... وفي علوم الإلهيات ذا بُعد
له يراع به تروي الصداء كما ... يبدو لوارده أحلى من الشهد
وكلما ازداد في بحر له صدر ... يزداد من غير شك عائد الورد
حوى أصولًا وأحكاماً وفلسفة ... سديد رأي بأفق العلم معتد
يودُّ لو أن كل الخلق طائعة ... لكنهم ما رضوا عن ذلك الود
تلك المشاعل في كفيه مزهرة ... تدعو لمحو الدجى والكفر والحقد
أعطاه ربي لساناً نعم موهبة ... قد كان قابلها بالشكر والحمد
في الردع كالسيف في كفِّ الكمي له ... وقع بهامات صيد الشوس كالرعد
في النصح قلب سخي فاض عاطفة ... أو حسرة بحنان من جوى كبد
حتى قضى وبأحشاه حرارته ... توقَّدت حسرة من شدة الوجد
على الذين تخلوا عن مبادئهم ... حادوا عن الحق والتفكير والجد
ما مات إذ صب في سمع الزمان له ... صدى بأفضل ما يزكو من الولد
فقلت أنت إذاً أدرى به وبنا ... فما ورا ذاك من سر ومن قصد
ردت علي وقالت يا فتى قدرٌ ... فقلت لكنه للمهتدي مهدي
قالت جواباً مليئاً حسرة وأسىً ... عندي جوابٌ لأرباب النهى عندي
إني وجدت له قصراً ومنزلةً ... عند الإله تسامت في ربى الخلد
ومعشراً في رحاب الله في فرح ... وفي سرور وفي أنس وفي رغد
بيض الوجوه شباباً ليس يدركهم ... كَلُّ المشيب ولا نوّارة الفود
وفي الخيام له المكنون مدخر ... لا يوصفن بشعر لا ولا حدِّ
كل بقصر ينادي من سعادته ... قصري وما حوله ملكته وحدي
نهر وحور وولدان ومائدة ... وكل ما تشتهي نفس بلا كد
رأيت ذاك له خيراً بلا جدل ... من عيش دنيا حقير زائل نكد
قد عاش بين جماهير بغربته ... إذ ليس ثمة من آت ومستهدي
قد عاش في شظف بل تلك عادة من ... عاشوا نجوماً وحف الخير بالكيد

فقلت محسن ركنٌ فقدُهُ شجن ... ما بعد فقد حماة الدين من فقد
قالت لكم أسوة في فقد سادتكم ... أكرم بجدهم المختار من جدِ
فكم لقوا محناً في إثرها محنٌ ... فكربلا وحدها جازت على الحدِ
قضى بها معشر لله درهم ... فما لهم في فجاج الأرض من ند
بهم رجال وشبان ومشيخة ... باعوا نفوسهم للواحد الفرد
حول الفرات ظمايا وهو ملكهم ... مجزَّرين بها في جمرة الوقد
بتر رؤوسهم عري جسومهم ... حتى كفوفهم بانت من الزند
حتى الصغار ورب البيت ماتوا ظماً ... ما بين كف حنان الأم والنهد
أما نسا المصطفى فالعيس طفن بها ... بعد المعزة من وغد إلى وغد
بمدمع من شديد الآه أحمر سا ... جم ومتن بسوط البغي مسوّد
وعدن لكن رمت كل بزمتها ... مقايضات كرى الأسداف بالسهد
هذي الدنى شرها باقٍ إلى زمن ... إذ ليس عن فرج الرحمن من بُد
لن يبكي الخير في أيام طلعته ... والضد لم يجتمع عقلًا مع الضد
ضدان ما اجتمعا قالت مؤرخة ... (بكاءه وظهور القائم المهدي)

١٤٠٩هـ



دمعة على فقيد الخليج

العلامة الخطيب الشيخ محمد الشيخ حسن الجزيري(1)

أم الخطوب العقل منها مذهل ... والوجه مكسوف بدمع يهمل
والنيّران بالكسوف أقبلا ... والشمس مما قد دهاها تأفل
قد عسس الليل وغاب بدره ... واغبر وجه الأرض مما ينزل
هذا الخليج ضجة صارت له ... والشعب من هول المصاب يعول
يوم أتى الناعيّ ينعى محسناً ... مات تقيّ الدين مات الأفضل

(١) من أبرز خطباء المنبر الحسيني في الأحساء، وأئمة الجماعة والعاملين بجد وإخلاص في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

مات فقيد العلم والحلم معاً ... مات هزبر الرأي، والمؤمل
قد كبر الكون بفقد محسن ... والأرض من عظم المصاب تنزل
من أجل نقص الأرض من أطرافها ... من فقد أهل العلم نقص يشمل
مَنْ للصَّلاة والصِّلاةِ بعده ... دمع اليتامى بعده إذْ يهمل
من للندى والجود بعد كفه ... من قبلُ كان الخير منه ينقل
كان فقيهاً عالماً أعظم به ... في العلم بالأحكام لَهُوَ الأول
قل لي عويصات العلوم من لها ... إن كان في المنقول أو ما يعقل
قد كان في التقوى وحيد عصره ... والحق والأخلاق عنه تنقل
هذه صلاة الليل تبكي لوعة ... هذا الكتاب من له يرتِّل
في طيبة فاز بقرب أحمد ... زفته أملاك السماء من عل
من بعده من ذا يكون سلوة ... للناس في علم وحلم يفصل
قلت كفاكم مفخراً في نجلِهِ ... الدكتور عبد الهادي حين يسأل
أكرم به من عيلم شادت له ... حوزات علم المرتضى ما يحمل
إني أعزِّيه بخير والد ... والحجة المهدي المعزّى الأول
إني أعزي الدين والعلم معاً ... والقطر والأهل ومن يتصل
أرخ/فقيه الدين مرزا محسن ... يعلو السماء للجنان يرسل
١٩٥ ٩٥ ٢٤٨ ١٥٨ ١١٦ ١٣٣ ١٦٤ ٣٠٠

سنة ١٤٠٩هـ



فأنت العز والمجد الأثيل

الأستاذ السيد محمد رضا الهاشم الشخص[1]

إلى صرح الهدى كيف السبيل ... ومن بعد الفقيد من الدليل
بموتك محسن الفضليّ صرنا ... ضياعاً أيها الشيخ الجليل
وبعدك حوزة العلماء حلت ... بساحتها المناحة والذهول

(١) يشغل الأستاذ الشخص وظيفة محاضر بقسم اللغة العربية - جامعة الملك سعود (الرياض) ويعد من أبرز الشعراء المعاصرين في الاحساء.

ودنيا المؤمنين أسى وحزن فـفـقـد إمامها أمر مهول
وهذا منبع التقوى جفاف وعين المجد قرّحها العويل
وأمست روضة الفقهاء قفراً ففكرك ريُّها والسلسبيل
وعقلك ذلك الوضّاء فيها ككنز منه تستعطي العقول
إذا حار الجواب بعبقري لمسألة وأعيته الحلول
وأوقد جذوة التفكير فيها ولم يسعفه تفكير طويل
أتاك وكله ثقة وجزم على أن كلّ مشكلة تزول
ففي كفّ الشجاع - وليس إلا - فديتك - يقطع السيف الصقيل

* * *

إذا ما فاخرت هَجَرٌ سواها فأنت العز والمجد الأثيل
وإن تاهت على الأقطار زهواً فأنت بنحرها العقد الجميل
وإن طرقت تروم الجود باباً سواك أغاضها زمن بخيل
وإن همت إلى العلياء تسعى ففي ساحات علياك النزول
وقد عُرف الندى في آل طيٍّ بحاتمها وليس له مثيل
وقد ورث الندى منها بنوها فسهمك في الندى سهم جزيل
وبصرةُ تلك تشهد واليتامى بها فبعيشم أنتَّ الكفيل
كأنك لليتيم أبٌ وأمٌّ وهل يشقى وأنتَّ له المعيل
وكم لك من أياد البيض تترى كما لك في السخا طبع أصيل
وفي دنيا الجهاد لك الفتاوى ضَلالُ الملحدين بها يزول
فأنصار الشيوعيين رُدُّوا صغاراً منك وانطفأ الفتيل
أبا هادي ولابنك في المعالي وميزان النهى وزن ثقيل
فعبد الهادِ عوّضنا وإلا فبعدك ليس يُرضينا بديل

* * *

وشعري والرثا بحر خضم يحاول غوصه طفل نحيل
فقل للشعر كُف عن المراثي فحمل الشمس باليد مستحيل
وميدان السباق فضاه رحب وحتماً يخسر الفرس الهزيل

■

يا ابن الفراتين

الأستاذ جلال صادق العلي(١)

اليوم فليلتئم جرح قد انفتقا ... لينتهي مَن بغي الآه ما نطقا
اليوم فلتمسك الدنيا مصائبها ... يكفي فؤادي ضنًى ما نأل أو رمقا
اليوم فلتُظهر الأيام ما سترت ... ما زال قلبي بحبل اليأس معتلقا
فربَّ ليل خليِّ النجم كنت به ... أسامر اليأس واللوعات والأرقا
تكشَّف الصبح من غُمر الدجى فبدا ... فيه فؤادي مع الأحزان معتنقا
كأنما الحزن وردٌ لا أُجون به ... والقلب هِيمٌ تَمنَّتْ ماءه الغدقا
حفظتُ من أبجديات الأسى كتباً ... أعيت جراحاتها الأقلام والورقا
تَصَفَّحي يا ابنة النهرين في كتبي ... تريك أوراقها الآلام والحُرقا
فربَّ حرفٍ شكا هجر الفؤاد له ... قرَّبته مِن لهيب القلبِ فاحترقا
لو أن بيني وبين الحزنِ مُحتشداً ... لبعثر الحزن ذاك الحشد واخترقا
فللفؤاد على الأرزاء مُصطبرٌ ... كأن أيوب في قلبي قد انبثقا
يا ابن الفراتِ ولا غير الفراتِ شفًى ... لمدنفٍ بكؤوس الصبر قد شرقا
يا ابن الفراتين هل لي عندكم أملٌ ... لمؤسرٍ من قيودِ الأسر ما انعتقا
يا ابن الفراتين قد ناحت لكم هجرٌ ... كذا القطيف بها قلب قد انفلقا
يا ابن الفراتين لو أبصرت نائحةً ... بكربلا وغديرُ الدمع قد هُرِقا
وأخرياتٍ لطمن الخد من ندمٍ ... لو أخَّرَ البين ممشاه لكُنَّ وقا
لكنت ترجع للدنيا وإن بخلتْ ... سيان عندك شهداً نلت أو مرقا
أغناك مولاك بالفكر الرَّصين وإن ... رأى الخلائق يوماً ثوبك الخلقا
كذا حُبيتَ خلوداً لا رحيل له ... مُذ كان عزمك قبل الرجل منطلقا
أيامه من سنا الأيام عامرةٌ ... وثغره بسوى التوحيد ما نطقا
قرنٌ من الدهر أو مدت حبائلهُ ... وأنت كالبدر في العلياء مؤتلقا
فكلما رمت رتق الدهر بعدكم ... تذكر الدهر مفقوداً فما انرتقا
فللفتاوى حنين لا هجوع له ... فبابها بعد فقد الشيخ كم طُرِقا

---

(١) من خريجي جامعة الرياض ومدرسي التعليم الثانوي في الأحساء وشعرائها الشباب اللامعين.

هي الثكول التي زودى الزمان بها ... كأنه يشتكي من شيخه القلقا
لقد تعهدتها عذراً مُخدرةً ... وبعد اليوم ذاك العهد قد فتقا
فذاك شدَّ إلى الفتوى عمامتهُ ... سيان إن كذباً أفتى وإن صدقا
وذاك في أبرة يفتي بقطع يد ... وفي البعير يُغطي كفَ من سرقا
أبلى الزمان عقول الناس فاتجهوا ... إلى العمائم يكسون الحجا الخرقا
مهلًا أخيّ بلا مين ولا كمدٍ ... ولا اجتواء ولا تخوا لنا الحنقا
لا يزعجنك قولي أن رأيت له ... على العمائم سهماً خاب أو رشقا
ففي النفوس طباع قد تخبرنا ... إن صح إيمانها أو كان مختلقا
إني وإن عصفت ريحُ الزمان بنا ... أهواك لا أختشي سيفاً إذا امتشقا



في ذكرى آية الله الفضلي

الأستاذ محمد أحمد مكي آل ناصر(١)

أرثيك بحراً بصافي الدر ملتطما ... وعالماً حلّ في أوج العلى قمما
وكوكباً تبهر النظار طلعته ... يجلو الغياهب بالأنوار والظلما
وحاكماً إن بدت للناس مشكلة ... بغير سنة خير الخلق ما حكما
ولا دجت غمة إلا انبرى عجلًا ... بفكره يكشف الأستار والغمما
وروضة يجتنى منها تقى وحجى ... نسيمها يوقظ الألباب والهمما
ما زلت نجماً شموخاً في العلو سما ... أنار أرضاً لنا في نوره وسما
أرثيك فكراً بعيد الغور ملتهبا ... حماسة يدفع الأخطار والأزما
وطلعة من جلال الله مشرقة ... يهاب من قربها أهل الحجى عظما
وناشراً فقه أهل البيت في دعة ... قد كنت للواردين السلسل الشبما
وكنت للشرعة السمحاء خير أب ... تحنو بجدٍ على أحكامها نهما
غوثاً وغيثاً إذا ما حل ساخنه ... ظامي يروّيه من أنعامه ديما
حارت بصائر أهل العلم فيك ومن ... يحير الفكر في علم يكن علما

(١) من الطليعة المؤمنة الواعية، وشعراء القديح البارزين.

علوت فكراً وفاخرت الحيا كرما ... وفضت فهما فخلق في الورى شيما
كنت العظيم لما أوتيت من حكم ... ولم تكن لقضاء الله منتقما
داءٌ عضال تحملت المشاق به ... لم تعرف القول من وقع الأذى برما
لو حلّ داؤك في رضوى لزلزله ... ولو بيذبل (وهو الشم) لانهدما
قد صم ناعيك سمع الدهر حين نعى ... فضلٌ يشكو عليك الوقر والصمما
وشب ناراً من الآلام ما برحت ... تورى بأكبادنا في جمرها ضرما
أبكيت أجفاننا حزناً ولا عجبا ... لفقدك الدين دمع العين منه هما
يا حامل النعش ماذا تحملون به ... حملتم العلم والأخلاق والحكما
فلا تهيلوا تراباً فوق غرته ... فمثله في الورى لم يسكن الرجما
فجسمه قد رقى السبع الطباق وقد ... تباشر الملأ الأعلى به وسما
يا شيخنا الفاضل الزاكي الذي عجزت ... عن سبر غور مزايا فضله العلما
يا طاهراً طلق الدنيا بشاشتها ... ولم يحرك لها في غبطة قدما
بدأت عمرك في علم وفي عمل ... وفيهما عمرك الزاكيُّ قد ختما
إن عسعس الليل كنت الليل متخذاً ... غطا النجاة ولم تألف به سأما
تدعو الإله بثغر ملؤه دررٌ ... ما انفك ينشرها أو ينثر الكلما
لم تسأل الله عن ذنب ومعصية ... فأنت لم ترتكب إثماً ولا لمما
ما أنت فرد بما قدّمت من عمل ... بل كنت في كل ما قدمته أمما
خطب الدهور قصمت الدين في علم ... فليت عمرك قبل الشيخ قد قصما
أوجعتنا مذ أخذت الشمس سافرة ... والبدر منبلجاً والورد مبتسما
والروض مزدهراً والخير مرتكما ... والطيب منتشراً والغيث منسجما
يا شيخنا لم تمت ذكراك باقية ... نمتار من عطرها فضلًا تقًى هِمما
يا محسن الفضل عش بالخلد في رغدٍ ... مستبشراً لا ترى داءً ولا سقما
واقطف ثماراً تدنت في حدائقها ... واشرب كؤوس الهنا مملؤة نعما



تجربتي مع الراحل العظيم

الأستاذ عادل العيثان[1]

في ظهر يوم السبت الموافق للرابع عشر من شهر ذي القعدة، بلغني رحيل سماحته. . . وما هو برحيل له بل بقاء، فأهل العلم باقون ما بقي الدهر.

وأقبلت للعزاء زاهداً في الحياة، لا تحملني رجلاي، وكيف لا يكون ذلك وقد تمزقت لفقده مشاعري، وتهشم خاطري، بل سقط كياني الذي استمد أصوله وثقافته وأخلاقه من سماحة الفقيه الكبير - قدس سره - فقد كان لي والداً ومعلماً ومربياً وصديقاً ونديماً. . .

عرفته منذ أن كان يزور قرى الأحساء والقارة للتعليم والوعظ والإرشاد، ونما إليَّ أنه فقيه عظيم ومجتهد كبير يرحب بالفاضل والشادي، والكبير والصغير، وسررت كثيراً متحمساً للقائه، وذهبت إليه ليلًا ولديَّ خمسون سؤالًا في الفقه والعقيدة والأصول.

وأدهشني تواضعه وترحيبه، فتشجعت للسؤال والحوار، وبالرغم من كبر سنه ومع ضيق الوقت إلا أنه أجاب على الخمسين تباعاً دون تبرُّم أو توقف.

ثم توالت الجلسات واللقاءات، فألفته وألفني، فكان يأنس بي، فيبدي لي عمّا في نفسه من آلام وآمال، وكنت ألمس في حديثه شعوراً مريراً بالغربة التي سببها له ذهاب لداته من العلماء والفضلاء، وكساد العلم وفساد الزمان.

ولست بعالم لأنبئك عن علمه وفضله، بل أكتفي بشهادة المراجع العظام - رضوان الله عليهم - (السيد الأصفهاني والشيخ محمد رضا آل ياسين والسيد الحكيم والسيد الخوئي) فقد قالوا في نص وكالتهم الشرعية - بأنه من فطاحلة العلماء وأكابرهم، وما ينبئك مثل خبير.

كان - رحمه الله - قويَّ الحجة، حاضر البديهة، يباغتك بالدليل، ويهجم عليك بالبرهان. وفي سنيه الأخيرة، وبالرغم من كون بصره مكفوفاً فقد احتفظ بذاكرة قوية تعينه على استحضار المسائل الدقيقة في علوم الشريعة.

وعرف - رحمه الله - بصراحته في الحق، وجرأته للعدل، وإصلاحه بين المتخاصمين على اختلاف طبقاتهم، وتحلّيه بالخصال العربية الحميدة كإكرام الضيف وقضاء الحاجات وتفريج الكربات، هذا إلى جانب صفات لاحظتها، وآراء لمستها، وإليك أهمها:

---

(١) من خريجي جامعة الرياض، ويعمل الآن معيداً في كلية إعداد المعلمين بالدمام. عرفته مثقفاً واعياً ذا مواهب متعددة وتربطه بالفقيد الصلة الروحية التي أوحت له بهذه الكلمة.

أولاً: أنفق وقتاً في جلساته ليس بالقليل لإزالة شبهات عوام الشيعة ودفع شطحاتهم في عقيدتهم بأئمتنا المعصومين عليهم السلام حرصاً منه على المذهب، وتشجيعاً منه للاعتدال، ولكي لا يكون الشيعة غرضاً لسهام الأعداء الحاقدين.

ثانياً: وكما يتوجه شباب اليوم إلى ثقافة عقائدية استدلالية، فإنهم بحاجة - فيما يرى - إلى معرفة الدليل المبسط للحكم الشرعي، فهي ليست وقفاً - كما يتوهم - على طلاب الحوزات.

وللإيضاح أقول: لم يبحث الشباب عن أدلة الجمع بين الصلاتين، والسجود على التربة... إلا بعد تعرضهم لمواقف محرجة، أما أدلة الأحكام الأخرى فلا نصيب لها من السؤال، وكأنهم ينتظرون الوقوع في الإحراج ليسألوا عنها.

وبناءً على ذلك الهدف، كان سماحته - طاب ثراه - يشفع الحكم الشرعي بدليله المجمل ومدركه الواضح في كثيرٍ من إجاباته لبعض السائلين.

ثالثاً: وبالرغم من مقامه العلمي الشامخ، فهو يجيب داعيه من المؤمنين أياً كان، ويذهب لزيارته بسيطاً لا تأخذه العزة، ولا يتصنع المنعة والهيبة، ولذا يشعر جلساؤه بالبساطة الواقعية والتواضع الأصيل، الأمر الذي يحفزهم للسؤال حتى عن قضاياهم الشخصية البحتة.

رابعاً: تركيزه على الإفادة من كل مجلس مهما كان مستواه ضعيفاً، فتخاله يحرك جلساءه، ويبعثهم على السؤال مُلاطفاً، ويحثهم على الحوار محترماً ردودهم وقد يثير السؤال بنفسه - إن أحجموا - وبالخصوص لطلاب الحوزة وفضلائها.

خامساً: وأصطفي إماماً ووكيلاً في البصرة من قبل المراجع العظام، فأبى أن يقبض الحقوق الشرعية ورعاً منه وتقوى. وبقي على هذا النهج حتى قبضت روحه الشريفة، وسمعت منه تأكيداً شديداً على أهمية الوكالة والإمامة، فهي لا تنصب في استلام الحقوق وصلاة الجماعة وحسب، بل في تدريس الطلاب وتعليم الناس وتوعيتهم ما فيه خير المعاش والمعاد.

رحمك الله أبا الهادي ووفقنا للسير على نهجك وخطاك، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلًا وأفضلها غرفاً ورفع ذكرك في عليين.

إلهي أجبر كسرنا، وسدَّ خلتنا بخلفه وقرة عينه سماحة العلامة المفضال الشيخ عبد الهادي الفضلي - رعاه الله تعالى -

اللهم آمين، وصل اللهم على الميامين محمد وآله الطاهرين.



رائد الفكر العملاق

المهندس جاسم الصُحيِّح[1]

حادي الخلود بركبِ الخالدين حَدَا ... يطوي العُصُور إلى عليائك اعتمدا
تكامل الركب إلا في صدارته ... لم تجترىء نحوها الأبطال أن تردا
أخلوا لك الصدر عن شوق ولا عجب ... من يحكم الغاب إن ليث الشرى وجدا؟
فانهض على عجل واقتد أزمتهُ ... كي لا يتيه فيغدو جمعه بددا

* * *

يا ومضة من ضياء السالفين سرت ... نوراً - إلى الخلف الآتين - متقدا
بوم المآسي على بيت العلى نعقت ... بالشؤم من حين غرِّيدُ الخلود شدا
حار النهى: هل يعزِّي الخلق فيك أسًى؟ ... أم أن يهنىء أنساً كل من خلدا؟
فأهل بيتك تأبيناً بكَ احتفلوا ... والخالدون بمولودٍ لهم وُلدا
والعلم حار: أعند الموت مقدرة ... حتى إلى مثل هذا المرتقى صعدا؟
أولى بصرف الردى أن ينحني أَدبا ... أمام علياك إن يوماً إليك بدا
فلتبكك المكرمات البيض قاطبة ... ألم تكن ربهن الواحد الأحدا؟
ولتجزع المعطيات الغرّ أجمعها ... ألم تكن فردهن الأوحد الصمدا؟
مولاي إن عيوناً طالما أنست ... بحسن مرآك باتت تشتكي الرمدا
مولاي إنَّ قلوباً كنتَ تعمرها ... بالرشد قد تيهت من حزنها الرشدا
يا من تبتل للأخرى فهام بها ... حتى احتسى المر في منهاجها شهدا
لم يلههِ زخرف الدنيا وزبرجها ... حتى على الله في جناته وفدا
سيحفظ الله روحاً فيك شامخةً ... لم تأل في نصره وُسعاً ولا جهدا
لو صوَّر الزهد فيما بيننا جسداً ... لاختار جسمكَ أن يغدو له جسدا
عذر البلاغةِ إن جفت خمائلها ... فمنبعٌ كان يسقيها النُهى نفدا
والفكر إن نكست أعلامه فلقد ... برى لحاملها سيف الحمام يدا
والحقُّ إن خفتت أنغام منبره ... إذ إنها افتقدت صدّاحها الفردا

---

(١) من خريجي الجامعات الأمريكية، ويشغل وظيفة مهندس في شركة أرامكو السعودية بالظهران وهو من شعراء الطليعة في الأحساء.

وخيمة الدين إن خرّت مُعفّرةً ... فقد نعت - في أسى أطنابُها العمدا
وحوزة العلم إن مادت منائرها ... فالموت زلزل منها الأسّ والسندا
والذكر إن عشعشت بوم الغبار به ... فقارىء الذكر أمسى يقطن اللحدا
لا غرو إن غرقت حدباؤه كرماً ... فقد أقلت على الأعواد بحر ندى
وتربة القبر إن أضحت منوّرة ... ففي ثراها من الإيمان نورُ هدى
وجيرةٌ جاوروا مثواه في جدث ... فازوا فهم وسط جنات العلى سُعَدَا
قد آمنوا ساعة الأهوال من فزع ... وأدركوا عنده عيشاً له رغدا
يا واهب النور من لألائه وهجاً ... ومعطي الصبر من عزم به جلدا
الدين يُتِّمَ لما حان مرتحلٌ ... لكم، ألم تتخذ دين الهدى ولدا؟
ألم تعان الضنى من أجل راحته؟ ... ألم تصيّر له كفيك مُتّسدا؟
ألم تقم ساهراً ترعى أريكتهُ؟ ... ألمْ تعزَّ له إمّا بكى المهدا؟
لا عذر للدين إن لم ينتحبْ جزعاً ... عليك والعلم إن لم ينتحبْ كمدا
يا ساهرَ الليل لم يملل دياجيهُ ... قد طيَّبَ العلمُ في أجفانه السُهُدا
هذي المصابيح قد فاهت ذُبالتُها ... بما زعمتُ وديجورُ الدُجى شهدا
تفنى الشموعُ ويفنى ضوؤهنَّ ولم ... يزل بيانك في الظلماء متّقدا
قرّبت من أنصع الأفكار - مقتدراً ... ما شطَّ عن مطرح الأذهان وابتعدا
تقهقرت خلفك الأنداء عاجزة ... ولحت في غاية المضمار منفردا
تلك المعالي، إذا جلت مخاطرها ... نصيب من جدَّ خلف المجد واجتهدا
يا من حملت لواء الحق منتضياً ... سيفَ العدالة تقتاد الوغى أسدا
تدوي أمام الشيوعيين فانهزموا ... خوفاً ولم يجدوا ملجّى وملتحدا
لما أغاروا شياطيناً كمنت لهم ... شهاب حق بأرجاء الهدى رصدا
خابوا - بفضلك - وانهارت عزائمهم ... وسعيهم في سبيل البغي ضاع سدى
وعاد شمل لهم في الأرض مجتمعٌ ... طرائقاً سكنت أنحاءَها قددا
واستوسق الشمل للإسلام واجتمعت ... على منارك أشتاتُ الهدى لبدا
يا جنة الخير فيحاءَ مُشرعةً ... أبوابها نحوَ من - أنهارها - وردا
من للمناهل يرويها فقد ظمئت ... حتى اغتدت في الثرى أمواهها ثمدا
من للروائع يجلوها ويظهرها؟ ... فضوء نبراسها الوضاء قد خمدا
من للمكارم يكسوهن منبهةً؟ ... فقد نزعن وشاحاً للعلى وردا

من للصوارم ينضوها ويَشْحَذُها؟ حتى تعود إلى سوح الوغى جددا
من للملاحم بالإقدام يبدعها مذللًا تحته الأقران والجردا؟
من للعلوم إذا حلت مشاكلها وحارت الناسُ حلَّ الصعب والعقدا؟
من للشدائد في عزم يذللها حتى يفجر - ماءً - صخرها الصلدا؟
حقاً تربع هذا الفذُّ في حفر؟ أم ضاقت الأرض أن تحوي له جسدا؟
ما كان للأرض مهما أوتيت سعةً أن يحتوي بطنها من فاقه بُعُدا
ولا المنفية مهما طال مخلبها أهلًا لتقتل إيماناً ومعتقدا

* * *

(يا عبد هادي الورى) يا نفحةً عبقت من عطر (محسن) من عمّ الوجود ندى
مواهبٌ لأبيك الفذ ناصعةٌ على الزمان محالٌ حصرها عددا
لكنك النعمة الكبرى التي برزت وأنت أعظمُ ما أسدى الوجود يدا
فإن يكن هو صوت الحق في زمنٍ فأَنْتَ أنت منهُ على مرِّ الزمان صدى
الأمهات على طول المدى عقمت أرحامهن لأن - كفوأً لكم - تلدِا



للأب الخالد

السيد حسن الخليفة(1)

تساويتَ في خَلَدي والهدى ومحضَ التقى وصميمَ الندى
تعاليتَ حتى سموتَ الخلود فكنتَ الحفيَّ بأَنْ تخلدا
فأنت الضمير الذي في النفوس وصوتك منه إليه صدى
مقوَّمةٌ بك كل الميول لأنك مَنْ نَفْسَهُ جَرَّدا
ورأيك من صدقه حازم تصارح في عرضه والأدا
فيا ابن جنادة في عصره كما عاش عشت هنا مبعدا
مضيت على نهجه زاهداً شريفاً تقياً عفيف الردا

(١) من الشباب المثقف الذي يشق طريقه إلى مستقبل زاهر - إن شاء الله تعالى - عن طريق الجمع بين التعليم القديم والتعليم الحديث.

وقلبك حبٌ أرق القلوب وتلك لعمري فيوض الهدى

* * *

وعلمك من منهل للنبي وصولًا إلى آله موردا
خُلِقتَ له أنتَ من آية ومجتهد رائد مهتدى
جهادك في العلم ما شَابَهُ فتورٌ ولا عائق أبدا
قهرتَ الضنى فالونى فالمشيب ورحتَ تكافح طول المدى
فيا لك من مثل للصمود ويا لك من قدوة تقتدى

* * *

يا واحداً مثله لم يكن ويا مثله لم تكن مفردا
إلى أنْ عاه إله الحياة فيا طائعا لو عصيتَ الردى
وخفتَ علينا - كما كنتَ - من وقع المصاب الذي سُدِّدا
وما أُضرمَتْ فيَّ نارُ المجوس وما عَملتْ في فؤادي المُدى
ولكنها سُنَّة لم تَشَأْ لتدعو فيجري عليك البَدا

* * *

قلت بنفسي ألسادرين يقيل الزمان بنيه سدى
ويحرمهم صحبة الأنْدَرين وأهل النهى والعلا والندى
ولا يُفْتَدون فيا للذهول ويا لهتاف شجياً حدا
أولئك ممن يعق الزمان بنيه بهم ويرد الفدا

* * *

سلام على آخذ في البقيع جوار بني هاشم مرقدا
يطوف الشعور به محرماً ببرديه من ترح سوِّدا
يلبيك تلبية الفاقدين أنين النوى ولهيب الصدى
ويبكيك والشعر لحن انفعال وأي انفعال يحاكي الردى

* * *

لأَمسِكَ من حاضري موئل ألوذ به حاضراً وغدا
ألوذُ بعطفك لَوذَ اليتيم وحضن أبِ الحبِّ مَهد الجَدا

رُجِمْتَ أَبَاً أنتَ خيرُ الجدود | وهبتَ الأَبوّةَ لي سرمدا
فذكراك رغم الأسى بلسم | وعطرٌ شذيٌّ يفوح نَدى
وأغنية في شفاه الخلود | تفوق بإطرابها معبدا
وأنت قصيد يطوف الدنا | ويُنشَدُ في خير ما منتدى
لأروعُ من غَردٍ في عكاظ | وأَبدَعُ من ساحرٍ مربدا
متى كُنتَ كانت في أَدَبٍ محتوى | تخرُّ له الأُدبَا سُجَّدَا



الأب الحاني

السيد حسين الخليفة(١)

ما كنت أحسب أن الدهر يفجعني | بنور عيني ويرزيني بوجداني
قد هيَّج الحزنَ في قلبي وأعياني | عيش بدار خلتْ من مشفق حاني
فقدتُ في كلِّ شبر من معالمها | أباً عطوفاً رفيع القدر والشان
أباً تقياً تَقَصّي الحقِّ ديدنه | وما تَعَدَّاهُ في فعلٍ وتبيان
أباً تأسى بياسينِ وعترته | خير الخلائق من انس ومن جانِ
مضى وقد ذهبت تعدو برفقته | أنوار علمٍ أحاطته وإيمانِ
وكان آخر مثوًى قد أناخ بهِ | روض البقيع ومثوى آل عدنانِ



ما كنت أحسب أن الدهر يفجعني | بنور عيني ويرزيني بوجداني
أيحسب المرء أن يمشي بلا قدمٍ | ويهتدي دون تفكير وإمعان
فيا لنفسي قد تاهت وما برحت | محواجة لهدى حبرٍ وربانـي
يبكي الفتى فقد من قد كان أنجبه | وفقد من قد هداه نهج فرقان
وكنت لي والداً رَبّاً وترشدني | فيا لحال فتًى مفقوده اثنان
بكتك عيناي حتى جفَّ مدمعها | واحمرَّ من فرطِ ما تبكيك جفنان

---

(١) الحسين أخو الحسن نسباً وهدياً وتطلعاً يتباريان إلى مستقبل مرموق، وُفّقا إلى ما يصبوان إليه.

لو كان يُرجعُ حزنُ المرء من رحلوا يَرْنَأْتُ شعري من حناء شرياني

* * *

وقيتني النار والأهلين ممتثلًا لأمر ربك «قوا» في آي قرآنِ
ورحت تلقي بسمعي حبَّ حيدرة وحُبُّهُ جُنَّةٌ من لهب نيرانِ
فهو القسيم كما أخبرتني ثقةً عن الصدوق بيوم الحشر لاثاني
وهكذا كنتَ تروي كلَّ منقبةٍ لدى الأمير ولم تعبأ بشنآن
عقدت في جيدي عقداً للولاء ولم تبغ بذاك سوى رضوان رحمان
يا رب جاءك عبدٌ محسنٌ وله آثار فضلٍ ألفناه وإحسان
نوّر ضريحه واجزل بالثواب له والهم محبيه من صبر وسلوان



ظواهر في شخصية الفقيد الغالي

الأستاذ يعقوب يوسف العضب(١)

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

شاء الله تعالى أن أتعرَّف على سيدي الجليل (أبي محمد) سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ ميرزا محسن الفضلي (قده) منذ أكثر من ثلاثين سنة فعرفته:

متواضعاً في مجلسه، متواضعاً في مسكنه وملبسه، مقتصداً في مأكله ومشربه، قنوعاً بما قسم الله له من رزقه، جريئاً في قول الحق وبيانه، بعيداً عن المجاملة في جميع صورها وأنماطها. لا يبالي من كان المتحدث إليه. كما لا يبالي برد الفعل الذي يحدثه قوله...!

هذا ديدنه في مجلس داره أو مجلس مسجد صبخة العرب أو في مجلس مسجد الأحسائية في الزبير أو في مجلس مسجد الفيحاء في شط العرب أو في مجالس الهارثة...

لا يترك فرصة للتحدث عن الدين إلا واغتنمها بما ينبغي للمسلم أن يكون عليه في معاملته مع عياله أو مع نفسه.

مبتدءاً بأوليات التكليف ومتدرجاً إلى الحد الذي يناسب المقام أو مختصاً بأولئك

(١) من أدباء البصرة الكتاب والمتلمذين على الفقيد والمقربين إليه.

الذين يطمعون بالمزيد، توضيحاً وتوسعاً. مبسّطاً حيناً ومتعمقاً حيناً آخر حتى يقف المكلف على ما هو مطلوب منه، دون أن يرى سماحته راجعاً إلى رسالة علمية أو كتاب ذي خصوصية. . . !

يتحدث عن التكاليف الشرعية. وفي مختلف المواضيع، وكأنه موضوع واحد تكرر للمتحدث فيه البيان. بالرغم من كبر سن سماحته وضعف بدنه وكأنه في ريعان شبابه وعنفوان قوته.

يصدق - وكثيراً ما يصدق - أن يكون المجلس محدوداً ومختصراً والحاضرون فيه من المحبين والعارفين لطبعه وقوة إيمانه، وشدة صراحته، فيسأل البعض منهم عن حدود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يمكن للمسلم أن يصدع به. في حدود قدرته وأفضلية ما يقوم به لبلوغ المرجو فيه. فيحدث سماحته عن ذلك بكل جدية وحماس وشمول، بعيداً عن مداراة لزيد أو لعمرو، ذلك الشيخ الهادي الضعيف يصبح الرجل الثائر القوي! معززاً رأيه بالآيات الكريمات والأحاديث الشريفة.

وحينما يحاول البعض التخفيف من حدة أسلوبه متذرّعاً بمراعاة المجاملة وعدم إثارة المخاطبين بهذا الشكل من القوة والصراحة. فيقول وقوله لا يزال يقرع إلى الآن في أذني (وحقك هذا نفاق! وأنتم ما عندكم دين!) هذا هو أسلوبه في قول الحق!

وسواء أكنت أنا المتحدث مع سماحته أو مستمعاً لحديثه مع الآخرين لم أره يوماً من الأيام قد تغير في نهجه لقول الحق أو اختلف أسلوبه في بيان التكليف عدا ما دأب عليه من التدرُّج في الإيضاح والتدليل.

أما في أوقات الأزمات والشدة، فتراه يتصدى للأمور بكل قوة وجدية وصرامة. وإن علم أنه وحده هو المتصدي؛ لا يبالي بالنتائج المعاكسة التي كثيراً ما تعززها طبيعة المجابهة. وخاصة إذا كانت وما يتعارض مع أفكار وأهداف التجمعات والتحزبات. . . !

وقد وقف وقفة جريئة وحازمة ضد المد الشيوعي في العراق زمن إعطاء الفرصة للشيوعيين للافصاح عن آرائهم بأساليبهم التي كان يجهلها معظم المنتمين إليهم، فضلًا عن المؤيدين لهم، ومنهما له عالم صديق تربطه معه رابطة وثيقة، وكان لهذا العالم الصديق ولد، تبين فيما بعد (الفرصة) أنه يتبنى الفكر الشيوعي. وعندما أحس سماحته بالأمر، طلب من صديقه العالم أن يصد ولده عن مسايرة الشيوعيين، ولما علم سماحته أن هذا العالم لا يتمكن من تغيير رأي ولده. طلب سماحته منه أن يقطع كل صلة له مع ولده لأنه ليس منه، فاعتذر.

وحالما أفهمه سماحته أن لاصلة بينهما بعد الآن. وسيقف ضده ويقطع كل صلة طيبة كانت معه. وفعلًا قاطعه ووقف منه موقفاً معادياً إلى الأبد.

يرتاح سماحته من المجالس التي يقيمها فقراء المتدينين فيحضرها بكل سرور أينما أقيمت. سهل طريق الوصول إليها أم صعب. يعود مرضاهم ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم. أبغض ما عليه مجالس الشهرة والبذخ، فلا يقربها أبداً.

يعرفه طلابه الذين يتلقون دروس العربية والفقه والمنطق ومبادىء الفلسفة في داره في أوقات مخصصة لكل منهم وحسب مرحلته. ويعرفه أكثر منهم أولئك الذين رافقوه في بعض زيارته لمراجع الأمة العظام. وذلك من لهجة تحدثه معهم أو أصغائهم إليه وموافقتهم على ما يعرضه أحياناً ولتعليقهم للبعض عند سنوح الفرصة.

إعتاد سماحته أن يخفي سفره حتى عن أقرب الناس إليه. وإن صادف وسافر معه أحد فلا بد وأن يلاحظ تحرك شفتيه الكريمتين على طول الطريق. فعندما تدنو منه منصتاً إليه تَسمعُه يدعو الله تعالى ويسبحه أو يقرأ بعضاً من القرآن الكريم باخفات شديد.

ولم أره أو أسمع من أحد بتوقف هاتين الشفتين الكريمتين إلا مرة واحدة! هي تلك المرة التي دعيت فيها نفسه الطاهرة المطمئنة للرجوع إلى ربها! ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

فسلام عليك يا سيدي (يا أبا محمد) يوم ولدت... وسلام عليك يوم مت وسلام عليك يوم تبعث حياً.



من سيرة الراحل العظيم

الوجيه الحاج حسين المازني(١)

إعتادت الأفراد والشعوب والأمم أن تقوم باحياء ذكرى عظمائها وبيان سيرتهم ومآثرهم والدعوة للاقتداء بسلوكهم والتمسك بمبادئهم وأخلاقهم ومن أولئك العظماء القلائل الذين عاشوا في أوطانهم غرباء الفضل والفضيلة والذي يستحق منا كل إجلال وإكرام وتعظيم ذلك هو آية الله الإمام الفاضل والعابد الزاهد والمصلح العظيم سماحة الشيخ ميرزا محسن الشيخ سلطان العباد العلي الفضلي قدس سره. إنه من مواليد الحوطة إحدى قرى العمران بالأحساء سنة ١٣٠٩هـ توفي والده رحمه الله وله من العمر عشر سنين خلفه مع شقيقتيه تعولهم والدتهم رحمها الله من خياطة الملابس وثمار بعض النخيل الموروثة. تعلم

(١) من وجهاء البصرة المرموقين، وطليعة المؤمنين العاملين في سبيل الله فيها.

القرآن الكريم والكتابة عند الملالي في العمران وتتلمذ على يد شيخها الجليل المغفور له الشيخ عمران العلي ثم سافر إلى النجف الأشرف بعد حصوله على المقدمات وهناك درس على يد جهابذة العلم والأدب والمعرفة... عاصر كلّا من حجج الله الأعلام السيد كاظم اليزدي والشيخ الآخوند والشيخ أحمد كاشف الغطاء والسيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ حبيب آل قرين والشيخ محمد رضا آل ياسين والسيد محسن الطباطبائي. وحصل على إجازات وشهادات علمية بالأفضلية والاجتهاد من كل من السيد أبو الحسن الموسوي والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ حبيب آل قرين. عاش حصار النجف الأقدس عند مقتل الحاكم البريطاني فيها وذاق لوعة المجاعة التي حلت بالنجفيين أيام الحصار حيث أكلوا لحوم الخيل والبغال والحمير، وأنه رحمه الله يروي بأن المجاعة اضطرته إلى بيع بساط ثمين كان لديه يعتز به كثيراً بحقه استنبول (٤ كيلو) من التمر الرديء واستعمل بدله حصيراً من سعف النخيل حصلت عليه والدته بدل خياطة بالطو (سترة).

تزوج خلال وجوده في النجف الأشرف من بني عمه فكان له سماحة العلامة الجليل الشيخ محمد الفضلي حفظه الله وعبد الله وحسين وتزوج في البصرة من السادة آل البطاط في سوق الشيوخ بالعراق فكان له من تلك العقيلة سماحة حجة الإسلام الدكتور عبد الهادي الفضلي حفظه الله وعبد الجليل وصادق ومهدي وفاضل ومن البنات أربع.

طلبه نخبة من علماء ووجهاء البصرة نظراً لما يعرفون عنه من غزارة علم وشجاعة وتقى واسلوب سهل في الاقناع فعينه سماحة الإمام الشيخ حبيب آل قرين وبدعم وتأييد من سماحة الإمام السيد أبو الحسن الموسوي قدس سره لإرشاد أهالي صبخة العرب - محلة في النواحي الشمالية من البصرة يقطنها عشائر من البو صالح وخفاجة وعبودة وغيرهم، وكانت لهم عادات وتقاليد مجافية ومنافية لروح الإسلام وما أن حلّ بينهم حتى غير تلك العادات والتقاليد النشاز بعد أن بنى له بين ظهرانيهم بيتاً متواضعاً من الطين ومجداً جعله مدرسة شعّت منه أنوار الحق وخرّجَ جيلًا واعياً ورجالًا مؤمنين.

وعند دخوله البصرة التزمه وسانده جمع من وجهائها على رأسهم الحاج عبد الله عيسى أبو مجداد والحاج حبيب حسين المازني والحاج عبد الوهاب السليمان، فقاوم كل المنحرفين والفضوليين وقال بملء فيه كلمة الحق ولم يخش إلا الله وجعل من داره المتواضعة في محلة المجصة في البصرة مدرسة ثانية للعلم والأدب، فكانت ملتقى العلماء والأدباء، وقد اهتدى بها ضالون وتربى بها كثير من الكهول والشباب أمثال أستاذ البصرة الكبير محمد جواد جلال والحاج محمد طاهر البصري والعلامة الشهيد السيد طاهر أبو رغيف والأستاذ السيد هاشم الناصر وغيرهم كثير.

ومن الذين تخرجوا من مدرسته وساروا على الحجة الواضحة واهتدوا بهديه والتزموا بتعاليمه المحمدية الأستاذ يعقوب العضب والحاج عبد علي المؤمن والحاج عبد الحسين المؤمن أولئك البررة الذين لم تأخذهم في الله لومة لائم.

وكان لراحلنا الكبير اليد الطولى في حل النزاع الفلسفي واطفاء نار الفتنة التي أشعلها المغرضون في البصرة بين حجة الإسلام الشيخ حبيب آل قرين رحمه الله وبين إمام البصرة سماحة العلامة السيد مهدي القزويني رحمه الله والتي ثبت فيها صحة وسلامة آراء الشيخ آل قرين وخطأ مناوئيه عفا الله عنهم وغفر الله ذنوبهم فصار لفقيدنا الراحل من هذه وتلك منزلة رفيعة عند أهل العلم عامة وسماحة الإمام القزويني خاصة.

واتخذ الراحل قدس سره عدة أماكن للصلاة في البصرة وضواحيها، والحقيقة أنه للعلم والمعرفة وللوعظ والإرشاد. فكان مقره الرئيسي جامع صبخة العرب، والثاني جامع الأحسائيين في الزبير والثالث جامع (حاج طونيه) بمحلة العرب في الزبير والذي انقطع عنه عند مجيء نجل الإمام القزويني رحمه الله والرابع جامع الفيحاء في شط العرب والخامس مسجد الهارثة، ومن تلك المساجد شع نور الإيمان والعلم والأدب وبقي روّاد تلك المساجد يتذكرون مجالس شيخهم وقدوتهم متشوقين لندواته المعطرة بروح الإيمان رغم البعد وطول الغياب إلى أن وافاهم صوت الناعي فبكوا كثيراً وأقاموا الفواتح في كل مكان.

ومن سلوكه وأخلاقياته التي جُبل عليها أنه رحمه الله كان معتمد الجالية السعودية (الأحسائيين) في البصرة وكانت داره مأوى الضيف ولا غرابة فهو الكريم الحنون من آل علي... ولم تقع مشكلة أو تقع حادثة للزائرين إلا وكان فقيدنا الرائد الأول في حلها.

إنه كان يقول الحق في كل زمان ومكان ولا تأخذه في الله لومة لائم، حارب كل المتطفلين على الإسلام وعلمائه ولم يقر لهم بما يثبت للناس حسن سريرتهم ورجاحة علمهم فكان يحث هؤلاء على الجد والتحصيل قبل تولي الأمر والنهي والفتوى بين الناس، لذا حارب وبكل قوة أدعياء الاجتهاد الذين لم يصلوا لتلك المرتبة السامية وكان يقول: إن هؤلاء الدخلاء هم أخطر فئة على الطائفة ويحذر الناس منهم... وكان يصدع بالحق أمام جليسه بلا مجاملة أو نفاق رضي أم أبى المبطلون.

وكان الراحل العظيم هو أول من نَفَّذَ فتوى الإمام الحكيم قدس سره في الشيوعية وهي في عنفوانها حيث نادى على المنابر وفي كل محفل أن (الشيوعية كفر والحاد) دون أن يخاف غائلة الشيوعيين الذين أرادوا الغدر به في إحدى الليالي فانجاه الله منهم. وعندما قام

حكام العراق بعد ثورة ١٤ تموز وحكم عبد الكريم قاسم بتحريف القرآن المجيد ومساواة المرأة بالرجل في الميراث متأولاً وراداً قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ كان فقيدنا أول الثائرين والمحتجين المستنكرين ببرقيته المشهورة التي بعثت إلى بغداد بعد البرقية المشهورة التي استنكر فيها مع علماء البصرة صدور القرارات الاشتراكية وبسبب هذه وتلك استدعي إلى مديرية أمن البصرة أكثر من مرة. . . وانتقده بعضهم فقال له إنك سعودي فلا يحق لك التدخل في شؤون العراق، فقال رحمه الله: إن الدفاع عن بيضة الإسلام واجب إسلامي لا يفرق بين هذا البلد أو ذاك، ولما اشتد عليه الضغط هاجر إلى بلده الأمين إلى مدينة الخبر فسكنها فترة ثم انتقل إلى سيهات، موطنه الأخير.

وكان رحمه الله يزور الأحساء أسبوعياً في العمران مرة والحوطة والقارة والرميلة تارة أخرى فيرشد ويعلم ويوعظ فهو كالشمعة المتوقدة ظلّ ينير الدرب للسالكين رغم العواصف والرياح العاتية وحتى النفس الأخير.

وكان رحمه الله يكره المجالس التي لا ينتفع بها الناس، لذا تراه يمل دخولها ولا يلبث فيها إلا قليلًا ولكنه على العكس من ذلك يحب المجالس النافعة التي يذكر فيها اسم الله وينتفع بها الخاص والعام فتراه يمكث فيها طويلًا دون كلل أو ملل. وكان رحمه الله لا يحضر مجلساً لأهل العلم إلّا شغله بمسألة نحوية أو فقهية أو فلسفية يترك الجالسين مشغولين بها متوجهين لما يدور حولها من نقاش وآراء وحلول حتى تتبسط فيفهمها الجميع.

رحم الله كل الذين لازموه في حياته عارفين قدره ومكانته العلمية مستلهمين من آرائه وفلسفته. . . وجزى الله الذين ساروا على خطاه مقتدين بسلوكه وسيرته مستنيرين بعلمه وتعاليمه، ووفق الله كل الذين شربوا من منهله الصافي وسلكوا الطريق الذي سلكه.

فهذه سيرة راحلنا العظيم التي عاشها والطريق الذي سار عليه والأخلاق التي تحلّى بها حتى وهو على فراش المرض وفي أشد حالاته التي لازمته أكثر من سنة فتوفي في مستشفى ارامكو يوم ١٤/ ١١/ ١٤٠٩هـ في اليوم الذي توفي فيه والده ووالدته وغسّل وشيع في سيهات ودفن في البقيع بالمدينة المنورة فسلام عليه يوم ولد ويوم عاش ويوم مات ويوم يبعث حياً.

■

من سيرة أبي

الأستاذ صادق العباد الفضلي(١)

هذه ذكريات وخواطر أقدمها للقارىء الكريم موشاة بدموع الأسى لفقدي ذلك القلب الحنون والوالد الرؤوف في أنبل ما وصل إليه الحنان والرأفة.

كان - قدس الله نفسه الزكية - قد درس الفقه الإسلامي حتى بلغ فيه رتبة الاجتهاد، وأتبع ذلك دراسته للفلسفة الإلهية وعلم الكلام وعلم الأخلاق إلى المستوى الذي جعله أصيل الرأي فيها عميق الغور في دقائقها وأسرارها.

كما كانت له دراية فائقة في علم الإنساب وأحوال العرب والتاريخ الإسلامي إلا أن الجانب الذي كان يمتاز به أكثر هو تخصصه في الفقه الإمامي، فكان - قدس سره - فقيهاً مجتهداً، لا يدع مسألة فقهية إلا وخاض غمارها وخرج منها الفارس المجلي وفي كثير من المجالس التي كان يحضرها رأيته يشيد بالعلم ويدعو له ويظهر شرفه وقدره مما يجعل الحافين به يكنون للعلم والعلماء كل حُبٍّ وتقدير وإجلال.

وكان رحمه الله يستاء كثيراً عندما يجد شخصاً ما يتخبط في مسألة علمية لا يهتدي إلى وجه الصواب فيها، فكان يرد عليه بشتى البراهين والمزيد من الأدلّة ليوضح الحقيقة ويزيل الالتباس، بدون مجاملة، حتى ترتاح سريرته ويهدأ باله عندما يجد الطرف المقابل وقد اقتنع بالأمر، وأضيف إلى ذلك إني رأيته أحياناً يحذر من أن بعض الحاضرين قد يصيبهم الملل لطول شرحه بقصد عموم الفائدة، فيأتي بين الحين والآخر بطريقة تجعل الحاضرين مرتاحين لشرحه، مسرورين بوجوده بينهم، محبين للإستمرار على مجالسته، ولو أنه كان رحمه الله أحرص منهم على ذلك فقد كان ولا يزال الصدى يتردد على مسامعي سواء لما كان مقيماً في (البصرة) أو في (الأحساء) لقوله لي: يا ولدي أيما مجلس يجمعني الله به مع المؤمنين ولا يسألوني عن أمور الدين لا قيمة لذلك المجلس، ، حيث لا إفادة ولا استفادة.

وأما من الأمور الملاحظة والتي كان ملتزماً بها قدس سره فهي إنه لا يطيل وقتاً حينما يأم بالمصلين للصلاة الواجبة وأحياناً يسبق ذلك بخطبة، أكثر ما كانت تتعلق بالصلاة، مقدماتها، أحكامها شروطها، أجزائها، مبطلاتها، وأنواع الشكوك والسهو ومعالجتها وإلى ما يتعلق بذلك من أمور وكان - أعلى الله مقامه - مواظباً على الطاعات والأعمال والقيام بالكثير من المستحبات، وقراءة القرآن الكريم والعديد من الأدعية المأثورة عقب كل صلاة.

---

(١) من أبناء الفقيد، والأدباء الذين عرفوا بكتابة المقالة الأدبية والتاريخية، فقد نشرت له بعض الصحف اليومية في البصرة وفي الدمام... وله رسالة في (أوائل البصرة).

ومن المحاسن التي كان يتميز بها رحمه الله (صلة الرحم) متبعاً قول الله ورسوله. . .

قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1] وقال تعالى في الحديث القدسي **(أنا الرحمن، وهذه الرحم شققت لها إسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته)**. . . وقال الرسول الأعظم : **(أبغض الأعمال إلى الله الشرك بالله، ثم قطيعة الرحم، ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف)** وقال : **(لا تقطع رحمك وإن قطعك)** وقال : **(إن القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة، فيصلون أرحامهم، فتنمى أعمالهم وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبراراً بررة)** صدق الرسول الكريم .

أما وعند هذه الناحية فلي وقفة قصيرة أريد أن أوضح بها من أن بعض الناس يزور أقرباءه ليؤذيهم في طرح كلام مذموم، أو يثقل عليهم بأمور ما، أو يزورهم بقصد مصلحة أو مصالح شخصية يكسبها وينتهي الأمر لهذا الحد، أو تكون زيارته بقصد إيقاع الفتن أو للغيبة والنميمة، أو بقصد التباهي أمام الآخرين، أو بقصد إعانته وهم أحوج منه لذلك، أو كرد زيارة واحدة بواحدة، ومنهم من لا يقدّر ظروف قريبه التي لا تسمح له بعد حتى يقوم بالمواصلة فتجده ينهال عليه أمام الآخرين بتسمية قاطع رحم، وهو يدري ولا يدري بأنه بتصرفه هذا أصبح هو بذاته قاطع رحم، لأن مثل هذا التصرف قد يكون مدعاة للضغينة، وقد يكون فاتحاً لفجوة وسبيلًا لجفوة، ومن الناس من يدخله الحسد عندما يرى قريبه سعيداً في إحدى النواحي، والله سبحانه المعطي، لذلك تراه شعر أو لم يشعر يحاول بكل جهده أن يصور ذلك القريب أمام الآخرين بأبشع الصور السيئة، ويحاول عرقلة مسيرته وادخال الأذى عليه بأي طريقة يقدر على فعلها. . . وغير ذلك من الأمور التي هي بعيدة كل البعد عن (صلة الرحم) بل هي ضد ذلك.

وتسنى لي ذكر ما تقدم لأنها حصيلة درس من دروس المغفور له، الذي كان دائماً يتفقد أقرباءه ويواسيهم ويفرحهم ويساعدهم على أعمال الخيرات، ويواصل زيارته إليهم، ويسأل عن أحوالهم، ويدخل البهجة والسرور إلى نفوسهم، ويرد عهنم كثيراً من العوائق التي يقدر على ردها أو منعها، جاعلًا لهم منزلة طيبة في نفسه، يعفو عن هفواتهم، ويصفح عن مسيئهم، ويمد إليهم يد النصح والعون، ويدافع عنهم في الحضور والغياب.

وكان رحمه الله مع ما أجراه من طيب معاملة وحسن تصرف مع كل ذي صلة به، متصفاً بالتواضع مع الجميع، والكل يعرف بما للتواضع من منزلة رفيعة عند الله سبحانه

(١) سورة النساء، الآية: ١.

وتعالى وهو القائل: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٢] وقال الرسول الأعظم : **(طوبى لمن تواضع في غير مسكنة، وانفق مالاً جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذلة والمسكنة، ومن خالط أهل الفقه والحكمة)** صدق الرسول الكريم ، فقد كان صاحب الذكرى - طيب الله ثراه ممن يحمل هذه الصفة العظيمة، طيلة حياته المباركة، أينما حل، وكان يوصي باتباعها ويشدد على جلسائه بالتمسك بها، وبهذه المناسبة يحضرني وقع طيب حصل معي بالذات عندما كان المغفور له يزور أهله الكرام ومعارفه الأخيار من سكان الأحساء منطقة العمران والحوطة والرميلة والقارة والمنصورة وكذلك الهفوف وغيرهم، بين الحين والآخر ليستفادوا من وجوده بينهم، وكان كلما قدم أتشرف بزيارته لي أكثر الأحيان لأنه غالباً لا أعلم عن مجيئه إلى الأحساء، وفي أكثر من مرة كان يسمع عتاب المحبين له بقولهم: (لا تكلف نفسك يا شيخ بزيارة ولدك، دعنا نخبره عن مجيئك حتى يأتي ويزورك في مقامنا هذا).

فكان رحمه الله يجيبهم (وهل تريدون أن تقطعوا بيني وبين ما أحب فإن هذه المسألة يترتب عليها أمور كثيرة أحدها أتفقد أحواله عن قرب حتى يتسنى لي مساعدته إن احتاج ذلك فيما أقدر عليه وهو في بيته عن ما لا أقدر عليه وأنا في محضركم الشريف).

ما أبدع هذا التواضع وما أروع تلك النفس المتواضعة المحبة للخير، الصادقة فيما ترى وتعمل.

وبجانب صفته بالتواضع كان رحمه الله ذا شخصية فذة، جريئاً بقول الحق، ذا ثقة عالية بنفسه، وكان يسعى طيلة مسيرته المباركة للصلح بين المؤمنين الذين تفرقوا لأسباب ما، وكان ذا فراسة واسعة، وحدس قوي تجاه من يقابل من الناس، أنيساً لمن جالسه، مهاباً في مجالسه، بهي الطلعة، كبير المقام، حسن السمعة، محبوباً لمن سايره، لطيفاً مع معاشره، طيب السريرة، محمود السيرة، نشيط الحركة، حاضر البديهة، يكره الحسد، ويمقت الحقد، يعمل ويشجع الآخرين على عمل الخيرات، وكل خطوة يخطوها يتوكل على الله بالاستخارات، جامعاً للشمل، محباً للوصل، ذا شيمة وحمية، ومروءة وتقية، جليل القدر، عظيم الفكر... غفر الله له وأسكنه فسيح جناته، وألهمنا جميعاً الصبر على فقده...

والله نسأل أن يقدرنا على خالص الدعاء له بالرحمة والمغفرة إنه تعالى سميع مجيب.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

على قبر أبي في البقيع

نم فمثواك روضة ونعيم ... نم هنيئاً لك الجوارُ الكريمُ
روضةٌ قد حوت أئمة حق ... عظماء يتلو العظيم العظيم
آل بيت النبي خيرُ هداة ... أمناءُ والحقُ فيهم مقيم
كنت منهم في فقههم وهداهم ... يرتضيك اجتهادك المستقيم
قد بلغت التقى وزادك منه ... وجزاءُ المتقين نعمى تدوم
فسلام الهدى عليك وبشرى ... رحمات الإله الرؤوف تقيم

* * *

لك من زهدك الكبير شعارٌ ... علويُّ الهدي لحب قويم
قد رفضت الدنا وعندك منها ... موردٌ عفٌ وخيرٌ عميم
مثلت في عينيك غراً خدوعاً ... حلوها مُرٌ والصحيح سقيمُ
فتركت الدنى وأنت نقيٌّ ... جسدٌ طاهرٌ وقلبٌ سليم
لم تدنسك شبهةٌ أو حرامٌ ... من حطام أكلهُ مسموم
فضربت المثال للزهد حياً ... يهتديه من للصلاح يرومُ

* * *

قولةُ الصدق لم تفارقك يوماً ... لم تخف أن تقولها من يلوم
عشتَ للصدقِ والصراحة دوماً ... فـفداك المنافقُ المذموم
من أبي الذرّ قدوة وإماماً ... قد تخذتَ السلوك وهو قويمُ
فعلى ذكره الشريف سلامٌ ... وإليك الرضاء والتسليم

* * *

جئت ابكيك لم أجد من دموعي ... ما يوفى به المصاب الأليم
فنثرتُ الفؤاد عندك حزناً ... فإذا دمعتي الدمُ المسجوم
كيف أسلوك والسلوُ عديم ... يا أبي والفراقُ صعبٌ عظيم
كنت لي الحبّ والحنان وظلاً ... وارف الفيء والفؤادِ رحيمُ
مات في ثغري النشيد وغابت ... نفحة الحبّ فالحياة كلومُ
وعزائي أني غداً سأوا ... فيك وألقاك والحياة نعيمُ

* * *

مصادر عن حياة الفقيد

كتب عن الفقيد - قده - وترجم له في أكثر من مصدر، منها:

١ - اتمام الأعلام — الدكتور نزار اباظة ومحمد رياض الصالح

٢ - أعلام البصرة — للاستاذ إبراهيم الرويح

٣ - أعلام هجر — للسيد هاشم الشخص

٤ - تتمة الأعلام للزركلي — محمد خير رمضان يوسف

٥ - الفهرست المفيد في تراجم أعلام الخليج — أبو بكر عبد الله محمد الشمري

٦ - طبقات أعلام الشيعة — للشيخ أغا بزرك الطهراني

٧ - مجلة البيان — للاستاذ علي الخاقاني

٨ - مطلع النيرين في ذكر أعلام الحسا والقطيف والبحرين — للحاج جواد الرمضان

٩ - نزهة الأنظار في تتمة الأنوار — للشيخ حسين القديحي



الفقيد معه الشيخ حسين العمران من علماء القطيف والمجازين بالاجتهاد والرواية من قبل الفقيد - قدس سره - في جمع من الطلبة..

١٥ - الفقيه الشيخ محمد أمين زين الدين (ت١٤١٩هـ)

فقيه الأدباء وأديب الفقهاء

هدف البحث: يهدف هذا البحث - كما يومىء إليه عنوانه - إلى بيان ما قام به أستاذنا الكبير، فقيه الأدباء وأديب الفقهاء، الشيخ محمد أمين زين الدين (١٣٣٣ - ١٤١٩هـ)، من نشاط أدبي ساهم في إنماء الحركة الأدبية في النجف الأشرف، ومن أعمال إبداعية شاركت في تطوير الحركة المشار إليها.

أهمية البحث: إن الكتابة عن الشيخ زين الدين تعني الكتابة عن أستاذ مُرَبٍّ مرموق من أساتذة الأجيال في النجف في حقبة زمنية كانت تمثل العصر الذهبي للنجف الأشرف علمياً وأدبياً، وقد استمرت لأكثر من خمسين عاماً تقريباً، وضمّت علماء عظماء وأدباء لامعين.

والكتابة عنه تعني، أيضاً، الكتابة عن هذه الحقبة الحافلة بالانتاجات الكثر الخيرة، والمعطيات الوفر اليانعة.

من ها هنا تأتي أهمية الموضوع، فأهمية البحث فيه.

طريقة البحث: اعتمدت في بحثي هذا طريقة الاستقراء من واقع مشاهداتي حين زياراتي لأستاذنا الجليل، ولقاءاتي به في المناسبات وغيرها، ومدة تلمذتي عليه، ومن واقع قراءاتي لما وقع بين يديّ من نتاجه الأدبي مطبوعاً ومخطوطاً.

خطة البحث: ويتألف هذا البحث من الموضوعات التالية:

١ - لمحة عن تاريخ الحركة الأدبية في النجف الأشرف: نشأتها وتطورها.

٢ - تعريف موجز للأدب النجفي: خصائصه، أجناسه، عوامله.

٣ - شخصية الشيخ زين الدين الأدبية.

٤ - دوره في إنماء الحركة الأدبية في النجف.

٥ - دوره في تطوير الحركة الأدبية في النجف.

مصادر البحث

١ - الأعلام، خير الدين الزركلي.

٢ - تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات.

٣ - تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي.
٤ - دليل النجف الأشرف، عبد الهادي الفضلي.
٥ - الديوان (المقدمة)، د. مصطفى جمال الدين.
٦ - سحر بابل وسجع البلابل (المقدمة والتعليق)، الشيخ آل كاشف الغطاء.
٧ - شعراء الغري، علي الخاقاني.
٨ - طبقات أعلام الشيعة، الشيخ آغا بزرك الطهراني.
٩ - ماضي النجف وحاضره، الشيخ جعفر محبوبة.
١٠ - معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، د. محمد هادي الأميني.
١١ - موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف)، جعفر الخليلي (إعداد).
١٢ - الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال (إشراف).
١٣ - نحو أدب إسلامي، عبد الهادي الفضلي.

الحركة الأدبيّة في النّجف

من الظواهر المعروفة في تاريخ المراكز العلمية الإسلامية في العالم انبثاق الأدب من واقع الحركة العلمية ونشأته، نمواً وتطوراً، في أحضانها. وفي الغالب يزدهر بازدهارها ويضمر بضمورها.

والنجف الأشرف، باعتباره مركزاً من المراكز العلمية الإسلامية، لم يختلف عن لداته من المراكز العلمية الإسلامية الأخرى في وجود هذه الظاهرة التي تمثل العلاقة بين العلم والأدب، في انبثاق الثاني من الأول، ونشأته في أحضانه، وفي أجواء بيئته الطبيعية والثقافية.

ومن المعروف، تاريخياً، أن بدايات وجود الدرس العلمي الديني في النجف الأشرف كانت في القرن الرابع الهجري[1].

إلّا أن تلكم البدايات لم ترتفع إلى المستوى المساعد على انبثاق الأدب من العلم فيها، لأنها كانت بدايات صغيرة ومحدودة، وسبب هذا هو بطء حركة الهجرة إلى النجف والسكن فيه آنذاك.

---

(١) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ص٣٣٣.

وعندما انتقلت المرجعية الدينية من بغداد إلى النجف الأشرف في القرن الخامس الهجري، متمثلة بالشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، المرجع الديني للشيعة الإمامية آنذاك، حيث هاجر من بغداد إلى النجف الأشرف، وهاجر معه طلابه وأصحابه ومريدوه من رجالات الشيعة الإمامية، ازدهرت الحركة العملية، ولكن لم يقدر لها أن تتمخض عن حركة أدبية ملازمة لها، لانشغال الشيخ الطوسي ومن معه بإرساء وتثبيت دعائم الحركة العلمية وتنظيم أوضاعها، وترتيب أحوال أساتذتها وطلابها.

وبعد وفاة الشيخ الطوسي، ضمرت الحركة العلمية في النجف، وسبب ذلك نشوء مدينة الحلّة، وانتقال الحركة العلمية الإمامية إليها، فـ «في أخريات القرن الخامس أنشأ الأمير العربي سيف الدولة منصور بن صدقة بن دبيس الأسدي الحلة».

و«بعد تأسيسها بقليل انقلبت الحضارة العراقية إليها، وتقدمت تقدماً باهراً حتى على الزوراء، ولا سيما بعد مزعجات التتار عليها، التي سلمت الحلّة منها، وهي إلى جنبها، ثم اتسعت معارفها وتكاثرت فيها العلماء حسب اتساعها وحضارتها.

«وبعد نصف قرن من ظهورها نبغت فيها أساطين الإمامية ونوابغ الدهر وعجائب الدوران، كإبن إدريس الحلّي صاحب **السرائر** أستاذ نجيب الدين بن نُما الحلّي، وهو أستاذ نجم الملّة والدين الشهير بالمحقق على الإطلاق، صاحب كتاب **الشرائع**، وحسبك العلامة الحلّي الشهير بابن المطهر وولده فخر المحققين صاحب **الإيضاح**، وكثير من أمثالهم»[١].

«وكانت الحلة من أول القرن الخامس إلى أربعة قرون هي دار الهجرة لطلب العلم عن الشيعة الإمامية»[٢].

ومنذ القرن التاسع الهجري، حيث أخذ نجم الحلة بالأفول، عادت الحركة العلمية في النجف تأخذ بالنمو فالازدهار.

وعند حلول القرن العاشر الهجري، أخذ أبناء القبائل العربية بالهجرة إلى النجف الأشرف لطلب العلم في الحوزة العلمية، والمجاورة لمرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة النجف. والأدب، كما هو معروف، وبأشكاله الفنية، شعرية ونثرية، من السمات البارزة في حياة العرب، وقد نبغ منهم العديد من الشعراء والخطباء والكتّاب، وفيهم الأفذاذ الذين اشتهروا على مستوى القطر العراقي، وعلى مستوى العالم العربي، كما فيهم النوادر الذين اشتهروا على مستوى العالم، أمثال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، والأستاذ محمد مهدي الجواهري والسيد أحمد الصّافي النجفي.

---

(١) سحر بابل وسجع البلابل (المقدمة): ص٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٣١.

ومن أولئكم القبائل العربية التي هاجر بعضٌ من أبنائها إلى النجف واستوطنوها خلال القرن العاشر: آل البلاغي وآل الجزائري وآل محيي الدين.

ثم توالت هجرات بقية أبناء القبائل العربية الأخرى.

ففي القرن الحادي عشر هاجر إلى النجف عوائل من آل الأعسم وآل النحوي وآل قسام.

وفي القرن الثاني عشر الهجري هاجر إلى النجف جلُّ أبناء العشائر العربية النجفية المعروفة الآن، الذين برز منهم في العلم والأدب النخبة من الرجالات النوابغ، وهم: آل كاشف الغطاء، وآل بحر العلوم، وآل الظالمي، وآل الشيخ عبد الرسول، وآل الفرطوسي، وآل قفطان، وآل المظفر، وآل أطميش، وآل زايردهام.

وفي القرن الثالث عشر الهجري هاجر إليها آل الشبيبي، وآل الدجيلي، وآل سميسم، وآل السوداني، وآل مطر، وآل الغراوي، وآل الخرسان، وآل العصامي، وآل زوين وغيرهم.

وارتبطت هذه الحركة الأدبية النجفية بمثيلاتها في البلدان العربية، أمثال مصر وسورية ولبنان، وتفاعلت مع مثيلاتها الأخرى في البلدان غير العربية، وبخاصة في إيران، للرابط المذهبي بين أبناء النجف وأبناء إيران، ولأن الحوزة العلمية في النجف تضم الوفرة من العلماء والطلاب من الجالية الإيرانية.

ولا يخفى تأثير هذا التفاعل الثقافي والأدبي بين الحركة الأدبية في النجف الأشرف والحركات الأدبية الأخرى في البلاد العربية فقد مرت بنفس المراحل التي مرت بها تلكم الحركات، خلال هذه الحقبة من الزمن الممتدة من القرن العاشر الهجري حتى عصرنا هذا، وهي:

- العهد العثماني.
- عهد النقلة.
- العهد الحديث.

ففي العهد العثماني، كما هو معلوم، اعتمد الأسلوبُ الأدبيُ في الشعر والنثر، معطيات علوم البلاغة العربية التي ذكرت في أمثال كتب الزمخشري والسكاكي والتفتازاني، حيث التأكيد على اللفظ على حساب المعنى، والذهاب في تقديس اللفظة إلى حدّ الإسراف، حتى هيمنت على الصورة الأدبية، شعراً ونثراً، الألوان البديعية ذات الجمال المصنوع.

وقد استمرت هذه المرحلة إلى بدايات القرن الرابع عشر الهجري حيث داخلتها مرحلة النقلة الأدبية.

وقد كنتُ أطلقتُ هذا العنوان، (مرحلة النقلة الأدبية)، في بحث لي سابق عن هذه الحقبة الأدبية من الزمن، لخضرمة أعلامها من الأدباء بين العهد العثماني وعهد النضهة العربية الحديثة، ولتطعيم نتاجاتهم الأدبية بشيء ممّا عُرف فيما بعد أنه من سمات الأدب العربي الحديث، بما ساعد على تحوّل الأدب العربي مما كان عليه في العهد العثماني إلى ما آل إليه في العهد الحديث.

ولأن الدوريات الأدبية كان لها الدور الأهم في التطورات الأدبية، لنا أن نطلق على مرحلة النقلة الأدبية عهد **العروة الوثقى**، المجلة الثقافية التي كان يصدرها في باريس السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده منذ عام ١٨٨٤م، وقد «صدر منها ١٨ عدداً، وكانت لسان حال جمعية العروة الوثقى الداعية إلى عزة الإسلام وحرية العالم الإسلامي»(١)، وذلك بالنظر إلى انتشارها بين أبناء العرب آنذاك، ولدعوتها للتجديد علمياً وأدبياً، وللنهضة من الجمود على القديم الذي لا قدرة له على التفاعل مع الحياة العربية الإسلامية وما يدور في فلكها من أحداث تستدعي التغيير إلى ما هو أفضل.

فقد تأثر بها جلُّ العلماء العرب المعاصرين لها، وكان خاتمتهم في النجف الأشرف الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ)، وتمثل طابع النقلة فيما نشر من شعره، وفي كتابه الشهير **الدين والإسلام**، فقد لمسنا فيهما صدى الفنون البلاغية العربية كالسجع والجناس، وهو من القديم، وقرأنا فيهما بعض ما أفرزته الثقافة الحديثة، وهو من الجديد.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري كانت بدايات العهد الأدبي الحديث في النجف الأشرف.

ولنا أن نسمي هذه البدايات بمرحلة أدب **الرسالة**، المجلة الأدبية التي كان يصدرها في القاهرة الأستاذ أحمد حسن الزيّات (ت١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، منذ عام ١٩٣٣م حتى عام ١٩٥٣م حيث احتجبت، ثم عادت للظهور عام ١٩٦٣م ثم بعد فترة احتجبت.

وفي عام ١٣٥١هـ، هاجر شيخنا زين الدين من مسقط رأسه مدينة البصرة إلى النجف الأشرف، لإكمال متطلبات دراسته الدينية في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، والتقى فيها بأدبائها وحضر مجالسها الأدبية الخاصة والاحتفالات بذكريات أهل البيت عليهم السلام العامة،

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة، مادة «العروة الوثقى».

واختص أدبياً بصديقه الحميم ورفيق دربه في مسيرته الأدبية الشيخ سلمان الخاقاني (١٣٣٢هـ - ١٤٠٨هـ)، واستقرّ في النجف مستوطناً حتى وفاته، رضوان الله عليه.

وسأعود إلى هذا بعد أن أحاول تعريف الأدب النجفي في أهم خصائصه وأنواعه وعوامله.

الأدب النجفي:

إن أهم سمة عُرف بها الأدب النجفي هي الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

ويرجع هذا إلى عاملين مهمين ساعدا على ذلك، هما:

١ - وجود مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف.

٢ - وجود الحوزة العلمية في النجف، تلك الحوزة التي احتضنت فكر آل البيت عليهم السلام عقيدة وتشريعاً.

إن هذا الولاء انعكس على الإنتاج الأدبي النجفي، فجاء أكثره في ذكر أهل البيت عليهم السلام وإحياء ذكراهم.

إن ذلك الارتباط بأهل البيت عليهم السلام هو السمة التي غلبت على الأدب النجفي.

أما أجناس الأدب النجفي فهي:

١ - **الشعر الفصيح بأنواعه المختلفة**: القصيدة، الرواية، البند، التخميس، التشطير، الموشحات، الملاحم، الدوبيت، الرباعيات، الأراجيز.

٢ - **الشعر العامّي (باللهجة العراقية الدارجة) بأنواعه التالية**: القصيدة، الأبوذية، الأهزوجة، الرَّدَة.

٣ - **النثر بأنواعه التالية**: المقالة، الرسالة، المقامة.

٤ - **الخطابة بأنواعها التالية**: : الحسينية، الوعظ، في المناسبات الخاصة والعامة.

ويكتسب النجفيُّ الأدبَ من الأجواء الأدبية التي تحيط به ويحيط بها، وهي:

١ - **المجالس الأدبية**: وكانت تعقد في المنازل ليلتي الخميس والجمعة وليالي شهر رمضان المبارك.

٢ - **الحفلات**: وتقام عادةً في المناسبات، أمثال: ذكرى أهل البيت عليهم السلام، زفاف صديق، مولود لصديق، قدوم حاج، وفاة شخصية كبيرة.

٣ - **الجمعيات الأدبية**: وذلك بما يعقد فيها من ندوات ومجالس وحفلات.

هذه ويصفون لهجته في كلامه وحسن تصويره للخاطر الذي يختلج في باله حتى كأنه يشير إلى شيء محسوس في الخارج»[(١)].

٢ - **حلقة الشيخ مهدي الحجار** (ت١٣٥٨هـ)؛ يقول الخاقاني: «وكانت له حلقة أدبية تضم العشرات من الشباب الذين كانوا يرجعون إليه في فصل الخصومات الأدبية»[(٢)].

ومما ينبغي أن يشار إليه هنا، الظواهر التي جرت بمناسبة حديث الأدب، منها:

أولاً: إن الشعر كان يعتمد في إسماعه الحضورَ على طريقة الإنشاد، وكان لهذه الطريقة أناس مختصون يُعهد بها إليهم، ثم تحوّل من طريقة الإنشاد إلى طريقة الإلقاء. يقول الخاقاني في كتابه **شعراء الغري**[(٣)]، «وتولى إنشاد شعره بنفسه، ولعله أول شاب رأيناه من إخواننا استعمل ذلك يوم أن كان مستغرباً فقد عُرف بإنشاد الشعر آنذاك: الشيخ حسن سبتي والسيد خضر القزويني، ومن قبلهما الشيخ محمد شريف».

ومن المنشدين المعروفين أيضاً السيد هاشم كمال الدين.

ثانياً: تنظيم الاحتفالات، وذلك بوضع منصة للإلقاء وجدول بأسماء الأدباء المشاركين في الاحتفال، وتعيين عريف يقوم بتقديم المشاركين، والبدء بتلاوة آيٍ من الذكر الحكيم، والختم بكلمة شكر.

يقول الخاقاني في ترجمة الجعفري أيضاً: «وزاد على ذلك بأن سعى إلى قلب مجالس النجف وأنديتها إلى شكل احتفالات أدبية على طراز ما يقتضيه العصر الحديث، مما هو مستعمل في مصر وسورية».

ثالثاً: الشعر السياسي، يقول الخاقاني في ترجمة صالح الجفري، بعد المنقولة المذكورة في أعلاه: «وإدخاله الشعر السياسي في المحافل الدينية والأندية الأدبية ما سبّب تحامل الرجعيين واتهامه بشتى الاتهامات التي كانت مبتذلة آنذاك لاتخاذها سلاحاً فاشلاً ضد المتيقظين».

رابعاً: التأثر بالأدب الفارسي، عُرف الأدب الفارسي، ولا سيما الشعر، بالظواهر التالية: عذوبة الإيقاع ودقة الألفاظ وسعة الخيال ودقة التصوير.

وعُرف الأدب العربي، وبخاصة الشعر، بانعكاس طبيعة بيئة البادية على الكثير منه، تلك الطبيعة التي كانت تتمثل في فخامة الألفاظ ومتانة المعاني وعفوية الأخيلة.

---

(١) شعراء الغري: ١/ ١١٥.
(٢) المصدر نفسه: ١٢/ ٢١٠.
(٣) شعراء الغري: ٤/ ٣٠٠، ترجمة صالح الجعفري.

مثّل هذا الانعكاس في شعره تمثيلًا نموذجياً الشاعر السيد إبراهيم الطباطبائي (ت١٣١٩هـ)، «ذكره الشيخ علي الشرقي في مقدمة ديوانه فقال: نشأ وفيه ميل فطري للآداب فعكف عليها في إبانْ شبابه، وكان مغرىً بغريب اللغة وشواردها، ذا حافظة قوية للغاية، مفضلًا لأسلوب الطبقة الأولى طبقة البداوة على الأساليب الصناعية الحادثة.

«ولم تَمْضِ برهة حتى طار ذكره في البلاد واشتهر في شعره بطريقته العربية الصرفة التي أحياها بعد اندراسها، حتى تألف لها حزب من أدباء العراق على عهده، وتعصّب لها قوم تخرّج جماعتهم عليه».

«وهو أكثر رجالات الأدب المتأخرين تعهداً لمن يستفيد منه، وحرصاً على تخريج من يأخذ عنه، ولذلك كانت له حلقة تلتف حوله من عشّاق مسلكه، ولا يزال الناس يذكرون حلقته هذه ويصفون لهجته في كلامه وحسن تصويره للخاطر الذي يختلج في باله، حتى كأنه يشير إلى شيء محسوس في الخارج»(١).

والعلاقة الثقافية بين النجف الأشرف وإيران علاقة وثيقة فالكثير من أساتذة وتلامذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف هم من الإيرانيين.

وأيضاً، كثيراً ما يسافر الشيوخ والطلاب الحوزويون العرب إلى إيران بقصد زيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام بمشهد، ومرقد أخته السيدة فاطمة بقم، وبقصد السياحة والاصطياف والتعارف، فيلتقون هناك بالأدب الفارسي ويتعرفونه عن طريق رجالاته والمنشور من إنتاجاتهم الأدبية، ويتفاعلون مع تلك الطبيعة الموهوبة بالحسن والواهبة للشعر.

وقد بان أثر هذه العلاقة الثقافية على النتاج الأدبي النجفي، وذلك في مثل:

١ - شعر أحمد الصافي النجفي (ت١٣٩٧هـ)، فقد سافر الصافي إلى إيران وتعلم اللغة الفارسية بإتقان، وقرأ الأدب الفارسي بإمعان، فأفاد منه براعة التصوير، وإنسيابية التعبير، حتى عاد نموذجاً مميزاً في شاعريته وشعره.

٢ - شعر علي الشرقي (ت١٣٨٤هـ)، سافر الشرقي إلى إيران ثلاث مرات، وأفاد من سفراته هذه ما ظهر أثره على خياله الشعري.

وكما تأثر الصافي والشرقي، وهما من أعلام الشعراء النجفيين العرب، بالأدب الفارسي، تأثر شاعران نجفيان آخران، وهما من أصل فارسي بالأدب العربي، فكانا من أدباء النجف المعدودين، وهما:

---

(١) شعراء الغري: ١/ ١١٥.

١ - آغا رضا الأصفهاني (ت١٣٦٢هـ)، فقد اعتبره الأستاذ الخاقاني[1]، ممن تأثر في شعره بالشاعر المعروف صفي الدين الحلي ومدرسته «فقد عشق البديع وأنواعه، وتأثر بالنكات الأدبية الدقيقة، ويكاد لا يخلو كل بيت له من ذلك».

وفي تعليق الشيخ كاشف الغطاء على ديوان السيد جعفر الحلي[2]: «وللشيخ آغا رضا المذكور مع وفور حظه من العلم والفضل والتقى والصلاح حظ وافر من الأدب، وباع طويل في النظم والنشر وشعر رائق جمع فيه بين طرافة الفرس وفصاحة العرب».

٢ - أبو الفضل الطهراني (ت١٣١٦هـ)، هو الآخر فارسي الأصل، تأثر بالأدب العربي، ونظم الشعر العربي وأجاد فيه.

إن هذا التلاقح بين الأدبين العربي والفارسي كان عاملًا مساعداً على التجديد في الأدب النجفي الحديث.

خامساً: التأثر بالأدب المصري، فالصلة الأدبية بين النجف ومصر قديمة، إذ كان العرب - ومنهم النجفيون - يتابعون أخبار النهضة الأدبية الحديثة عن طريق الدوريات الأدبية المصرية، أمثال **الرسالة والرواية والثقافة والهلال والكاتب المصري والكتاب**، وغيرها.

ثم تأكدت هذه الصلة عن طريق المبتعثين من أبناء النجف إلى القاهرة للتخصص في اللغة العربية، أمثال: الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، والدكتور مهدي المخزومي، والأستاذ إبراهيم الوائلي، فقد تأثروا بالأدب المصري الحديث، وانعكست أصداؤه على نتاجهم الأدبي.

وخير مثال يذكر هنا الأستاذ إبراهيم الوائلي، فإنك لتلمس طابع ما ذكرتُ في قصيدته بذكرى الإمام علي عليه السلام:

صهر النبوّة حسبي منك إيحاء ... دنياك صوت ودنيا الناس أصداء
آمنت بالحق لم تعصف بموكبه ... هوج الخطوب ولم تفلله أرزاء
وبالصراحة أدنى ما يراد بها ... للخلق أن يتساوى الذئب والشاء
يا أيها الآية العظمى ألا قبس ... من الهدى فحواشي الأفق ظلماء
أشرف على السفح وانظر كيف جانبه ... فإنه اليوم لا نبت ولا ماء

(١) شعراء الغري: ٤/ ٤٥.
(٢) سحر بابل وسجع البلابل: ص١١١.

ومثال آخر أستاذنا الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، وقصيدته في تأبين شاعر القطرين خليل مطران (ت١٩٤٩):

سل عن الشاعر أو خذه مثالا تَغْنَ عن شعب جواباً وسؤالا
تلتقي الآفاق في أبعاده وهو دون العين مرأىً ومنالا
ضلّت الألباب عن إدراكه ومضت تخبط رشداً وضلالا
ليس تدري أية تنسبه أملاكٌ حطَّ أم جنٌّ تعالى
وبماذا تتحامى شرّه وترجّي الخير منه والنوالا
فلتقم للشعر يوماً جامعاً ولتبالغ فيه سوماً واحتفالا
وليَنُبْ عن كلّ قطر شاعر عرف الفضل لأهليه فقالا
شاعر القطرين بوركت صباً وشباباً ومشيباً واكتهالا
جئتَ والنهضة فينا طفلة بعدُ لم تبلغ فطاماً أو فصالا
وتباشير حياة حرة شعّ في الوادي سناها وتلالا
ورفاقٌ عدُّ أخوان الصفا نفروا واستنفروا الناس عجالى
كنتَ في القادة منهم فكرة ومن الساقة إذ أعيوا كلالا
تهبُ الفكرة لا مستجدياً أن يقول الناس قد أفتى وقالا
مصلحٌ في غير دعوى مصلح ونبيّ لم يكلّفنا امتثالا
تخذ الفنّ له آلهة وحواري الفنّ أنصاراً وآلا
سل بيوتَ الفنّ من عمّرها وأشاع الخير فيها والجمالا
وبرود الشعر من جدّدها وارتدى منها قصاراً وطوالا
ورد النيل سحاباً فاستقى وأتى الآفاق فانهلّ انهلالا
كلما مرَّ على مجدبةٍ أسمعته حمد مصر فأنالا

وكان لدخول دواوين علي محمود طه: **الملاح التائه وليالي الملاح التائه وأرواح وأشباح وزهر وخمر والرياح الأربع**، دور واضح قرأنا أثره في شعر غير واحد، منهم: الشيخ محمد حيدر، والأستاذ صالح الظالمي، والأستاذ جميل حيدر.

كما كان لقراءة مؤلفات الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم، وجيلهما من أدباء مصر، أثر بعيد جداً في صقل الموهبة الأدبية النجفية وبخاصة في مجال النثر الفني.

وانعكاس هذا واضح في كتابات أمثال أستاذنا السيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد بحر العلوم وغيرهما.

سادساً: التأثر بالأدب الشامي، السوري واللبناني، وكان هذا بالدرجة الأولى عن طريق قراءة شعر بدوي الجبل وشعر الأخطل الصغير، ودواوين الأستاذ الحوماني وغيرهم.

كما كان عن طريق زيارات أدباء النجف للبنان والالتقاء بأدبائه وحضور ندواته الأدبية.

وكذلك عن طريق الأدباء اللبنانيين الذين كانوا في النجف للدراسة الدينية، وهم على صلة بالأدب اللبناني والأدباء اللبنانيين.

وأوضح مثال يذكر، هنا، أخونا السيد محمد حسين فضل الله، وقد بيّنت هذا في تقديمي لديوانه **يا ظلال الإسلام**.

ولا ننسى أن نشير هنا إلى دور مجلة **العرفان** في الربط بين الأدبين اللبناني والنجفي؛ فقد كانت الجسر الذي وصل بين الثقافتين اللبنانية والنجفية.

يقول خير الدين الزركلي في **الأعلام**، ترجمة أحمد الزين، وهو في معرض الحديث عن مجلة **العرفان**: : «كانت أعظم ميدان لأقلام كتاب عصره، (يعني صاحب **العرفان**)، من العامليين على الخصوص والشيعة الإمامية بصفة عامة.

«وكان لمطبعتها الفضل في نشر جملة من كتب الأدب والتاريخ».

وكذلك نشير إلى مجلة **العروبة** للأستاذ الحوماني فقد كان لها شيء من التأثير.

كما لا ينبغي أن ننسى، هنا، دور مؤلفات جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة ومارون عبود، وجيلهم من الأدباء اللبنانيين.

شخصية الشيخ زين الدين الأدبية

وكما مرَّ بنا، هاجر أستاذنا الشيخ زين الدين من البصرة إلى النجف عام ١٣٥١هـ، حيث البدايات الأولى للصراع الثقافي بين القديم والجديد في دنيا أدب النجف، فكان عليه، وهو الطموح الذي يتطلع لأن يكون أديباً من أدبائها، أن يدخل هذا المعترك، ، ولأنه كان ابن الثامنة عشرة في حينها كان عليه أن يكون في صف الشبان، أي مع الجديد.

وكما ألمحت، ففي النجف التقى بصديقه الحميم ورفيق دربه في مسيرته الأدبية الشيخ سلمان الخاقاني.

والخاقاني من الشبان القلائل الذين كانوا يُعنون بمتابعة الكتب الأدبية الحديثة أمثال مؤلفات الدكتور طه حسين، والدكتور زكي مبارك، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم المازني، ومصطفى صادق الرافعي، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وأحمد حسين الزيات، وأحمد أمين، ويوسف السباعي، وسيّد قطب، ويحيى حقي، ونجيب محفوظ، ومارون عبود، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة. . . الخ.

وكذلك الدوريات الأدبية الحديثة أمثال: **الرسالة والرواية والثقافة والهلال والكاتب المصري والكتاب والعرفان والعروبة والهاتف والاعتدال**... **الخ**.

وممن كان يتابع النتاج الأدبي الحديث من قرناء الخاقاني سناً: الأستاذ صالح الجعفري، وأستاذنا السيد محمد تقي الحكيم، والسيد محمد جمال الهاشمي، وآخرون قليلون.

وكان لأستاذنا زين الدين متابعة أيضاً، ولكن ليس عن طريق الاقتناء شأن من قدّمت أسماءهم لقلّة ذات يده، فكانت متابعته لما تصدره المطابع من إنتاج أدبي حديث عن طريق الاقتناء في حدود الميسور، وعن طريق الاستعارة من زميله الشيخ الخاقاني.

وبطريق الاقتناء استطاع، مع مرور الزمن، أن يكوّن لنفسه مكتبة أدبية مغنية كمرجع أدبي خاص.

نثره:

وكان لمجلة **الرسالة** دور العامل الأهم في تكوين أسلوبه الأدبي لكتابة المقالة، فقد تأثر بافتتاحياتها تلك التي كان يحررها صاحب **الرسالة** الأستاذ أحمد حسن الزيّات، والتي طُبعت فيما بعد تحت عنوان **وحي الرسالة** بأربعة أجزاء، وكانت من مقتنيات شيخنا زين الدين ومحفوظات مكتبته الخاصة، وقد رأيته كثير القراءة لها والتأثر بها في كتاباته، لا سيما مقالاته الأولى.

وبعد أن استقلّ بشخصيته الأدبية استقلّ بأسلوبه الخاص به الذي ينتمي أدبياً إلى أسلوب الزيّات، أو قل إلى مدرسة **الرسالة** في أسلوب المقالة.

والعوامل التي ساعدت أستاذنا زين الدين على الاستقلال بأسلوب أدبي اختصّ به في كتاباته النثرية هي:

١ - طموحه، فقد كان بعيد الطموح وذا نزعة قوية في الطلوع إلى قمة الكمال.

٢ - ثقته بنفسه، في القدرة على الفهم والإدراك، والنقد والرد، والتحليل والتعليل، وعلى الاختراع والإبداع.

٣ - اعتداده بشخصيته بعمق وقوة.

وكل هذه عوامل نفسية تساعد مساعدة فاعلة على الوصول إلى الهدف المنشود.

وتمثّل أبعاد أسلوبه في النثر الفني بالتالي:

١ - اهتمامه بانتقاء اللفظة المناسبة لموضعها في سياق الجملة والكلام.

٢ - حرصه على أن تكون اللفظة خفيفة الإيقاع، حيث تتطلب الفكرة ويقتضي السياق، وثقيلة الجرس عندما تفرض المناسبة أو الموقف ذلك، مع المحافظة على عذوبتها ذوقاً، وسهولة أدائها نطقاً.

٣ - محافظته على العفوية، أي البعد عن التكلف، في إنسيابية الألفاظ ضمن عقد تعبيري متناسب ومتناسق.

٤ - تأكيده على صفاء الشكل العام للمقالة، إلى مستوى لا يرى القارىء فيها إلّا ترابطاً عضوياً في اللفظ والمعنى، فلا نبوة للفظ ولا كبوة لمعنى.

وقد أكثر من كتابة المقالات، وبخاصة في مناسبات ذكريات أهل البيت عليهم السلام التي كانت تقام في البصرة والنجف الأشرف وسامراء، حيث يُقيمُ موكبُ النجفيين، الذي اعتاد أن يذهب إلى سامراء بمناسبة وفاة الإمام الهادي عليه السلام، في اليوم الثالث من شهر رجب من كل عام، مهرجاناً كبيراً بالمناسبة.

نموذج من نثره الأدبي «بلال يؤذن»:

من اروع مقالاته الأدبية مقالته بعنوان «بلال يؤذّن»، التي نشرها الأستاذ علي الخاقاني في مجلته **البيان**، وفي كتابه **شعراء الغري** ضمن ترجمة الشيخ.

وقد لاقت عند نشرها استحساناً كبيراً من طبقة الأدباء القدامى وطبقة الأدباء المحدثين، وأعطته شهرته الأدبية في الوسط الأدبي النجفي كأديب له أسلوبه النثري المتميز.

ولأنها النموذج الممثّل لأسلوب أستاذنا الجليل، رأيت نشرها هنا لتسليط بعض الضوء على ما فيها من أبعاد فنية... وها هي:

«ينعقد الحفل ويكتظّ النادي بالمجتمعين، ويعمّ الجميعَ صمتٌ رهيب وسكون خاشع، ومحمد يتحدث بصوت متزن الإيقاع، سماوي النبرات، يأخذ بالقلوب قبل الاسماع، ويمتلك العقول قبل النفوس، وكأن المجتمعين من أهل طبقة واحدة، قد سوّت بينهم أخوة الدين الجديد، وجمعتهم سياسة النبي الحكيم، فلا فوارق ولا مميزات».

«تلك هي الجامعة المثالية التي أسسها محمد يوم وصوله إلى يثرب، فهي مجلس التشريع ومحكمة العدل، وهي هيكل العبادة ومسجد الصلاة، وهي مدرسة التهذيب ومعهد الثقافة، ومصدر جميع ذلك قرآن محمد وإرشاده».

«وللمسلمين كل يوم في ذلك المحفل أكثر من اجتماع واحد، تتزاحم فيه المناكب، وتتطاول فيه الأعناق، وترهف فيه الأسماع لاستجلاء حكمة جديدة، واستطلاع رأي سديد».

«يتحدث محمد ويشير، والقلوب رهن إشارته وحديثه، والعيون تحصي كل لمحة من طرفه، وكل إشارة من كفّه».

«وينتهي النبي من حديثه فيسكت، وسكوته إذنٌ للقوم بالكلام، فيبتدئون القول، ويستعرضون في كلامهم أمر الصلاة، وأي عمل عند المسلم أعظم من الصلاة، وأي حديث أشهى إليه من حديث الصلاة».

«إنها اجتماع أرواح، وائتلاف أبدان وقلوب، ثم هي تَحَوّلٌ من حال إلى حال، وارتفاعٌ من كون إلى كون، حيث يلتقي العابد بالمعبود، ويتصل الخالق بالمخلوق».

«ويذهب القول شعوباً، ويتخذ فنوناً وطرائق، ثم يلتقي عند الأذان فيتساءل الحاضرون باستغراب: إن لكل دين من أديان السماء شعاراً يبلغ أهله أمر الصلاة، فهلّا يكون للمسلمين ما يشبه ذلك، لقد خفنا أن يفوت البعض منّا حضور الصلاة إذا أوكلناه إلى الصدفة، ولم لا يتّخذ المسلمون إحدى هذه العادات شعاراً لصلواتهم»؟!

«فيقول أحدهم: إني رأيت أبواق اليهود أبلغ في إيصال الدعوة إلى المصلين».

«ويقول الثاني: ولكن ناقوس النصارى أشجى نغمة، وأكثر اتصالاً بخشوع العبادة».

«ويقول الثالث: ولكنا عرب قبل اليهودية والنصرانية، فهلّا نتخذ لصلاتنا ناراً كنار القرى، ولنسمّها إذا شئنا «نار الصلاة». ويقترح آخرون طرائق أخرى».

«يقولون هذا، ومحمد مطرق لا يفوه بشيء، لأن الوحي لم يزوّده بشيء، ولأنه يكبر دينه أن تدخله أمثال هذه العادات التي لا تشبه العبادة ولا تمتّ إلى العقيدة».

«ليكن نداء الصلاة نداء أرواح لأنها اجتماع أرواح، ولكن الوحي لم يأته بعد بشيء، فهو مطرق».

«وينفضّ الحفل والأذان حديث كلّ فم، وفكرة كلّ قلب، وتمرّ على المدينة ليلة قلقة يتناول الرأي فيها كلّ أحد، ويشترك في القول كلّ فرد، لأن الصلاة حق للجميع فالتفكر في شأنها من حقوق الجميع ما دام النبي لم يصدر رأياً، وما دام الوحي لم يعيّن أمراً».

«وينتهي الهزيع الأول من الليل، فتسري في المنتديات همسة من الرجاء، وتطوف عليها بارقة من الأمل، إنهم سيسمعون عند الفجر أول نداء للصلوات، ولكن ماذا يكون ذلك النداء، ويبيت الجميع في نشوة من الأمل، ووله من الانتظار، يتطلعون بشائر الفلاح عند الصباح».

«ويتقلص ظل الليل الطويل، وتبدو طلائع الفجر الأول، تحمل تباشير النور، فيزدحم المسجد الأعظم، وتكتظ الشوارع القريبة، وتمتلىء الأفنية والسطوح».

«ماذا يتأمل هؤلاء المزدحمون»؟

«إنهم ينتظرون نداء الصلاة، عظمت الصلاة، وعظم نداؤها، وعظمت القوة التي تملك الموجودات قبل وجودها».

«ويبتسم الفجر، فينطلق صوت بلال بالأذان الأول (الله أكبر)، فتهتز قلوب، وتجري دموع، وترتفع إلى السماء أصوات متشابكة، هي مزيج من زغاريد النساء، وتكبير الرجال».

«ويبدو وجه محمد أمام المسلمين، ويقيم الصلوات، مؤسس الصلوات، فترتد الأنفاس، وتسكن الأصوات».

«يقول التاريخ: الأذان رؤيا صالحة رآها عبد الله بن زيد».

«ويقول الأئمة من أهل البيت: الأذان وحيٌ تنزّل من السماء».

«فهل لنا أن نصدق التاريخ إذا لم يعترف بصحته أهل البيت»؟!

«وهل لنا أن نجوّز على النبي أن يعتمد في الأذان على الرؤيا، وهو المقيّد بالوحي فيما يقول وما يفعل».

«الدين الإسلامي أبعد من أن يؤسس أحكامه على الرؤى مهما كانت صالحة، ومهما كان الرائي عبداً صالحاً».

«ومن لنا أن نجعل رؤيا الأذان نوعاً من أنواع الوحي حجب عن محمد ليراه عبد الله بن زيد»؟!

«وسواء أكان الأذان رؤيا صالحة أم كان وحياً إلهياً، فقد أصبح شعيرة من شعائر الدين، وأصبحت لبلال مكانة جديدة عند المسلمين يوم كلّل جبينه وسام المؤذّن الأول، واعتمده الرسول أميناً على أوقات الصلوات».

«يسمع المسلمون صوت بلال في اليوم الواحد خمس مرات، ثم لا يزيد هذا التكرار أذانه إلّا طلاوة، ولا يؤثر في قلوبهم إلّا لهفة وشوقاً».

«وتدول الأيام فيقبض الرسول، وينقطع الوحي، ويختم القرآن، وينقطع صوت داعي الأرض لانقطاع صوت داعي السماء».

«وعاهد بلال نفسه أن يترك الأذان وفاءً لنبيّه، ولا بد له أن يفي».

«ثم تمرّ على ذلك العهد أيام، وقلوب المسلمين متعطشة إلى صوت بلال».

«وتمرض وحيدة النبي، (فاطمة)، فيعودها كبراء المسلمين، ويأتيها الشيخ الوفي مع العائدين، فترحب به ثم تقول: لقد اشتقت إلى صوتك يا بلال، فيطرق بلال ثم يبكي».

«إنه اقتراح عظيم على بلال، ولكن لا بد له أن يجيب، لأن التي تقترحه هي وديعة في الأمة».

«لقد ترك الأذان وفاءً لنبيّه، فليؤذّن هذا اليوم وفاء لنبيّه أيضاً».

«نعم سيؤذّن بلال هذا اليوم، ولكن أذانه اليوم غير أذانه بالأمس».

«يشيع النبأ فتجتمع الأمة وتزدحم كازدحامها بالأمس، إلّا أن الفارق جليّ بين اليومين، فإن الدموع لا تشبه الدموع، والخشوع لا يماثل الخشوع».

«وبلال ينتظر الوقت وهو مطرق، لا يدري أيحسن الأذان هذا اليوم أم لا»؟

«ويجيل طرفه جولة في السماء فيعرف الوقت، ثم يجهد ليؤذّن فلا يستطيع».

«وبعد برهة يرتفع صوته مزيجاً من البكاء والتكبير، وتستحيل المدينة صرخة واحدة، يشترك فيها عويل النساء وبكاء الرجال».

«ويجيء النذير إلى بلال، إن وحيدة رسول الله قد ماتت، فيقطع الأذان وينزل بين الحسرات والدموع».

«لم تمت فاطمة يومئذٍ ولكنها ذكرى عهدٍ حبيب تثير منها كامناً فتصعق، والوجد إذا تضاعف قتل»(١).

اطلالة على نثره من خلال النموذج:

هذه هي رائعته الأدبية المشهورة، لوحة فنية تزهو بالألوان الجميلة، رسمت بريشة فنّان مبدع استمد فكرتها من التاريخ الإسلامي، وهَنْدَسَ هيكلها من موحيات موهبته الأدبية، تلك الموهبة التي تحمل زخماً عاطفياً ولائياً بتأثير ما كان يعيشه (قدّس سرّه)، من عشق إلهي أخذ عليه كلّ أطراف تفاعله مع الفكرة، فأبرزها نوراً يرسل أشعته حزمة ضوء آسر، وقوة جذب ساحر، وكل هذا جاء نتيجة الأبعاد التالية:

١ - **عاطفة الكاتب**: إن أستاذنا المقدس، الشيخ زين الدين، ممّن راضوا أنفسهم على التقوى، فسما بنفسه روحانياً حتى تعلق بالملكوت الأعلى تعلقاً إيمانياً واعياً أكسبه الولاء الخالص لله تعالى، ولمن أمر الله تعالى بولائهم وهم أولياؤه المصطفون الأبرار محمد وآله عليهم السلام.

وكان من نتائج هذا الولاء ما لمسناه فيه من رقة تأخذ عليه كل أبعاد عاطفته، عندما

(١) شعراء الغري: ٧/٢٩٦ - ٢٩٩.

يكون بين يدي الله تعالى، وليس أجلى مصداقاً لذلك من أن يكون عند فكرة إسلامية عبادية يكتب فيها قاصداً وجه الله تعالى والنصرة للحق.

وإنك إذ تقرأ هذه المقالة، «بلال يؤذّن»، ترى عاطفته فيها واضحة وضوحاً بيّناً، وذات مستوى واحد من أول المقالة حتى آخرها، وهذا يدلنا على أنه كتبها وهو مستحضر للغاية من كتابتها، وهي النصرة للحق والزلفى إليه تعالى.

أو قل تفاعل مع الفكرة وانفعل بها انفعالًا سايره في الكتابة عنها وفيها، مشبوب العاطفة حتى آخر حرف منها.

ومما أفادته التجارب في الكتابة الأدبية أن العاطفة المتفاعلة مع الفكرة تعمل وبقوة على تدفق الأسلوب على الكاتب، تدفّقاً يستطيع معه الإجادة في التعبير كما يريد، وهو ما تجلّى بوضوح في صياغة هذه المقالة من ناحية تعبيرية.

٢ - **إيقاع الألفاظ**: إن النثر الفني لا يختلف عن الشعر الفني في ضرورة توافره على العنصر الموسيقي، أو ما يعرف بالإيقاع.

وكما أن الشعر عندما تتوهج عاطفة الشاعر أثناء نظمه يتناغم إيقاعه، ويتناسق جرسه، كذلك النثر الفني.

ولأن الشيخ زين الدين، كما أسلفت، كتب مقالته هذه وهو متوهّج العاطفة، جاء الجرس في ترابط الألفاظ كأنه إيقاع فاتن لقصيدة حب صوفية.

٣ - **جمال التعبير**: في المفردة والجملة، ثم المقالة كاملة، وهو ما يعبَّر عنه في الدرس النقدي بالصورة أو الشكل، ويقوم عنده، استخلاصاً من المقالة بين يدينا، على النعاصر التالية:

أ - انتقاء الألفاظ الجميلة المناسبة وذات الإيقاع الفنّي المناسب.

ب - الموازنة والمواءمة بين الألفاظ في السياق الواحد، حيث اعتمد طريقة المقاطع القصيرة المتوازنة تنغيماً، وطريقة الفواصل المقفّاة سجعاً.

ج - توليد العبارة من الأخرى، للدلالة على معنىً واحد، أو قل إعطاء المعنى الواحد بأكثر من عبارة واحدة، وهو ممّا يفرضه الأسلوب الخطابي، بغية شدّ المتلقي بالفكرة شداً قوياً لتدخل أعماق قلبه فتربطه عاطفياً إليها.

٤ - **خطابية الأسلوب**: هناك فرق جليّ بين أسلوب علمي يُصاغ بعبارة أدبية، وأسلوب أدبي يحتوي فكرة علمية، حيث لا نلمس في الأول أثراً للخطابة، بينما تبين في الثاني بوضوح.

كما أن الأول يخاطب العقل مباشرة، والثاني يخاطب القلب أو العاطفة، وعن طريقها ينفذ إلى العقل.

والأسلوب في المقالة، موضوع الدرس، من النوع الثاني، ولكل واحد من الأسلوبين مقامه المناسب له، وهو ما يسمّى في علوم البلاغة بـ«مقتضى الحال» أي ما يتطلبه الموقف.

وقد تفرّد شيخنا زين الدين بهذا الأسلوب في حينه، بينما التزم معاصروه، كأستاذنا الشيخ محمد رضا المظفر، الأسلوب الأول.

ومن هنا يأتي دور الأستاذ زين الدين في الانتقال بأسلوب المقالة وكتابتها من مدرسة **العروة الوثقى** إلى مدرسة **الرسالة** - كما سيأتي.

وكما مارس الشيخ زين الدين كتابة المقالة، مارس أيضاً كتابة الرسالة، وقد تمثلت نماذجها فيما تبادله من رسائل مع صديقه وزميله الشيخ سلمان الخاقاني، وما أرسله إلى أخيه أستاذنا الشيخ علي زين الدين.

وهي - فيما أعلم - لا تزال مخطوطة.

كما أنها لا تختلف في أسلوبها الأدبي عن أسلوبه في كتابة المقالة. وربما كان فيها ميل إلى أسلوب الرافعي في رسائله المنشورة بعنوان **أوراق الورد**.

شعره:

كتب شيخنا زين الدين الشعر، ولكن على قلة، وكان يتحرج أن يعرف به لأنه في محيط لا يستسيغ ذلك، لأنه يريد من أهل العلم التفرغ للعلم.

وكأن قولة الإمام الشافعي:

ولولا الشِّعْرُ بالعُلماءِ يزري لَكُنْتُ اليومَ أشعرَ من لبيدِ

لا تزال تأخذ مفعولها في الأوساط العلمية الدينية.

فمن غلب عليه الشعر من الفقهاء عُدَّ في رأي الناس في مصافّ الشعر، ونُسيت فقاهته، وأوضح مثال لهذا الشريفُ الرضي قديماً، والسيد الحبوبي حديثاً.

ومن هنا كان الفقيه يقول الشعر، ولكنه يعمل على أن لا يغلب عليه، وهذا بيّن في أمثال الشريف المرتضى قديماً، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء حديثاً، فقد غلبت فقاهتهما على شعرهما.

وللأستاذ علي الخاقاني - وهو ثورة على القيم الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك، وهي غير قائمة على أساس متين يدعمها - موقف من موقف الشيخ من الشعر ذكره في كتابه **شعراء الغري** عند ترجمته له، قال:

«وقد حباه الله بمواهب عالية في الأسلوب، فهو موفّق فيه يستولي على الألباب الواسعة، ويهيمن على القلوب المتحجرة، وكتبه التي ألّفها دلّت على خبرته وإتقانه للأسلوب الأخاذ المشفوع بالخواطر الجليلة، وكتابه **الأخلاق عند الإمام الصادق** أبرزه بين مؤلفي العصر كعَلَمٍ على خلوده».

«وبقدر ما أوتي موهبة في الأسلوب النثري، فقد حاز على مقياس كبير في الشعر، ولكنه وقد أصبح زعيماً دينياً في قريته لا يستسيغ هذا اللون، ولا يحب نسبته إليه، وقد كلمته غير مرة بأن هذا الرأي لا قيمة له، وأن ما عندك أرجو أن أقف عليه، فكان يجاملني ويعتذر بوجود أشغال له تتعلق بدروسه وتدريسه، وكنتُ قد أحببت بأن أثبت روايته التي وصف بها المسلول وشخّص هذا الداء الذي استفحل في بلادنا، غير أنه كان يواصلني بنفس العذر، ناسياً أن هذا اللون من السلوك رجعي لا قيمة له، وناسياً أن الخلود لا يصيبه من ناحية رأيه السلبي بل من الطرق الإيجابية التي تخدم المجتمع بأي أسلوب، نثراً كان أو نظماً، وبهذا السوك عرّفني أنه لا يزال في حظيرة الرجعية التي ستقضي على كثير من مواهبه وتقبرها»[1].

ولكل محيط اجتماعي، علمياً كان أو غير علمي، أعرافه السائدة التي وجدت بسبب عوامل فرضتها، قد تكون تلك العوامل ناهضة بالتسبيب، وقد تكون غير ناهضة.

ويرجع واقع استمراريتها وعدمه إلى أن الأعراف إذا كانت في مجتمعات سريعة التغيّر سرعان ما تتغير، وإذا كانت في مجتمعات بطيئة التغير تُبطىء في تغيرها، وربما لا تتغير حتى مع وجود ما يتطلب تغيرها، ومن هذه الأعرافُ الاجتماعية في الأوساط الدينية.

والحق أنه لا بد من الجمع بين الفقه والأدب، ذلك أن الفقيه في مجال الاستنباط يتعامل مع النصوص الشرعية من القرآن الكريم والحديث الشريف، والأدب يساعد مساعدة مباشرة وفاعلة على فهم دلالات النصوص الشرعية ومؤدياتها، فالفقيه الأديب أدرى بشعاب مكة لأنه من أهلها.

ومن هنا صنّف المعاصرون الفقيه إلى:

- فقيه ذوقي، وهو الذي يصل إلى مؤدى النص ودلالته عن طريق ذوقه الأدبي.

- فقيه صناعي، وهو الذي يعتمد القواعد العلمية، بعيداً عن الأدب في فهم النص.

---

(١) شعراء الغري: ٧/ ٢٩٥ - ٢٩٦.

يقول الشيخ عبد الحسين الحلّي، وهو من الفقهاء الأدباء:

«إن طالب العلم الأديب عارف بأخبار (أحاديث) الأئمة عليهم السلام، إذ إن لديه ذوقاً أدبياً يميز به خبر الإمام من غيره، ويعرف بذوقه سبك العبارات وتراكيبها، فالعالم الأديب أعرف بكثير من العالم غير الأديب»[١].

ولكن القضية، كما يقال، أمر مرفوض إلّا أنه واقع مفروض.

ولشيخنا، (قدّس سرّه)، قصائد قليلة جداً، منها:

١ - قصيدة طويلة في ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وآله، عنوانها: «شعلة من النور».

٢ - قصيدة أخرى في طفلته الأولى عنوانها «طفلتي الجميلة».

٣ - وله ديوان أسماه **أمالي الحياة**، وهو مجموعة من الثنائيات والثلاثيات والرباعيات، أملتها عليه تجاربه في الحياة، أو تجارب أخرى تعرّفها من سواه، وهو - في حدود علمي - لّما يطبع بعدُ، ومنه قوله:

إنما الدين وحدة لقلوب ... ربط الحب بعضهن لبعضِ
وإذا رثّت العقيدة يوماً ... قلب الجور حبّهنّ لبغضِ

وقوله:

شدَّ الزمان على يدي ليقول لي ... إني بقية ظاعنين ترحلوا
حلم يمرُّ بفكرة مخمورة ... قد ينطوي عَجلًا وقد يتمهل

وقوله:

سِر في الظلام فقد تخامر فكرة ... للزيت حين يؤجّج المصباحا
والحرُّ إن ركب الصعاب لغاية ... في نفسه وجد الظلام صباحا

وله رواية شعرية بعنوان **المسلول**، ويأتي الحديث عنها وذكر نماذج مما جاء فيها.

ولنذكر هنا قصيدته في المولد النبوي الشريف، لكي نحاول التعرف على أجوائها وأبعادها، وها هي:

---

(١) شعراء الغري: ٥/ ٢٦٨.

شعلة من النور

أرج من الزهر المندّى   قد ضوّع الآفاق ندّا
وعلا على الوادي ضيا   ء من قرارته تبدّى
قبسٌ من النور استطا   ل فشعّ في الأجيال وقدا
من بيت هاشم والجوا   هر من معادنها تبدى
حيث المفاخر ليس تُحـ   ـصى والفضائل لن تُعدّا

* * *

ماذا بمكّة فهي تز   هو منظراً وتميس قدّا
من زلزل الأصنام عن   أنصابها قسراً وأردى
نبأ يجلّ مقامه   عن أن يُعرّف أو يُحدّا
نبأ له قلب الجزيـ   ـرة كاد أن ينقدّ قدا
يا ليلة الميلاد والمجـ   ـد المؤثّل منك يبدا
يا غرّة التأريخ يشـ   ـرق نورها في الكون سعدا
لك منّة لسنا نو   فّي حقّها شكراً وحمدا
ألبستِ هذا الكون ثو   باً للمحاسن مستجدّا
وبنيت مجد العرب بعـ   ـد أن انطوى زمناً وأكدى

* * *

بطحاء مكّة فاخري   شهب السما شرفاً ومجدا
بشراك يا مهد النبو   ة قد سعدت اليوم جدّا
وطويت عهداً للشقا   فاستقبلي للسعد عهدا
واستقبلي الآمال با   سمة فقد أمّتك وفدا
عقدت على مهد الوليـ   ـد رواقها (كلفاً ووجدا)
وتوسّمت في الطفل أن   ستنال في مسعاه قصدا
ومحمد يستقبل الوفّا   د تكريماً ووعدا
بادي البشاشة قد تد   فّق من جلال الله بردا

■

عهد النبوة

عــهــد الــنــبــوّة طــبــت عــهــداً ... لــبــســت بــك الأيــام عــقــدا
وبــنــورك اســتــهــدت قــلــو ... ب فــي عــمــايــتــهــا تــردّى
والــدهــر إن دام الــفــخــا ... ر فــمــن عــلاك قــد اســتــمــدّا
حــيــث الــجــزيــرة والــضــلا ... ل يــعــمّــهــا ســهــلًا ونــجــدا
ونــواقــص الــعــادات قــد ... ضــربــت عــلى الأخــلاق ســدّا
والــظــلم عــمّ فــلا تــرى ... إلّا ظــلــومــاً مــســتــبــدّا
فــاســتــأصــلت حــتّــى الــبــنــيــ ... ـن بــظــلّــهــا قــتــلًا ووأدا
وتــفــنّــنــت فــي الــجــهــ ... ـل حــتّــى ألّهــت نــســراً ووذّا
ســيــل مــن الأوهــام قــد ... غــمــر الــعــقــول وســال مــدّا

* * *

وإذا بــأحــمــد يــمــلأ الأســمــ ... ـاع إيــضــاحــاً ورشــدا
وإذا بــه يــتــعــرّض الأو ... هــام تــحــلــيــلًا ونــقــدا
فــرد يــقــود إلــى الــكــفــا ... ح مــن الــحــفــاظ الــمــرّ جــنــدا
مــتــدرّعــاً بــالــصــبــر درعــاً ... مــرهــفــاً لــلــعــزم حــدّا
وأقــام يــهــتــف بــالــجــمــو ... ع فــلا تــعــي لــلــقــول ردّا
عــنــدت عــن الــحــق الــصــريــ ... ح وأعــلــنــت كــفــراً وجــحــدا
وأبــت لــهــا الأهــوا ... ء إلّا أن تــضــلّ الــحــق عــمــدا

* * *

يــا مــنــقــذ الإســلام قــد ... أوريــت لــلإســلام زنــدا
جــهــلت قــريــش فــمــا رعــت ... لــك بــيــنــهــا رحــمــاً وودّا
ورمــتــك بــالأحــقــاد حــيــ ... ـث اســتــهــدفــتــك أذىً وطــردا
فــبــعــيــن ربّ الــبــيــت مــا ... قــاســيــتــه فــي الله جــهــدا
وبــعــيــن رب الــبــيــت تــنــ ... أى عــن جــوار الــبــيــت بُــعــدا
جــهــلت بــأن الــبــيــت يــشــ ... ـكــل حــيــن تــبــعــد عــنــه صــدّا
فــرحــلت مــيــمــون الــنــقــيــ ... ـبــة مــنــجــزاً لله وعــدا



إلى المدينة

يا قبّة الإسلام خلداً (جدّي فإن الدهر جَدّا)
هذا محمّد يقطع ال آكام تعريساً ووخدا
وأتاك والشرف الرفيـ ع يسير في مسراه حشدا
فاستقبليه وأرفعي بذراك للإسلام بندا
لبّيت دعوته فكنـ ت لسيف دعوته فرندا
فتقدّمي للذبّ عن إسلامه شيباً ومُردا
ولترعي الأمم الرهيـ بة للثرى وجهاً وخدّا

* * *

هذي قريش أقبلت لتفلّ من علياك حدّا
فتجمّعي لتقاتلي من جهلها خصماً ألدّا
واستنهضي للزحف غُلـ باً من جنود الله أُسدا
تبدو وقائدها الأميـ ن يشدّها للحرب شدّا
يقفو بها سنن الهدى ويدلّها الرأي الأسدّا

* * *

وأتت قريش تملأ الـ آكام إبراقاً ورعدا
زحفت بأفئدة تكا د تفور بالأضغان حقدا
وكواذب الأحلام تأ مل أن تعيد الحرّ عبدا
فحبت لها أبطال يثـ رب كالهضاب الشمّ سدّا
تستهدف الألباب طعناً والطلا ضرباً وحصدا
فاسأل قريشاً ما الذي شهدت به بدراً وأُحْدا
عرفت نتيجة جهلها فتنكّدت صدراً ووِردا
مَنْ حارب الأقدار كا ن لحتفه يسعى مُجدّا

■

اطلالة على شعره:

وبعد،

فإخال أن القارىء الكريم يدرك، وهو يقرأ هذه الملحمة الشعرية الجميلة، أن أستاذنا (قدّس سرّه) متأثر إلى حدّ بعيد بنثره، وبخاصة في الجوانب التالية:

- انتقاء الألفاظ.
- صفاء الديباجة.
- ترابط السياق.
- شبوب العاطفة.
- التفاعل مع الفكرة.

والقصيدة، عروضياً، من مجزوء بحر الكامل، وهو من الأوزان الراقصة التي تتناسب والمناسبة حيث السرور والحبور.

اعتمد فيها، حسبما تفرض المناسبة، طريقة السرد التاريخي، وتسلسل الحوات منذ مولد رسول الله ﷺ وما تلاه.

ويبدو أن المذكور في المصدر ليس القصيدة بكاملها.

كتابة الرواية الشعرية:

أما روايته الشعرية، فقد كتبها وسط أجواء دخول روايات أحمد شوقي إلى النجف، أمثال: **مجنون ليلى، عنترة، مصرع كليوبترا، قمبيز**.

والشاعر أحمد شوقي (ت١٩٣٢م) هو رائد الرواية الشعرية في نهضتنا الأدبية الحديثة. يقول الزيات في **تاريخ الأدب العربي**(١): «وأما الفن الروائي المسرحي فظل غريباً عن الأدب العربي لا يألفه ولا يعرفه حتى علمه من الأدب الغربي عن طريق المشاهدة والنقل، فهبّت طائفة من الذين درسوا الآداب الغربية أو زاروا البلاد الأجنبية، يزاولونه بالمحاكاة والاحتذاء دون أن يتجهّزوا له بجهازه ويستعينوا عليه بأداته، فالتوى عليهم وأعضل حتى كاد يسمهم بالعجز عنه، اللهمّ إلاّ ما كان من أمر شوقي، فقد حاول أن يسدّ النقص الموروث في الشعر العربي، فاستحدث الشعر التمثيلي، وخطا به في طريق الكمال خطوة موفقة بنظمه روايات: **علي بك الكبير، ومصرع كليوبترا، ومجنون ليلى، وقمبيز، وعنترة، والست هدى**، ثم توفاه الله قبل أن يبلغ به الغاية».

---

(١) تاريخ الأدب العربي: ط٢٦، ص٤٣٤.

شاعرية عذبة:

ولأن شيخنا زين الدين كان رقيق العاطفة، مرهف الشعور، عميق التفاعل مع الأفكار التي يتعامل معها، جاء شعره فيها خفيفاً في عذوبة، وأنيقاً في صفاء.

وممّا أحفظه منها قوله:

بعين الحبّ ما يلقاه هذا البدن العاني
وفي ذمّة من تهواه هذا المدمع القاني

وقوله:

إليّ حياة النفس فالدهر ساعة ... نناجي بها أحلامنا وهوانا
ونشرح أسرار الهوى بدموعنا ... فدمع الهوى منّا أرقّ بيانا
خذي مهجتي واستعرضيها فإنها ... بقية روح تستحيل دخانا
مناي هل الدنيا تظلّل غيرنا ... وهل كنف الحبّ البريء سوانا
يقولون في الخلد النعيم وإنما ... بسرّ الهوى أمست تعدّ جنانا
هو الحب أرواح تذوب وأدمع ... تصوب وأكباد تفيض حنانا

وقوله:

وما قيس سوى شبح عظيم ... بناه الحبّ من كلف ووجدِ
سئمنا في الغرام حديث ليلى ... فصف للعالمين جمال دعدِ
وشبّب بالعراق وصف رباه ... فقد بعد الزمان بعهد نجدِ

من كتاب الشعر التمثيلي في النجف:

وممّن نظم في الشعر التمثيلي النجفي من جيله ثم من جيل تلامذته:

١ - **الشيخ سلمان الخاقاني**: يقول علي الخاقاني في **شعراء الغري**[(١)]، عند ترجمته له: «والمترجَم له تذوّق الشعر التمثيلي ونظم فيه، وتأثر بالذوق الحديث الذي جاء به أحمد شوقي التمثيلي ونظم فيه، وتأثر بالذوق الحديث الذي جاء به أحمد شوقي في رواياته، وقد عثرت له على رواية تمثيلية تاريخية، أسماها **الطاق**، ويريد به طاق كسرى، ذات أربعة مشاهد، وفي فصل واحد، وهي تاريخية، وفيها مغزىً ديني لطيف، وهو مولد الرسول الأعظم وتأثيره على إطفاء نيران فارس».

---

(١) شعراء الغري: ٤/ ١٧٦.

والرواية منشورة في الكتاب المذكور.

٢ - **الشيخ علي الصغير**: له رواية بعنوان **مرغريت**، مطبوعة.

٣ - **السيد مصطفى جمال الدين**: له رواية بعنوان **جميل بثينة** تقع في تسعمائة بيت تقريباً، ذكرها الخاقاني وهو يترجم له في كتابه **شعراء الغري**(١).

٤ - **الشيخ محمد حيدر**: له رواية باسم **هيفاء**، ذكرها الخاقاني في **شعراء الغري**(٢).

هذه إطلالة تعريفية مختصرة لشعر شيخنا العزيز، عسى أن نرى قريباً من يقوم بجمعه ودراسته أدبياً ونقدياً.

دوره في إنماءِ الحركة الأدبية في النجف:

أعني بالإنماء هنا توسّع الحركة عمودياً، بأن تستمر في انتقالها من الجيل السابق إلى الجيل اللاحق، وتوسعها أفقياً بأن تمتدّ من بلدها الجغرافي الذي هي فيه إلى بلدان أخرى.

وذكرت في **تاريخ الحركة الأدبية في النجف الأشرف** أن من أهم عوامل نموّ المجالس الأدبية، تاريخياً وجغرافياً، أنها كانت تعقد في الأماكن الخاصة كالمنازل والمدارس ليلتي الخميس والجمعة وليالي شهر رمضان المبارك، ويحضرها ثلة مختارة من الشبان يديرون الحوار بينهم.

وربما كان هذا تحت إشراف شيخ مربٍّ يرشد وينقد، كي يضع هذه الثلة من الشبان على الطريق السوي في بناء شخصياتهم أدبياً.

والشيخ زين الدين أستاذ موهوب، يمتلك من القدرات التربوية ما أهّله لأن يكون أستاذاً من أساتذة الأجيال في النجف أدبياً وعلمياً، وما دفعه إلى أن يقوم بما أُهِّلَ له من أدوار تربوية في العلم والأدب.

وغرفته التي كان يسكنها في مدرسة الأخوند الوسطى، الواقعة حالياً في شارع الإمام الصادق عليه السلام قريباً من الحرم العلوي الشريف، كانت أحد المجالس الأدبية النجفية.

تردّد عليها وارتادها منتدىً أدبياً جَمعٌ من مريديه، في طليعتهم الشيخ سلمان الخاقاني الذي كان مؤازره في دور تربية الشبان الذين كانوا يترددون على الغرفة.

ومن هؤلاء الشبان: السيد مصطفى جمال الدين، والسيد حسين بحر العلوم، والسيد

---

(١) شعراء الغري: ١١/ ٣٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ١١/ ١٦٣.

محمد بحر العلوم، والشيخ محمد رضا العامري، والشيخ صالح الظالمي، والشيخ ضياء الخاقاني.

وقد أشار إلى دوره هذا في التربية الأدبية الأستاذ عبد النبي الشريفي في كتابه **ومضات الشباب**.

كما أشار إليه الأستاذ علي الخاقاني في كتابه **شعراء الغري**(١)، عند ترجمته للسيد مصطفى جمال الدين، قال: «ولد في قرية المؤمنين عام ١٣٤٦هـ، ونشأ بها على أبيه وجده فعنيا بتربيته وحسن توجيهه، ولما أحسّا منه النبوغ المبكر والذكاء المفرط بعثا به حيث منهل الفضل والعلم، وكان ذلك عام ١٣٥٧هـ. فاتصل بالعلاّمة الشيخ محمد زين الدين الذي عُرف بصدق تدريسه وقوة توجيهه، فأخذ عليه مختلف العلوم الأولية، من نحو وصرف ومنطق ومعانٍ وبيان، واقتبس منه المعلومات الأدبية الكافية مما ولّد عنده قوة الشاعرية وفهم الأدب وحسن البيان».

والسيد جمال الدين نفسه أشار إلى هذا في مقدمة **الديوان**(٢)، وما بعدها تحت عنوان «الشجرة التي احتضنتني برعماً» قال:

«وصاحبنا الذي نكتب سيرته، ونحاول أن نتعرّف تجربته، واحد من هؤلاء الوافدين إلى النجف من قرى سوق الشيوخ، كان يبحث عن مدرّسٍ في النحو يأخذ عليه شرح ابن الناظم لألفية أبيه محمد بن مالك، لأن الدراسة في النجف، كما هي في أكثر مراكز الدراسة الدينية، دراسة فردية في أغلب مراحلها، والطالب فيها له حريّة اختيار مدرّسِه، وكما يكون الطالب طالباً، يكون في الوقت نفسه مُدرّساً، فهو إذ يدرسُ **ألفيةَ ابن مالك** عند زيدٍ، يدرّس عمراً **قطرَ الندى** لابن هشام، وأستاذه مثله أيضاً، حتى إذا تقدم في دروسه كان نظام الحلقات في انتظاره، ثم ينتقل إلى الحلقة الكبرى، عند أحد مراجع الدين التي تسمى بـ«الخارج»، لأن الدرس فيها ليس له كتاب مقرّر، فهو خارجُ الكتبِ المقرّرة، ولكنه يمتاز بموضوعه. وموضوع الخارج إما في الفقه، أو في أصول الفقه، واستحدث أستاذنا الخوئي درساً في التفسير هو إلى الخارج أقرب منه إلى الكتاب المقرّر.

«وظلّ صاحبنا يبحث عن هذا المدرّس حتى وقع اختياره على المرحوم الشيخ علي زين الدين من البصرة، وجرّته صِلتُهُ بالشيخ علي إلى صلتِهِ بأخيه الشيخ محمد أمين زين الدين، وهو اليوم أحد مراجع الدين في النجف، حفظ الله مهجته، وجعل خير الحوزة على

(١) شعراء الغري: ٣٤٦/١١.
(٢) الديوان: ص٢٨.

يديه. وكان هذا الشيخ، بالإضافة إلى علمه الجمّ، شاعراً من طراز متقدم، وكاتباً بارعاً ذا أسلوب متميّز، لعله أقرب إلى أسلوب الزيّات، تدل عليه رسائله **إلى الطليعة المؤمنة** وكتابه الرائع **الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته**، ولعله أول كتاب يظهر في النجف عن الإسلام بلغةٍ مشرقة الأسلوب، حديثة المعالجة لقضايانا الفكرية. كما كان فيلسوفاً أخلاقياً تشهد له **الأخلاق عند الإمام الصادق**، ورسالته **كلمة التقوى في** عشرة أجزاء أكبر دليل على فقاهته، وغير ذلك من مؤلفاته. وكان هذا الشيخ الجليل محور حلقة من العلماء يمتازون بثقافتهم الواسعة، وأساليبهم الرائعة، منهم المرحوم الشيخ سلمان الخاقاني، وهو من أقدم تلامذة السيد الخوئي المرموقين، وله ولع بالشعر، واطلاع واسع على أغلب ما يصدر في المكتبة العربية، وفي مكتبته العامرة. وبإرشاده وتوجيهه قرأناً ما جَدَّ من الكتب المصرية واللبنانية، وتابعنا مجلات **الرسالة والرواية** اللتين أصدرهما الزيات، **والثقافة** التى صدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر برئاسة أحمد أمين، **والكاتب المصري** برئاسة طه حسين، **والكتاب** التي أصدرتها دار المعارف بتحرير عادل الغضبان، وسلسلة **إقرأ** وغيرها من السلاسل والكتب والقصص التي كنا لا نهتدي إليها لولا إرشاد أبي المهدي وتهيئتها لنا، أمثال كتب طه حسين، والعقاد، وتوفيق الحكيم، والمازني، وأحمد أمين، وسلامة موسى، وعبد الله العلايلي، ونجيب محفوظ، وغيرها.

«هذان العلمان الكبيران، زين الدين والخاقاني، هما اللذان وضعاني على الطريق الذي أنا الآن في نهاياته».

«كنت أدرس على الشيخ علي زين الدين **شرح الألفية**، وقسماً من **المختصر** للتفتازاني، ودرست **حاشية ملا عبد الله** في المنطق على الشيخ محمد رضا العامري **والشرائع** على الشيخ عبد الكريم شمس الدين، **والمعالم واللمعة** على المرحوم الشيخ محمد علي الصندوق، ولكني تمحّضتُ في أكثر دروسي بعد ذلك على الشيخ محمد أمين زين الدين، فأخذت عنه **الكفاية والرسائل** وقسماً من **المكاسب** وأكثر **شرح منظومة السبزواري** في الفلسفة الإسلامية، وقد تنقلت في حياته الدراسية على أساتذة كثيرين، ولكني لم أجد من هو أجلى بياناً، وأكثر إيصالاً، من الشيخ محمد أمين زين الدين».

«وكانت لأستاذي هذا رحلات سنوية قد تمتد أشهراً في بعض الأحيان، يستوطن فيها قريته نهر خوز في قضاء أبي الخصيب، أو يذهب فيها للإرشاد والتوجيه الديني إلى أتباعه في البحرين، فأجد عناءً كبيراً في العثور على أستاذ أنسجم مع بيانه انسجامي مع الشيخ زين الدين، حتى إذا أكملتُ مرحلة السطوح، كما كانت تسمى في النجف، وانتقلت إلى مرحلة الخارج في بحث سيدنا الإمام الخوئي، (قدّس سرّه)، استرحت من هذا العناء».

«أمّا حياتي الأدبية، والشعري بوجه خاص، فإذا كنت مديناً فيها لأحد فلهذين الشيخين الجليلين: محمد أمين زين الدين وسلمان الخاقاني، فهما اللذان وضعا اللبنَة الأولى في أساس ظللتُ أبني عليه، بعد ذلك، حتى خُيّل إليّ أنه أعجب كثيراً من النّظارة».

دوره في تطوير الحركة الأدبية في النجف:

أعني بالتطوير، هنا، الإضافات الأدبية الجديدة التي أضافها الشيخ، قدّس سرّه، وكانت من إبداعاته بما يعد تطويراً في عالم الحركة الأدبية النجفية.

وتتمثل تلكم الإضافات في الموضوعات التالية:

١ - أسلوب المقالة الأدبية.

٢ - الرواية الشعرية.

٣ - الأدب الإسلامي الملتزم.

سبق أن أوضحت أن الشيخ زين الدين تأثر، إلى حدّ بعيد، بأسلوب الأستاذ أحمد حسن الزيّات، من خلال ما كان يكتبه الزيّات افتتاحيات لأعداد مجلته الشهيرة **الرسالة**، ثم استقلّ، أعني أستاذنا الشيخ، بأسلوبه الخاص الذي تميز به، والذي رأينا نموذجاً منه في مقالته «بلال يؤذن».

وقد تأثر غير واحد من تلامذته وغير تلامذته فنحوا منحاه أو منحى التحديث في كتابة المقالة الأدبية.

وقد كان هذا التأثر انتقالاً ممّا أسميته مدرسة **العروة الوثقى** في كتابة المقالة إلى ما أسميته مدرسة **الرسالة** في كتابة المقالة.

أو قل، لكي يكون العنوان شاملاً: كان هذا التأثر انتقالاً من عهد النقلة في كتابة النثر الفني إلى العهد الحديث.

وتؤلف مقالات شيخنا مجموعة نثرية من روائع المجموعات الأدبية النثرية، لو قدر لها أن تُضمّ بين دفتين ثم تُطبع إحياء لذكراه وإفادة لطلاب الأدب وهُواته.

أضيف إليه أن هذه الإضافة الإبداعية الجديدة تدخل عنصراً مهماً في تاريخ الأدب النجفي، فلا بدّ لمن يريد دراسة الأدب في النجف من تناوله في بحثه أو دراسته.

أما الرواية الشعرية، فالذي يبدو لي أنه إذا لم يكن شيخنا هو الرائد الأول في كتابتها من بين من كتبوا فيها من النجفيين، فهو من الرواد الأوائل في كتابتها، قد لا يسبقه أحد في هذه الرواية سوى السيد محمد رضا شرف الدين الذي ينص الأستاذ الخاقاني، في كتابه

شعراء الغري[1]، أنه نظم روايته **الحسين** عليه السلام عام ١٣٥٢هـ، وطبعها ببغداد في العام نفسه، قال: «نظم، في عام ١٣٥٢هـ، روايته الشهيرة **الحسين** وطبعت بنفس العام ببغداد، وهي باكورة إنتاجه الأدبي وأعقبها بنظم رواية **قيس ولبنى** وهي لم تطبع».

وبخصوص الأدب الإسلامي الملتزم فهو أول من كتب فيه، وذلك بكتابيه: **الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته**، **وإلى الطليعة المؤمنة**.

كما أنه أول من عقد حلقة تدريس له، وكان ذلك في مقبرة سلامة الواقعة جوار مدرسة السيد البروجردي، قريباً من دورة الحرم الشريف.

وكنا نحضر عنده عصراً، أنا والشيخ مهدي السماوي والسيد مهدي الحكيم والشيخ محمد حيدر والسيد محمد باقر الحكيم، وآخرون لا تحضرني أسماؤهم في هذه العجالة.

وكان (قدّس سرّه) يقوم بعملين، هما:

١ - يقرأ فصلًا من كتابه **الإسلام** كنص أدبي ثم يقوم بالشرح والتعليق.

٢ - يُلزمنا بكتابة موضوع يختاره، وفي الغالب كان الموضوع يدور حول آية قرآنية.

وكنا نكتب ونقدم كتاباتنا إليه في الدرس القادم، وكان يأخذها معه ليعود بها في الدرس التالي، وقد أشّر على مواضع تتطلب التعليق عليها، ثم يوضح لكل طالب منّا ما ينبغي إيضاحه له من ناحية الأسلوب.

وكان هذا منه لأن الساحة يومذاك لم يكن يوجد فيها أديب إسلامي ملتزم، سوى أستاذنا الشيخ زين الدين نفسه، وأستاذنا السيد محمد باقر الصدر.

ويرجع هذا، في عوامله ودوافعه، إلى انتشار الأدب الاشتراكي المتلزم، وكانت تمثله بوضوح وقوة مجلة **الآداب** التي أصدرها عام ١٩٥٣م ببيروت الأستاذ سهيل إدريس، وكان يكتب فيها أقطاب الاشتراكية من الأدباء العرب، وكانت تنتشر انتشاراً واسعاً، وكانت تصل إلى النجف الأشرف، وكان لها مفعول مجلة **الرسالة** في الاستقطاب والتأثير.

وأستاذنا الشيخ زين الدين، وهو الرائد في الكتابة الإسلامية في مفاهيم الإسلام، ومن خلالها كعقيدة شاملة ونظام كامل للحياة، وهو المؤمن الغيور على دينه وأمّته، كان يرى لزاماً عليه أن يكوّن جيلًا من شبّان أهل العلم في النجف كتّاباً إسلاميين، يحملون الإسلام، ينشرون ويدافعون عنه، ويقفون أمام الغزو الاشتراكي، فكان له ما أراد، فقد استطاع أن يكوّن من تلاميذه من قام بالمهمة وأدّى الوظيفة على خير وجه.

---

(١) شعراء الغري: ٨/ ٤٨٥.

وبعد انقلاب ١٩٥٨ في العراق، وطغيان المد الشيوعي، ألّفت المرجعية الدينية العليا المتمثلة آنذاك بالسيد محسن الطباطبائي الحكيم، وبإسناد من بقية المراجع ما عرف بـ«جماعة العلماء»، وكانت تقوم بأكثر من نشاط من أجل صد الغزو الشيوعي، ومن ذلك أن ألفت لجنة من كلّ من:

١ - الشيخ محمد رضا المظفّر (ت١٣٨٤هـ).

٢ - السيد موسى بحر العلوم (ت١٣٩٧هـ).

٣ - الشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي (ت١٤١٢هـ).

٤ - الشيخ محمد أمين زين الدين (ت١٤١٩هـ).

وكانت مهمّة هؤلاء هي الإشراف على مجموعة من الشبان اختارتهم جماعة العلماء لممارسة الكتابة الإسلامية، ليكونوا الأقلام التي تقف ضد الفكر الشيوعي، نقداً ورداً، وهم:

١ - الشيخ مهدي السماوي (ت١٣٨٩هـ).

٢ - السيد مهدي الحكيم (ت١٤٠٨هـ).

٣ - الشيخ جعفر الصادق العاملي (ت١٩٧٧م).

٤ - السيد جعفر بحر العلوم.

٥ - السيد محمد سعيد الحكيم.

٦ - السيد طالب الرفاعي.

٧ - الشيخ هادي القمي.

٨ - السيد مير حسن أبو طبيخ.

٩ - الشيخ حليم الزين.

١٠ - عبد الهادي الفضلي.

وكنا نجتمع كلّ مرة في بيت واحد منّا، ويلقي أحدنا ما أعدّ من موضوع، ويناقش من قبل المشرفين والطلبة المشاركين.

فكان لشيخنا زين الدين دور آخر في الدعوة إلى تعلم الكتابة الإسلامية والتدرب عليها وممارستها.

جزى الله أستاذنا العظيم لقاء ما قام به من أعمال في خدمة المبدأ والأمة، ووفقنا للسير على هديه، إنه تعالى وليّ التوفيق وهو الغاية.

فهرس

يتناول هكذا قرأتهم
هذه الموضوعات:

- الشيخ المفيد
- الشيخ الطوسي
- الشيخ أبو بحر الخطي
- الشيخ الشاعر الدمستاني
- السيد بحر العلوم الكبير
- الشيخ كاشف الغطاء الكبير
- السيد محمد باقر الصدر
- السيد أبو قاسم الخوئي
- الشيخ محمد باقر بوخمسين
- الشاعر أحمد سلمان الكوفي
- الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- الميرزا محسن الفضلي
- الشيخ محمد أمين زين الدين

* أعلام الاحساء عبر العصور
* في ذكرى أبي * المدرسة الأصولية
* المدرسة الإخبارية
* النجف * القطيف * الأحساء * الشيخية * البصرة

دار المرتضى
بيروت